

كنت ضابطا

أربعون عامًا في حياة ضابط

اللواء متقاعد
صالح محمد الغفيلي

كنت ضابطًا

أربعون عامًا في حياة ضابط

اللواء المتقاعد

صالح بن محمد العفيشلي

طبعة ثانية (منقحة)

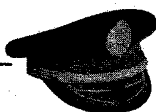
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

ح صالح بن محمد الغفيلي، ١٤١٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الغفيلي، صالح بن محمد
كنت ضابطاً: أربعون عاماً في حياة ضابط - ط٢ - الرياض
٣١٢ ص؛ ١٤,٥x٢٢سم
ردمك: ٠- ٩٢ - ٧٨٥ - ٩٩٦٠
١- الغفيلي ، صالح بن محمد - مذكرات
٢ - السعودية - القوات المسلحة أ- العنوان
ديوي ٩٢٣،٥ ١٨/١١٠٠

رقم الإيداع: ١٨/١١٠٠
ردمك: ٠- ٩٢ - ٧٨٥ - ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء



الإهــداء

لم تتنازعني الأفكار ولم تتملكني حيرة الاختيار عندما نويت إهداء كتابي هذا - الذي ضمنته بعض ملامح حياتي ضابطًا في القوات المسلحة - إلى القائد الإنسان الذي تتجسد في شخصه القيم الإنسانية بكل مضامينها الأصيلة، وملامحها المتوهجة وتمثلت لناظري العطاءات الوطنية الخيرة، بما تحتويه من تفانٍ وإخلاص وتواضع في شخصية رجل قدوة، وعَلَمُ من أعلام وطننا العزيز، شهد له القاصي والداني بالحكمة والموضوعية، وحسن القيادة، والقدرة على الإنجاز.

وأتاح لي حسن حظي أن أتشرف بالعمل قريبًا منه، فخبرت مناقبه العالية وصفاته المتميزة، وطاقاته المعطاءة التي وضعها في خدمة وطنه، فأثمرت هذا البناء الشامخ الحضاري للقوات العربية السعودية المسلحة.. ألا وهو صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام.

فطوال مايربو على الثلاثين عامًا، أعطى سموه خلالها من شبابه زهرته، ومن عقله ثمرته، ومن خبرته زبدها، للوصول بقواتنا المسلحة إلى ما حققته من تطور ورصانة في البناء.

ولم يكن سموه حفظه الله طيلة تلك الفترة قائدًا فذًا فحسب.. بل كان هو الأب الحاني لجنده، الواقف معهم وبينهم على خط واحد لا تعال فيه.

تتجسد في شخصه شموخ الأصالة والكرم، والإحساس بهموم أبنائه أفراد القوات المسلحة.. فما أغفل عينًا، ولا سد أذنًا، ولا كف يدًا، بل يداه ممدودتان دائمًا تداويان جرحًا هنا وتقيلان عثرة هناك.

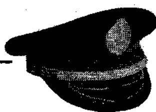
وتتسع خيمة الخير والمحبة التي أقامها سموه، لتتجاوز منسوبيه إلى كل مواطن على أرض هذا البلد الحبيب.

لذلك، واعترافًا بكل القيم الإنسانية التي يتمتع بها، وعرفانًا وإعجابًا بإنجازاته الضخمة وجهوده الدؤوبة في إقامة الصرح الكبير للقوات المسلحة، ولأنه كان ولايزال وسيبقى إن شاء الله، المنفذ الأمين لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز القائد الأعلى للقوات المسلحة، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، الهادفة إلى ترسيخ بناء قواتنا المسلحة، والنهوض بها، لتحتل مكانتها اللائقة في المنطقة والعالم، ولتبقى دائمًا الدرع الواقي لمسيرة الأمن والأمان، ولما ينعم به شعبنا من استقرار وتنمية ورخاء.

لكل ذلك: أهدي هذا الكتاب إلى سموه، وتقديرًا لبذله وعطائه الوطني، وتعبيرًا عن الولاء الصادق لهذا الوطن الحبيب.

اللواء المتقاعد

صالح بن محمد الغفيلي





الرقم: ٢٩٨٧/١/١/١
التاريخ: ٢٠ / ١١ / ١٤١٤هـ
المرفقات:

الموضوع: بخصوص مسودة كتاب «كنت ضابطا»

- خـاص -

المكرم اللواء متقاعد الأخ/صالح بن محمد الغفيلي
سفير خادم الحرمين الشريفين
أبوظبي - الأمارات العربية المتحده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:-

إطلعنا على مسودة كتابكم «كنت ضابطاً» والذي قدم نموذجاً طيباً لأحد أبناء القوات المسلحة ، عمل بكل إجتهاد وإخلاص لخدمة دينه ومليكه ووطنه .

والكتاب ممتاز ومفيد لقارئه وبالأخص أبناء القوات المسلحه ، وقد كان لنا بعض الملاحظات التي تجدونها مرفقه ، نأمل أن تكون من عوامل دعم الكتاب .

والسلام عليكم ......

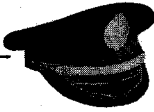
سلطان بن عبدالعزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

٢٨/١٠/١٤١٤هـ/ت

● الملاحظات التي أشير إليها في خطاب سموه أعلاه قد تم الأخذ بها وادخال التعديلات اللازمة عليها.

تقـــديم



تقـــديم

سـرّني أن يبادر الزميـل اللواء المتـقاعـد صالح مـحمـد الغفـيلي – السفيـر حاليًا – إلى وضـع هذا العمل الأدبي الذي سـجل أبرز محطات حياتـه العسكرية بعد تقاعـده مبتعـدًا عن كثير مما يؤخـذ على مثل هذا النوع من الكتابـات من غلو في السرد وتجسـيم للأحداث التي عاشـها، ومبادئها الراسخة التي تصقل الشـخصية وتنضج العقل وتسمو به إلى مـراقي الأهداف الوطنيـة على ثوابت قـوية من الإيمان، والانضبـاط، والإيثار والخلق القويم.

ولقـد لاحظت أن الزمـيل اللواء الغـفيلـي في كتـابه الجـديد «كنت ضابـطًا» قد وضع لنفسه منهـجًا سـار عليه في الكتـابة، فلم يعمـد إلى ذكـر التـفاصـيل الصـغيرة التي لا تـهم القارئ والتـي يلجأ إليـهـا –في العـادة– كـتـاب السـيـر الذاتيـة إذ نراه يكتـفي بـالوقـوف عند المحطات الرئيسـية في حـياته العـسكرية بالقـدر الذي يسـهم في تقـريب وبلورة المفـاهيم الوطنيـة التي قـامت عليـهـا النهـضـة المبـاركـة في بلادنا على صعـيدي بناء وحدة الوطن وإنشـاء القوات المسلحـة من خلال منظوره ورصده لها كمواطن وكجندي عاش البداية.

ووفق المنهج الذي اخـتطه المؤلـف لكتابـه نراه يعـرض لنا بأسلوبه

الجزل مـا كانت عليه أرضنا أثناء مـرحلة التوحيد بقيادة أسـد الجزيرة الملك عبدالعـزيز بن عبدالرحمن آل سعود (يرحـمه الله) وما رافق هذه المرحلة وتخللها من أحداث جسام فـي عصر النهضة الزاهر الذي تنعم به البلاد ولله الحمد.

مـؤكـدًا على أنه لولا الإيمان الواثق بالله والالتـزام الثـابت بكتـابه وسنة رسـوله ﷺ ثم الانتـمـاء للوطن لما كان هـذا الكيـان على الحـالة الراهنة من التـنمية والعـمـران والأمن والأمـان والحـضـور المؤثر في المحافل الدولية والقضايا الإقليمية.

ولعل مـا استوقـفني ولفت انتـباهي وأنا أقلب صـفحات الـكتاب أن المؤلف وهو ينتـقل من محطـة إلى أخرى لم يتـخذ مـقعـد المحاضـر، بل عـمل على إيصال الأفـكار التي أرادها في سيـاق سـرد تاريخي ممتع، فيه الحدث الشامل والفكرة الواضـحة والهدف المقصود. كل ذلك صيغ بسلاسة وصدق يخاطبان العقل والقلب معًا.

وإذ نقلب صـفـحات الكتاب نجد أن مـؤلفه يذكر بالفضل والـعرفان البلد الـذي أعطى، والقـائد الذي تـصـدر المسيـرة، والمدرس الذي علَّم وربى، وكل من أضاف شـيئًا مفـيدًا للوطن، وللمؤلف نفسـه على مدى حياته العسكرية الحافلة بالكثير من المواقف والمنعطفات.



وأخـيـرًا.. فليس يدور في خلدي أن أعـرض للقـارئ رأيًا يسـبق قراءته لـلكتاب، بل هدفت إلى التـأكيد عـلى أن كتاب «كنت ضـابطًا» يشكل إضافة جـديدة على ماسبق للزميل صـالح الغفيلي أن قدمـه قبلاً من كـتب وكـتـابات، على أنني لم أسـتـغرب تميز تلك الإضـافـات في ضـوء ما أعـرفه عن المـؤلف أثناء زمالة السـلاح الطويلة، من دقـة في التدوين وعـمق في التصوير وأمانة في العـرض، وهي - فيما أعـتقد- نتيجة لثقـافته وميله الشديد للقراءة والكتابة ولجـهوده العديدة في ميدان التـأليف والبـحث الأمـر الذي يُذكـر له، ويضـعـه في المكان اللائق بين صفوف كتابنا وأدبائنا المرموقين راجيًا له التوفيق ومزيدًا من العطاء.

هذا والله من وراء القصد

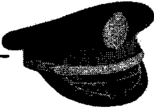
فريق أول ركن

محمد صالح الحماد

رئيس هيئة الأركان العامة

الرياض ١/٥/١٤١٤هـ

مقدمة



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فعندما راودتني فكرة هذا الكتاب كنت أدرك تمامًا ما قد يفرضه عليّ عنوانه «كنت ضابطًا» من التزامات أدبية تجاه القارئ الذي قد يتوقع مني أن أستعرض معه مراحل حياتي الوظيفية طيلة مدة خدمتي التي دامت أربعين عامًا ضابطًا بالقوات المسلحة بكل دقائقها وتفاصيلها لتكتمل الصورة في ذهنه عني وعن هذه الفترة من تاريخ القوات المسلحة.

وهو إن كان محقًا في توقعه هذا... إلا إنني أود -وليسمح لي القارئ- أن أنبه لأمر لن يخفى عليه بطبيعة الحال، وهو يقرأ سيرة حياة ضابط.

إن الكاتب -أي كاتب- وإن كان يتحدث عن نفسه إلا أنه سيجد، وهو يستعرض سجل حياته الوظيفية أو الخاصة، أمورًا لا يملك حق التحدث عنها إلا بقدر محدود، إما لخصوصيتها بالنسبة له، أو لأنها ذات أهمية خاصة تتعلق بطبيعة عمله السابق.

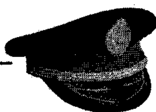


وهذا لا يعني - عزيزي القارئ- أن في مسيرة حياتي الوظيفية وسيرتي الذاتية ما أخفيه عنك ولكنها إشارة لتساؤل محتمل وإجابة عن سؤال قد يرد.

هذا.. والله ولي التوفيق

المؤلف

تمهيد



تمهيـــد

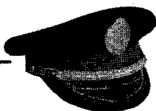
عندما بدأت بكتابة فصول هذا الكتاب وجدت لزامًا علي التعرض لما شـهدته القـوات المسلحـة من تطور ونمو خـلال ما يقـرب من نصف قرن في سياق الأحـداث التي عشتها أو كنت جزءًا منهـا أو متأثرًا بها، كفـترة التـأسيس التـي سبقـتني، سواء كـان ذلك في الجيـش أو الحرس الوطني أو الأمن العـام باعتـبار أن هـذه القوات وإن اخـتلفت مواقـعهـا وتباينت مـهامها تتكامل مـيدانيًا لتصبـح سياجًا يحمي الوطـن ويساعد في تقدمه وازدهاره بعون الله وتوفيقه.

لكنني ما أن شرعت بوضع الخطوط العريضـة لهذا التصور حتى وجدت أن هذا أكبر من أن يختزل في عبارات متناثرة في فصول سيرة واحـد من آلاف الضـبـاط الذي شكلـت خدمـتـهـم في القـوات المسلحـة تجـربة معـاصرة تركت بـصمـاتها وآثارها عليـهم حـتى بعد أن تركـوا الخدمة وانخرطوا في مجالات أخرى.

لذلك لم يكـن أمـامي والحـال هكذا إلا أن أضع بين يـديك عـزيزي القارئ تصـورًا متواضعًا ولمحة سريعة للأحداث التي سجلتها من وحي تجربتي الشخـصية، والتي يمكن اعتبـارها خلفية تاريخية تعكس شـيئًا عن واقع تلك الحقب الزمنية التي تعرضت لذكرها.



ولأهمية الربط بين الوضع التاريخي العام للقوات المسلحة وعناصر هذه السيرة الشخصية رأيت أن أبدأ بمرحلة البناء الأولى لهذه القوات التي انطلقت على يد مؤسس المملكة العربية السعودية ورمزها التاريخي الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (يرحمه الله).



الملك عبدالعزيز.. الجندي الأول[1]

المؤرخ العسكري المنصف يضع الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (رحمه الله) في مصاف القادة العظماء، فهو بحق الجندي الأول في الجيش العربي السعودي، وهو القائد المظفر الذي قاد هذا الجيش في معارك طاحنة كللها الله بالنصر المؤزر والتأييد المبين، وبنى بتوفيق من الله ثم بذلك الجيش تراثًا مجيدًا وثبت أمنًا في بلاد حُرِمَت من قبله الأمن والاستقرار وسادت فيها الفوضى والاضطراب وتهددها الخوف من كل جانب، ولم يكن هذا ليتحقق لو لم يكن هذا القائد ثابت القلب راسخ الإيمان، وكأني به يتمثل في قول الشاعر[2]:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

والملك عبدالعزيز طيب الله ثراه لم تكن تنقصه مقومات الشجاعة ولا دوافع الإقدام، فقد كان جنديًا وقائدًا شجاعًا مؤمنًا بقدسية هدفه

---

١ – توفي رحمه الله في الطائف بتاريخ ١٣٧٣/٣/٢هـ الموافق ١٩٥٣/٩/٩م ودفن في الرياض.
٢ – الشاعر أبو الطيب المتنبي.

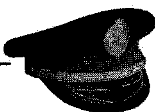
يتقدم صفوف قواته، ويخوض بنفسه معارك الفتح والتوحيد حتى أقر الله الأمن في ربوع هذه البلاد على يديه.

كان يتحلى ببعد النظر وسعة الأفق وتتوفر في شخصه عناصر النجابة والإقناع، فما واجهته مشكلة إلا وكان يتوقع حدوثها دارساً لأبعادها ملماً بكل أطرافها واضعاً لها القرار المناسب لحلها مبكراً، فكان بذلك يجمع بين كفاءة الجندي الشجاع وعبقرية القائد الملهم.

وللوقوف على هذا: ليس هناك أبلغ مما قاله الملك فيصل[1] رحمه الله في وصف شمائل أبيه وتأكيد عبقريته في الحرب والسلام، على حد سواء كما سيأتي ذكر ذلك تالياً.

---

١ - استشهد في مدينة الرياض بتاريخ ١٣/٣/١٣٩٥هـ الموافق ٢٥/٣/١٩٧٥م ودفن فيها.



الملك فيصل يصف والده

وإذا كانت حياة الملك عبدالعزيز يرحمه الله حياة غنية مليئة بالدروس والعبر والمواقف، فإن تسليط الضوء على بعض جوانب هذه الشخصية الفذة له طعم خاص إذا ما جاء من رجل عايش تجربة الملك المؤسس وتشرب منه فن القيادة وحكمة الإدارة؛ وأعني به الملك فيصل بن عبدالعزيز غفر الله له الذي قال في حديث أدلى به لمجلة المصور المصرية في عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨)[1] عندما طلب منه الحديث عن والده الملك عبدالعزيز رحمه الله.

قال: «ليس من اليسير أن أتحدث عن والدي كملك، لأن ذلك من حق التاريخ وحده، وربما كان غيري أقدر مني على إنصاف رجل عظيم مثله بنى ملكًا بِعَصَاميَّته، وحفظ للعرب تراثًا مجيدًا في البلاد المقدسة، وأقام الأمن والنظام في بقاع كانت تسودها الفوضى، ويهددها الخوف في طرقها وأرجائها والتي كانت تتألف من مقاطعات وإمارات وقبائل شتى في مساحات واسعة».

الفيصل لم يجاوز الحقيقة ولم يقصر عنها عندما يبيّن أنه ليس من اليسير الحديث عن بطل مثل عبدالعزيز الذي هو بحق علامة بارزة

١ – انظر: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز. لخير الدين الزركلي، ج ١، ص ٢٣.



في سيرة تاريخ جزيرة العرب، وهو بصدق معجزة حقيقية اعترف وأقرّ بها كل منصف سطر تاريخ الجزيرة العربية.

كما يجب أن يكون التاريخ سجلاً دقيقًا وصادقًا لحياة الشعوب، حسناتها وسيئاتها، أفراحها وأتراحها، أيامها المجيدة الناصعة البياض، وأيامها الحالكة القاتمة السواد، لا تاريخًا مزورًا تتنازعه الأهواء وتسيطر عليه العصبية والطائفية والسياسة المنحازة وتمليه الأحقاد والضغائن، أو يكون الحسد والكراهية هما لحمته وسداه وهما مبدأه ومنتهاه.

والفيصل (يرحمه الله) كان يدرك هذه الحقيقة، وكان يعي أيضًا صعوبة أن يتحدث الإنسان عن والده، وخصوصًا إذا كان مثل الملك عبدالعزيز في رجاحة عقله، وسداد رأيه، وصواب فكره، وشجاعته وإقدامه، وانتشار صيته، وسعة شهرته، وجليل أعماله، وطيب خصاله.

وكان يدرك أن أولئك الذي كتبوا عن سيرة الملك عبدالعزيز الجندي الأول في جيش المملكة العربية السعودية لم يفوه حقه على الرغم من اجتهادهم وحرصهم على بلوغ المقصود، كما كان يدرك أيضًا أن التاريخ لم يقل كلمته عن والده بعد.

ويستطرد الفيصل قائلاً في لقائه الصحفي مع مجلة المصور: غير أنني أستطيع أن أذكر بعض مزاياه التي هيأت له أن يبني هذا الكيان



وأن يشيِّد هذا المُلْك والسلطان، على الرغم مما صادفه من شدائد وأهوال لم تثنه عن الوصول إلى غايته، ولم تصرفه عن تحقيق أهدافه.

وأول هذه المزايا التي يتصف بها والدي قوة الإيمان، فما رأيته منذ نشأت قد ضعف إيمانه أو تخلى عن ثقته بنصر الله؛ ليقينه بأن قوة الإيمان كما نعلم هي أهم المزايا قاطبة وأشدها صمودًا في ساحات القتال وأعظمها تصميمًا على انتزاع النصر.

ودليلنا على ذلك أن بعض الدول تستخدم المرتزقة في حروبها، فما تستطيع الصمود طويلاً وما تلبث أن تهزم وتلوذ بالفرار، لأنها لا تؤمن بعدالة الهدف الذي تقاتل من أجله.

كذلك الثقة بنصر الله تبشر بقرب النصر، وتعجل بساعة الفوز المبين، لأن الثقة بنصر الله تعالى تعني حسن الظن به، والله يقول في الحديث القدسي «أنا عند حسن ظن عبدي بي» نعم: لو لم يكن كذلك لما تحقق له ما أراد.

وثانية هذه المزايا التي يتسم بها جلالته: قوة إرادته، وشجاعته التي تبرز في أحرج المواقف وأدق الظروف، وتاريخه الحربي زاخر بملاحم البطولة والإقدام.

وثالثها حكمته وأناته في معالجته لأمور دولته، وهو يتوخى حل

المشكلات بالسلم أولاً، كما أنه متسامح مع خصومه، وواسع الصدر لا يدخر وسعًا في استخدام المرونة ووسائل اللين، ولا يلجأ إلى الشدة إلا حين يستنفذ هذه الوسائل.

وقد تم بفضل سياسة الحكمة والحزم التي سار عليهما في إدارة بلاده الواسعة إقرار الأمن فيها على منوال غير معروف في أكثر البلاد حضارة ومدنية.

فاطمأن الناس على أرواحهم وأموالهم حتى ندر وقوع الحوادث العادية، ويرجع الفضل في ذلك إلى يقظته الزائدة وأخذه المجرمين بالشدة. (انتهى كلام الفيصل رحمه الله).

إن الهدف الذي نرمي إليه من هذا التمهيد هو الاستعراض الصادق لسيرة وإنجازات الملك عبدالعزيز كقائد عسكري، عبقري ملهم شَكَّل شخصه النواة الأولى، واللبنة الأساسية للجيش العربي السعودي، فهو لم يكن ملكًا فحسب، بل أنه بدأ ساعة انطلاقه في رحلة التوحيد جنديًا مقاتلاً وقائدًا فذًا، خاض بنفسه معارك الفتح والتوحيد.

وعبقريته (رحمه الله) تشبه انبثاق النور في الليلة الدهماء، فهي مشهودة واضحة المعالم قوية الدلائل يشهدها المرء بجلاء كما يشهد النور الوهاج في الليلة الظلماء.



فأساليب القتال العبقري التي حذقها الملك عبدالعزيز تحدَّرت إليه كلها عن طريق التلقين من آبائه وأجداده أو من تجاربهم، بل أن هناك إلهاماً وابتكاراً، وهناك قوة جبارة تكمن في شخصه يسانده عون من الله.

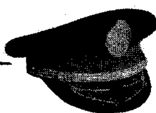
وإلا فأي إنسان في العاشرة من عمره يطيق الحرب والنزال؟ وأي إنسان يتحمل ما تحمله من لفحة الشمس وقسوة الفيافي والقفار ومعاركة الحياة؟

لقد نشأ -رحمه الله- منذ صغره نشأة الرجل الكبير يمارس الخشونة وأعمال المشقة والكدح وحمل السلاح في حين كان أترابه مازالوا يمرحون في مدارج الطفولة اللاهية العابثة.

لقد امتاز الملك عبدالعزيز بالنضج الباكر فبزّ أقرانه ببنيانه الوثيق، وكان يبدو دائماً في سن أكبر بكثير مما هو فيه. فقد غزا في أعقاب الثامنة عشرة من عمره حكومة نجد القوية ثم خرج من عاصمتها ليعود إليها في العشرين ويجعلها عاصمة السعوديين ويَرُدُّ إليها عزتها السليبة وسيادتها المضيعة.

والفتى الذي يستطيع أن يجالس مبارك الصباح وعبدالرحمن بن فيصل بن سعود وأعظم المفكرين من رجال القبائل ويظهر عليهم بعقله حتى ليقروا له بالنبوغ والتفوق، لهو مفكر عبقري موهوب.

بناء الجيش العربي
السعودي وتطوره



بناء الجيش العربي السعودي وتطوره

كان مـولد الجيش العـربي السعودي لـيلة فتح الرياض العـاصـة سنة ١٣١٩هـ «١٩٠١م»[1] وكـانت باكـورته أربعين رجـلاً مـغامـرًا يقـودهم الشاب الطموح عبدالعزيز فتى الفتيان، وهو آن ذاك ابن الواحد والعشرين عامًا، واستطاع بهذه النخبة الممتازة من رجاله من وضع اللبنة الأولى في دولتـه الشـاسـعة المتـرامـيـة الاطراف من خـلال سيـطرته على الرياض الحصينة في ساعات قليلة، وبجرأة وحنكة لم يسبق لها مثيل.

وما أن اسـتتـبت له الأمور، وأذعنت له القـوى، وخضـعت لسلطانه الرياض، ونادى له المنادي بالـمُلْكِ والسلطان، حـتى شـرع القائد الكـبيـر عبدالعزيز في التفكير في الخطوة التالية من خطوات الفتح المجيد، فنشأت الحاجـة إلى تعزيز قـوته الصـغـيرة التي تمـكنت رغم محـدوديتهـا وضآلة عددها من فتح تلك القلعة الحصينة والعاصمة الكبيرة .. الرياض.

ولأن الملك عـبدالعـزيز بفـتـحه الرياض قـد عـاد إلى أهله ووطنه، واستعاد ملك آبائه وأجداده، لذلك فقد اسـتبشر أهل الرياض وما حولها بهذا الـفتح المبين.. كـيف ولا وقد كانـت حاضرة نجـد وباديتهـا تنتظره بفارغ الصبر، وتترقب قدومه بلهفة شديدة لا مزيد عليها.

---

١ – صقر الجزيرة. لأحمد عبدالغفار عطار. ج٢، ص ٢٤٢.



وما أن تناقلت الركبان أخبار فتح الرياض حتى بادرت أفواج كبيرة وسارعت جموع غفيرة من البدو والحضر للإنضمام إلى جيشه، ودخلت طواعية تحت رايته، مؤمنة إيمانًا لا يتزعزع برسالته، راغبة في نصرته والذود عنه ومؤازرته.

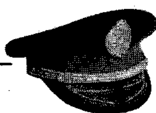
وانطلق بهذه الحشود الهائلة مرفوع الرأس وضّاء الجبين، ليكمل رحلة التوحيد الموفقة، فقد عزم على البلوغ بها أقصى مداها، وكان كلما فتح منطقة من المناطق أو ضم إقليمًا من الأقاليم، تتزايد من حوله الجموع ويرتفع تعداد جيشه ارتفاعًا كبيرًا، وتعلن له القبائل المحيطة الولاء والطاعة.

نعم! لقد بدأ هذا الكيان الكبير في مغامرة جريئة، ولكنها لم تكن من المغامرات الطائشة الفاقدة الأبعاد التي تخبط خبط عشواء، بحيث لا يستهدف منها سوى العودة بالغنيمة للأهل والقوم، وإنما كانت مغامرة عجيبة غريبة بدت ضروب الشجاعة فيها أسطورية وغذتها روح التضحية في سبيل استخلاص الحق[1].

إن في تفصيلات إستعادة مدينة الرياض ما يبعث الإعجاب، ويثير الدهشة، حيث كانت بداية كفاح طويل وجهاد كبير، فبعد أن ثبت

---

١ – فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة نقلاً عن: لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية: بتصرف ص ٤٨.



عبدالعزيز وضعه فيها، توالت الانتصارات متبوعة بالمبايعات من جميع أقاليم نجد.

وأخذ شأن عبدالعزيز يرتفع ومكانته تتأكد وأمره يعلو ويظهر، وبدأ المستقبل يبتسم له.

وصار عبدالعزيز سيد نجد بلا منازع، واستطاع مد حدوده من وادي الدواسر جنوبًا إلى جبل شمّر شمالاً، ومن حدود الإحساء الغربية الخاضعة للحكم العثماني إلى الحدود الشرقية للحجاز. ولا شك أن عبدالعزيز في تبنيه لحركة الإخوان قد تمكن من قلب ميزان القوى لصالحه في المنطقة، إذ أعطى نفسه مناعة وقوة ضد الطامعين، ففرض هيبته وبسط نفوذه.

ولكن هذه القوة كانت تتطلب كثيرًا من الإمكانات المادية، فبلاده كانت حتى ذلك الوقت داخليًا تفتقر إلى ما يعنيه على تنفيذ مخططه الوحدوي.

وعلى مدى ثلاثة عقود من الزمان أكمل فيها الملك عبدالعزيز توحيد أنحاء المملكة، كان اعتماده بعد الله على الجيش المكون من رجال حاضرة نجد، وهو ما أطلق عليه «جيش الجهاد» يدعمه جيش آخر مؤلف من أبناء البادية «جيش الإخوان» وبنى له «الهجر»



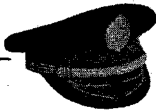
ليستقر بها، وتكون بمثابة ثكنات عسكرية له، ينطلق منها إذا ما دعا الداعي لنصرة جيش الجهاد.

وبطبيعة الحال لم يكن الجيشان على امتداد تلك الحقبة متمتعين في ذلك الوقت بأي تنظيم يذكر مما تتطلبه الجيوش الحديثة.

لهذا وفي عام ١٣٤٨هـ «١٩٢٠م» تم إنشاء أول إدارة للأمور العسكرية كنواة لتنظيم أكبر. كان من ثمراتها الأولى تقديم عرض للقوة العسكرية السعودية أمام الملك عبدالعزيز في جدة عام ١٣٤٩هـ «١٩٢٠م».

وكانت مؤلفة من فوج من المدفعية، وفوج من الرشاشات، وفوج من المشاة، وهكذا أخذت هذه القوة تنمو شيئًا فشيئًا، وتكتسب نموًا مضطردًا متزايدًا إلى جانب جيشي الإخوان والجهاد.

وفي عام ١٣٥٤هـ «١٩٢٥م» اتُّخِذَتْ خطوة تنظيمية أخرى عندما أمر الملك عبدالعزيز -يرحمه الله- بإنشاء وكالة الدفاع ومديرية الأمور العسكرية، وألغيت التشكيلات غير النظامية عدا جيش الجهاد، وعين عبدالله السليمان الحمدان، وزير المالية آنذاك، وكيلاً للدفاع، وقُسِّمَتْ القوات إلى سلاح المشاة، وسلاح المدفعية، وسلاح الفرسان، ونُظِّم الجيش على أساس كتائب وألوية، ووُزِّع تبعًا لوضع



الدولة الجغرافي على خمس مناطق[1] هي: المنطقة المركزية، والمنطقة الجنوبية الغربية، والمنطقة الجنوبية الشرقية، والمنطقة الشمالية الشرقية، والمنطقة الشمالية الغربية، وجعل مقر وكالة الدفاع بالطائف.

وفي عام ١٣٥٨هـ «١٩٣٩م»، استدعى الملك عبدالعزيز الزعيم المجاهد محمد طارق الإفريقي - الذي كان مقيماً في سوريا- وهو من مسلمي نيجيريا، وتعلم في ليبيا واسطنبول، وحصل على أعلى الشهادات العسكرية، وجاهد ضد الإيطاليين في ليبيا، وعينه الملك عبدالعزيز رئيساً لأركان أول جيش نظامي سعودي[2] للاستفادة من خبرته العسكرية، فوضع تشكيلات الفرقة المدربة الأولى للجيش، والفرقة الأولى للخيالة «الفرسان»، ووحد الزي العسكري والشارة العسكرية المميزة.

وفي عام ١٣٦٠هـ «١٩١٤م» أسندت رئاسة الأركان بالوكالة إلى المقدم جعفر الطيار قائد لواء المدفعية، وخلفه بعد وفاته في عام ١٣٦٢هـ «١٩٤٣م»، العقيد محسن الحارثي.

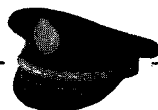
وفي أول ربيع الثاني ١٣٦٥هـ «٦ مارس ١٩٤٦م»، أنشئت وزارة الدفاع، وعُيِّن صاحب السمو الملكي الأمير منصور بن

---

١ - الملك الراشد.. جلالة المغفور له عبدالعزيز آل سعود. عبدالمنعم الغلامي. ص ٢٢٠.

٢ - • طويل العمر «الملك عبدالعزيز آل سعود. لمحي الدين رضا. ص ١٢٢.

• مذكرات عبدالله بلخير. جريدة الشرق الأوسط. ص ٧ . بتاريخ ١٠/٢/١٩٨٦م.



عبدالعزيز -يرحمه الله- أول وزير للدفاع برتبة فريق أول[١]. وكان عهده بداية النهضة العسكرية في الجيش، حيث وضع موازنة ثابتة للوزارة تضاعفت سنة بعد أخرى وأرسل البعثات العسكرية إلى الخارج، واستقدم بعثتين عسكريتين إحداهما أمريكية والأخرى بريطانية لتدريب الجيش العربي السعودي على مختلف أنواع الأسلحة، وأعيد في عهده فتح المدرسة العسكرية التي كانت قد افتتحت في مكة المكرمة عام ١٣٥٣هـ، وأقفلت في عهد وكيل الدفاع عبدالله السليمان لأسباب تنظيمية، كما افتتحت مدارس تخصصية أخرى في الجيش، وشيدت المستشفيات والنوادي العسكرية ومدرسة للطيران[٢].

أخذت القوات المسلحة السعودية في عهد صاحب السمو الملكي الأمير منصور[٣] (يرحمه الله) شكلها النظامي المكتمل، ووضع التشكيل الإداري لوزارة الدفاع، وتم في عهده إنشاء المصانع الحربية، ومرافق لإصلاح وتجهيز المطارات العسكرية.

وفي عام ١٣٧٠هـ عُيِّن صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبدالعزيز وزيرًا للدفاع والطيران خلفًا لأخيه صاحب السمو الملكي الأمير منصور، بعد وفاته (يرحمه الله).

---

١ - أم القرى. عدد رقم ١٣٢٠ بتاريخ ١٣٦٩/١٠/٤هـ - ١٩٥٩/٧/١٩م.
٢ - المراسيم والأوامر الملكية . المجموعة الثانية. مطابع الرياض. ص ٢٢.
٣ - توفي رحمه الله في باريس بتاريخ ١٣٧٠/٧/٢٤هـ ودفن في مكة المكرمة.



ويذكر أنه سبق لصاحب السمو الملكي الأمير مشعل أن مارس العمل في وزارة الدفاع نائبًا لصاحب السمو الملكي الأمير منصور، فسار على نهج أخيه، وواصل الجد والجهد للتقدم بالجيش إلى الأمام، في محاولة للوصول به إلى مصاف الجيوش المتقدمة في العالم.

لذلك فقد زار أمريكا وأوروبا للوقوف على ما وصلت إليه التقنية العسكرية وأساليبها المختلفة.

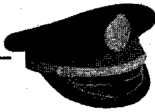
واستمر في تطوير القوات المسلحة تطويرًا متواصلاً حتى قدم سموه استقالته في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز (يرحمه الله) وبالتحديد في ١٣٧٦/٩/٢٤هـ.

ثم عيَّن الملك سعود نجله صاحب السمو الملكي الأمير فهد ابن سعود وزيرًا للدفاع والطيران[1]، تلاه أخوه صاحب السمو الملكي الأمير محمد ابن سعود بن عبدالعزيز «أمير منطقة الباحة حاليًا»، ليشغل منصب وزير الدفاع اعتبارًا من ١٣٨٠/٧/٣هـ وحتى ١٣٨٢/٦/٣هـ[2].

١- مرسوم رقم ١١٣٣/٢/٥ بتاريخ ١٣٧٦/٥/٢٤هـ «المراسيم والأوامر الملكية -المجموعة الثانية. ص ٢٣».

٢ - مرسوم رقم ٣٧ بتاريخ ١٣٨٠/٧/٣هـ نشر في أم القرى عدد رقم ١٨٥٠بتاريخ ١٣٨٠/٧/٥هـ - ١٩٦٠/١٢/٢٣م.

القوات المسلحة
في عصرها الذهبي



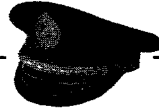
القوات المسلحة في عصرها الذهبي

كانت بداية هذا العصر[1] المتميز بإنجازاته الضخمة وبصوره الحضارية الزاهية التي تعيشها القوات المسلحة اليوم في مختلف الميادين والمجالات.

عندما صدر الأمر الملكي الكريم رقم ٢١[2] وتاريخ ١٣٨٢/٦/٣هـ. بتعيين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان ابن عبدالعزيز وزيراً للدفاع والطيران ومفتشًا عامًا، لتبدأ مرحلة من أهم المراحل التي مرت وتمر بها القوات المسلحة السعودية منذ إنشائها، وذلك بوضع الخطط الطموحة التي مهدت لتلك القفزة الواسعة والنقلة الحضارية الجبارة التي شملت في وقت متقارب جميع فروع القوات المسلحة في مختلف الميادين الفنية والتخصصات التقنية، وأنشأ المدن والقواعد العسكرية الضخمة لتكون المنطلق نحو مستقبل أفضل، والأرض الصلبة ليقام عليها صرح بناء قوات مسلحة حديثة، لذلك انصب جل اهتمام سموه منذ البداية على تقوية البنية الأساسية المتمثلة بالعناصر الثلاثة الرئيسية: المرافق، الأفراد، والسلاح.

ولتحقيق هذا الهدف وبلوغ تلك الغاية وُضِعَت الخطط وشُرِع في

١ - تم الاستناد في المعلومات الواردة في هذا الفصل على كتاب «القوات المسلحة السعودية» وهو من إصدارات إدارة الشؤون العامة بوزارة الدفاع والطيران لعام ١٤١٢هـ.
٢ - نشر في أم القرى عدد رقم ١٩٤٣ في ١٣٨٢/٦/٥هـ - ١٩٧٢/١١/٢م.



تنفيذها على مراحل متصلة بإشراف مباشر من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، ومتابعة نائبه صاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز، ومن قبله صاحب السمو الملكي الأمير تركي ابن عبدالعزيز الذي كان أول نائب لسمو وزير الدفاع والطيران، فأنشئت المدن العسكرية والقواعد الجوية والبحرية الحديثة التي وزعت على مختلف مناطق المملكة الهامة، والتي روعي عند تصميمها أن تحتوي على مختلف المرافق السكنية والإدارية والصحية والرياضية والتعليمية من معاهد ومدارس ومستشفيات، وتوفير كل ما من شأنه أن يجعل الحياة داخلها أسهل وأيسر من الحياة خارجها بما تضمه من مرافق حضارية تعكس الاهتمام الشامل بحياة المواطن السعودي.

ولأنه كان من الطبيعي أن يحاط هذا التطور النوعي بسياج من العلم والخبرة، وحتى لا تبقى الحصيلة المعرفية للجندي والضابط محصورة في نطاق تخصصه الميداني والفني، ووقفًا على أولئك المتطوعين من الشباب.

فقد جاء الاهتمام بفتح المجال أمام الشباب السعودي للالتحاق بمختلف المدارس والمعاهد الفنية والكليات العسكرية، التي لاقت إقبالاً منقطع النظير ، أعطى ثماره كفاءات شابة مؤهلة متسلحة بالعزيمة



الصادقة وبالحماس والاندفاع المخلص، ساهمت بالفكر والجهد في مرحلة البناء والتطوير، ومن هؤلاء من لايزال يعمل في الميدان، ومنهم من أفسح المجال لغيره بعد أن قام بالواجب وأدى المهمة.

ولا غرابة في ذلك، فعندما يكون الغرس طيباً فمن الطبيعي أن تكون الثمار يانعة وطيبة أيضاً.

وبهذا تم التحول في الشكل والموضوع، وباتت القوات المسلحة تحتل موقعها اللائق بها بعد أن أصبحت تملك قدرات تخصصية تمكنها من الاستجابة لجميع متطلبات الدفاع عن أراضي المملكة المترامية الأطراف وما تضمه من مقدسات إسلامية وثروات طبيعية.

ولم يكن ذلك ليحدث لولا اهتمام سموه وخبرته الإدارية الطويلة وقيادته الموفقة وتوجيهاته السديدة التي كان لها الأثر الفعال فيما تحقق على يديه من إنجازات كبيرة، وما وصلت إليه القوات المسلحة في زمن قياسي من أبعاد حضارية وضعتها بكل ثقة وجدارة في المكان الذي يتناسب مع الهدف الذي حدده لها القائد الأعلى للقوات المسلحة منذ ستة وثلاثين عاماً، حين تسلم سموه زمام وزارة الدفاع والطيران.

فمنذ ذلك التاريخ وعقارب الساعة لم تكن تدور لتخبر عن مرور الزمن فحسب، ولكن لتعلن عن انبثاق فجر يوم مشرق وإنجاز جديد.



فها هي القوات المسلحة تسير في اتجاه الهدف المرسوم لها بعد أن أصبحت تقف على أرض صلبة وقاعدة قوية من العلم والمعرفة، عميقة الجذور، راسخة القناعات الإيمانية بالله ثم بحق الوطن، لأنها بدون هذا لن تكون قادرة على تحمل واستيعاب منجزات المراحل القادمة، فالطموحات كثيرة والآمال واسعة، ومسايرة متطلبات العصر لن تسمح بالتوقف والجمود.

ومع أن الإنجازات التي حققتها وحدات الجيش العربي السعودي تكاد تتحدث عن نفسها، فإننا نعرض فيما يلي نبذة موجزة عن تطور مختلف الوحدات وصولاً إلى تكوين صورة لما حققته القيادة الحكيمة في مجال تحديث وتطوير قواتنا المسلحة.

القـــوات البـــرية

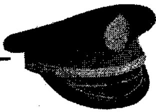


القـــوات البـــرية

القوات البـرية بصفتهـا العمود الفقـري للقوات المسلحة نجد أنـها قد نالت من لدن سموه إهتمامًا خاصًا باعتبارها القوة الأقدم، القوة المحورية التي تدور وفي فلكها القـوات الأخرى، وتعمل من أجل أن تحقق هـدفها، وتبلغ غايتها، أو ليست هي من يقطف الثمرة ويحافظ عليها -هكذا يقول رجالها المنتـسبون لها- إنها هي من تحتل الأرض وتطهـرها، ولتمكينها من القـيام بهذه المهـمـة المنوطة بهـا، زودت بأحدث الأسلـحة والمعـدات العـسكرية المتطورة، بعـد أن استكملـت بنيتـها الأسـاسـية بإنشـاء المدن العسكرية العملاقة التي تتحدث عن نفسها، كمعالم حضـارية بما تحتويه هذه من وحدات سكنية ومرافق تعليمـية وصـحية متكاملة، وهي مع ذلك في سبـاق دائم مع الزمن، ولاتزال خططها ماضـية تتجدد يومـًا بعد يوم لتواكب متطلبـات النمو والتطور المتسارع، ولتحـافظ على مكانها اللائق بها بين فروع القوات المسلحة الأخرى.

ولعل مشروع طيران الجيش الذي أصبح واقـعًا ملموسًا فاعلاً يعد أهم عناصر الإسناد التكتيكي الذي دعمت به الـقوات البرية مؤخرًا بما يضمه من طائرات عمودية حديثة مـتعددة الأنواع والمهام القتالية، ولن تقف عند هذا الحد، فالطموحات كبيرة والآمال واسعة، وما يُعَدُ لها من قبَل القيادة الرشيدة ما سيحقق لها كل ذلك بإذن الله تعالى.

القـــوات الجـــوية



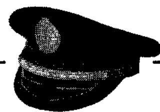
القوات الجوية

وإذا كانت القوات البرية قد قطعت أشواطًا طموحة في مختلف الأسلحة التي تتألف منها، كالمدفعية والمدرعات وغيرهما من أسلحة الإسناد، فإن القوات الجوية[1] كذلك قد نالت هي الأخرى من الاهتمام ما دفع بها خطوات إلى الأمام وساعد على ذلك طبيعة مهمتها الأسرع تأثيرًا والأقوى فعالية كيف لا وهي تشكل مع منظومة الدفاعات الجوية الأخرى السياج الواقي بعد الله لحماية وتوطيد أمن واستقرار هذا الوطن.

وهي بهذا الشأن قد حققت قفزات كبيرة في زمن قصير، فواقعها اليوم لا يقبل أدنى مقارنة مع ما كانت عليه في الماضي في بداية عهدها عندما كانت قطاعًا صغيرًا متواضعًا أنشيء في جدة عام ١٣٨١هـ الموافق ١٩٦١م، وتحول اسمها إلى سلاح الطيران الجوي الملكي السعودي وتتابعت بعد ذلك الخطوات وتسارعت عبر مراحل نمو وتطور مختلفة إلى أن أصبحت في عام ١٣٩٣هـ الموافق ١٩٧٣م ولله الحمد قوة جوية مهابة الجانب لما تضم قواعدها الضخمة من أحدث الطائرات ومن الرجال الأكفاء الذين يصلون الليل بالنهار في التدريب لاكتساب الخبرة والتزود بالمعرفة، ولعل تاريخها القريب ينطق بذلك ويؤكده.

---

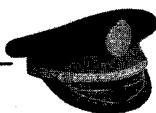
١ - في سنة ١٣٩٣هـ تحول سلاح الطيران إلى القوات الجوية الملكية السعودية.



ولم يكن هذا بفعل مرور الزمن وتعاقب الأيام فحسب، وإنما كانت نتيجة متوقعة وتقديرات محسوبة لتلك المشاريع الخمسة العملاقة التي عاشتها القوات الجوية، والتي كانت ترجمة صادقة أمينة وتعبيراً مخلصاً لطموحات سموه وبُعْد نظرته الاستراتيجية واتساع أفقه وعمق تفكيره.

كانت البداية مشروع «صقر السلام»، ثم تتابعت بعده المشاريع الأربعة الأخرى، مشروع «شمس السلام»، مشروع «درع السلام»، مشروع «حارس السلام»، وأخيراً وليس آخراً المشروع الأكبر، وهو مشروع «اليمامة» الذي سيكون أول ثمراته الخيرة -إن شاء الله- الانتهاء من بناء قاعدة وكلية جوية عملاقة تحلّ محلّ الكلية الحالية في موقع آخر أكثر اتساعاً وأقدر على استيعاب احتمالات المستقبل، إلى جانب مشاريع أخرى لا تقل أهمية، وكلها ستضيف إلى سجل القوات الجوية مزيداً من الصور الحضارية الزاهية، وتجعلها أكثر قدرة وفعالية.

القــوات البحــرية



القــوات البحــرية

أمـا بالنسبـة للقـوات البـحرية فـهي وإن كـانت قد جـاءت مـتأخـرة بالقياس لنشأة القوات البرية والجوية، إلا أنها وبتوفيق من عند الله وبما قدم لـها من دعم، ومـا نالته من اهتـمام القـيادة الحكيـمة اسـتطاعت أن تلحق بالركب وتقف على قدمـيها لتظهر كقـوة يعتمد عليـها بعد الله في حماية شواطئ المملكة ومياهها الإقليمية، والدفاع عن ثرواتها الطبيعية.

وقد تأسست القوات البحـرية الملكية السعودية عام ١٣٨٠هـ على الساحل الشـرقي للمملكة، وخلال فتـرة قصيرة أصـبحت تتمتع بالـثقة والاقـتدار بقـواعدها البـحرية المتطورة فـنياً وحـضارياً على السـاحلين الشرقي والغربي بشكل مكنها من المسـاهمة في حماية الإنجازات التي حققـتها برامج التنميـة الشاملة والتي كان الاهتمـام الأول فيها التـركيز على إيجاد الـعناصر الأساسـية لإقـامة بناء شامخ قـوي متـماسك، من الكوادر الفنية السعودية المؤهلة، والمرافق السكنية والتعليمية.

فوضعت لذلك الخطط الناجحة وشرعت في تنفيذها، حيث فتحت المدارس وحـــددت مـناطق الانطـلاق، ولمســايرة الـزمن وتحـــقـــيق الطمـوحـات وبلـوغ الغـايات والأهداف، ابتـعث الكثـيـر من الشـبـاب السـعودي للدراسـات البـحرية في الخـارج، فكانوا البـذرة الطيبـة التي نمت وترعرعت لتصبح شجرة عملاقة أخذت تؤتي ثمارها.



وها هي القواعد البحرية الحديثة الكاملة التجهيز على الساحلين الشرقي والغربي للمملكة، وتعج بالحركة الدؤوب وبالشباب السعودي، ترسو على أرصفتها قطع بحرية، والكلية البحرية[1] والمعاهد والمدارس تلقن الدارسين فيها مختلف العلوم البحرية والتخصصات الفنية لشباب سعودي رغب في اقتحام اللُّجّ ومواجهة الصعاب، أثبتوا وجودهم، وعبّروا عن أنفسهم ومقدار استيعابهم لما تلقوه من علم وتدريب، وترجموا حقيقة أحاسيسهم ومشاعرهم الوطنية وإخلاصهم وتفانيهم في المواقف الميدانية المشرفة التي أكدوا من خلالها كفاءتهم وصلابة عودهم وقوة عزيمتهم، فقد خاضوا مواقف رجولية سجلت لهم على صفحات مياه الخليج كرواد بحر، وقادة يحسنون التصرف والتعامل مع مختلف المواقف والظروف الصعبة.

ومازالت القوات البحرية ماضية في تحديث خططها وتطويرها، وعجلة الحياة فيها دائمة الدوران. فحجمها يكبر يوماً بعد يوم، وقوتها تزداد ليس من حيث الكم وحسب، وإنما من حيث النوع الفاعل.

---

١ – صدر قرار مجلس الوزراء بتاريخ ١٤٠٣/٧/٦هـ بالموافقة على إنشاء كلية الملك فهد البحرية وبدأت الدراسة فيها في موقعها الحالي في مدينة الجبيل في العام الدراسي ١٤٠٥–١٤٠٦هـ.

قـــوات
الدفـــاع الجـــوي



قـوات الدفـاع الجـوي

كـانت بداية الدفاع الجـوي في عام ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٥م ضـمن تشكيل سلاح المدفعية[1] وكان تسليحـه آنذاك بمدافع خفيفـة عيار ٣٠ مم، ومدافع عيار ٤٠ مم وبعد فترة انضمت للخدمة مدافع ثقيلة عيار ١٢٠مم، ٩٠مم المضـادة للطائرات إلـى أن تم فـصله في عـام ١٣٨٦هـ عن سـلاح المدفعية ليصبح سلاحًا مسـتقلاً بذاته وفي نفس العام تمت صفقة صواريخ الهوك، وكانت تلك هي بداية النقلة الكبيرة إلى معدات أكثر تطورًا.

وفي عام ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م تقرر ربط الدفاع الجوي برئيس هيئـة الأركان العـامـة مـباشـرة، بدلاً من قـائد القـوات البـرية[2]، وذلك كمرحلة انتقالية لتشكيل القوة، وفي عام ١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٤م -كما ذكرنا آنفًا- صدرت الأوامر السـامية بجـعل الدفاع الجـوي قوة مسـتقلة رابعــة باسم «قـوات الـدفـاع الجـوي»، وذلك نتـيـجـة لازديـاد مناطق مسؤوليتها، ولتشعب علاقاتها مع أفرع القوات المسلحة الأخرى.

ومنذ ذلك التاريخ أخـذت قوات الدفاع الجوي الفـنية تشهـد قفزات هائلة، وإنجـازات كـبـيرة بوضـع الخطط الطمـوحـة بهـدف تطوير

١ - نشـرة ... نشأة وتطور قـوات الدفـاع الجوي الملكـي السعـودي . إعداد: قـسم الشـؤون العامـة لقوات الدفاع الجوي : طبع في معهد الدفاع بجدة.
٢ - القوات المسلحة السعودية .. كتاب من إصدارات الشئون العامة للقوات المسلحة.

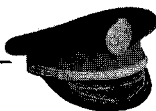


واسـتكمال مـخـتلف العناصـر البشـرية والفنيـة فـيهـا، وذلك بتـزويدها بأحدث وأفضل ما صنع من معدات وأسلحة الدفاع الجوي في العالم.

إلى جـانب ذلك عُمِل على استـقطاب الشباب الـسعـودي المؤهل للانخـراط في قـوات الدفـاع الجـوي، فـمنهم مـن يوجـه إلى كليـة الملك عـبدالعـزيز الحـربية، لـينضم بعد تـخرجـه ضابـطًا إلى وحدات قـوات الدفاع الجوي، ومنهم من يتم ابتعاثه إلى فرنسا للدراسة في كلية «سان سيـر» العسكرية المشـهورة ليـتخـرج منها بعـد خمس سنوات دراسـية ضابطًا برتبة ملازم أول.

وقـد تخـرج من هؤلاء عـدد كـبـيـر يتـعـامـلون اليـوم مع المعـدات الفرنسية بكل كفاءة واقتدار، ناهيك عن أولئك الأفراد الذين يتم تأهيلهم في مـعـهـد ومـركـز ومـدرسـة قـوات الـدفـاع الجـوي في كل من جـدة والطائف على مـخـتلـف التـخـصصـات الـفنيـة والتـقنيـة، ومن هؤلاء يتشكل الـعمود الـفقري لقـوات الدفاع الجوي التي مـازالت ماضـية في تنفيـذ خططها الطـموحة التي سـتمكنهـا بإذن الله من أن تغطي جـميع حدود المملكة للدفاع عنها بكل كفاءة واقتدار.

ومما لاشك فـيه أن تعـيين سـمو الـفريق الركن خـالد بن سلطان قـائدًا لقوات الدفاع الجوي كان له الأثر الأكبر فيما تحقق لهذه القوة الفنية في زمن قياسي من إنجازات كبيرة وقفزات واسعة على الصعيدين الفني والبشري.



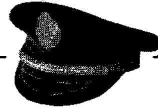
ومـا كان ذلك إلا نتـيجـة للرغـبة الصـادقـة لدى سمـوه والحمـاس المخلص والاندفاع المدروس للنهـوض بهذه القوة وجـعلها جديرة بالقـيام بمهمة الدفاع عن أجواء المملكة وحمايتها.

وقد اخـتتم سموه خـدمته العسكريـة بما حققه من نجـاح ميداني كبـير كقائد للقوات المشتركة ومسرح العمليات ضمن قوات التحالف الدولي التي تم تشكيلهـا إثر الغزو العـراقي للكويت في أغـسطس عام ١٩٩٠م، حـيث كانت له مساهمة قيادية ودور بارز في وضع الخطط التكتيكية التي نجحت في طرد القوات العراقية وتحرير الكويت وإعادة الحق إلى أصحابه.

وإذا كنت تحـدثت فـيمـا تقـدم من إنجـاز واخـتصـار شـديدين عن الإنجازات الكبيرة لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان ابن عبدالعزيز ودوره الفاعل في بناء صرح القوات المسلحة فلأن عهد سموه غني عن الإشارة والتعريف لقارئ اليوم.

فالشواهد على مـا تحقق على يديه قائمة ظاهرة للعـيان، والحديث بشيء من التفصيل عن أفرع القـوات المسلحة ومراحل تطورها يحتاج إلى موسوعة لإعطائها حقها.

ولا أراني في هذه العجالة وفي كـتاب متواضع كهـذا يحكي سيرة ضابط قـادراً على سرد قصــة الثلاثة عقود ونيـف التي عاشها سـموه، بانياً ومـا زال يشيد ويزيد البناء علواً يوماً بعـد يوم، وساعة بعـد ساعة



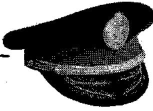
باذلاً قصارى جهده للوصول بها إلى ما يرجوه ويصبو إليه من مستوى يليق بها، يساعده في هذا ويسانده نائبه صاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز، ولكن ما تجدر الإشارة إليه هو أن وزارة الدفاع والطيران السعودية تعيش اليوم عصرها الذهبي بحق وصدق، بعد أن اكتملت بنيتها الأساسية ببناء أحدث المدن والقواعد العسكرية، وأكبرها موزعة على خارطة المملكة.

واكتمل تطورها سواء على صعيد الطيران المدني، والشبكة الهائلة من أحدث المطارات في العالم أو على صعيد القوات المسلحة بأفرعها الأربعة: القوات البرية، والقوات الجوية، والقوات البحرية وقوات الدفاع الجوي.

وهذه الأخيرة كانت الحلقة التي أكملت العقد الذهبي للقوات المسلحة، بعد أن أصدرت الأوامر السامية في عام ١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٤م بجعل الدفاع الجوي قوة مستقلة رابعة باسم «قوات الدفاع الجوي الملكي السعودي».

كانت هذه ملامح مضيئة لبعض إنجازات سموه في مرحلة إعادة بناء القوات المسلحة، وما تلاها من مراحل التحديث والتطوير، لم أجد معها حاجة لمزيد من الشرح والتفصيل، لأنها معالم تتحدث عن نفسها.

الحرس الوطني



الحــرس الوطـــني

يحتـاج الحديث عن الحـرس الوطني –تلك القوة العـسكرية الفتـية التي تشد أزر أفرع الـقوات المسلحة، وتقف معهـا صفًا واحدًا مـتماسكًا في ميادين القـتال بكل شجاعة واستـبسال– إلى صفحات وصـفحات، بل موسـوعة من عـدة مجلدات، ولكنهـا لمحة سريعـة نستعـرض فيـها الخطوط العريضة لمراحل تأسيس هذا الصرح العسكري الشامخ.

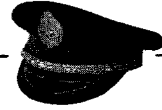
ومع أنه لا يحــتـاج مني إلـى تعـريف، باعــتـبـار أن المـعـروف لا يُعـرَّف، والعلم المرفرف يُرَى مـن فوق رؤوس المبـاني، فإن الحـديث[1] عن الحــرس الوطني يـفـرض نفـســه عند الحــديث عن الإنجــازات العسكريـة الكبيرة والقـفزات الواسـعة التي حقـقتـها قواتنا المسلحة في مـختلف مـجالات الحـياة الحـضاريـة التي استـهدفت رفـعة الإنسـان، ووضـعه في المسـار الصـحيح والموقـع الذي جعله أكـثـر عطاءً ووعيًـا وإدراكًـا لماهيـة دوره في بناء الوطن، فـأصـبح بذلك عـلامة حـضـارية بارزة ورمزًا وطنيًا يشار إليه بالبنان.

وقد كانت بداية الحرس الوطني في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز[2]

---

١ – الأصالة والمسيرة .. تأليف: الدكتور عبدالرحمن السبيت ، محمد محمود التوبة ، الدكتور طه الفراء.

٢ – توفي رحمه الله في الرياض بتاريخ ١٣٨٨/١٢/٦هـ ودفن فيها.

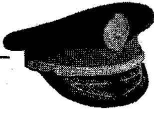


(يرحـمـه الله). فـقـد رأى فـي عـام ١٣٧٤هـ أن يطـوّر مكتب الجـهـاد والمجـاهدين الذي كـان مـرتبطاً آنذاك بالديوان الملكـي إلى صيـغـة جـديدة عصرية تتناسب مع المرحلة التي كانت المملكة تعيشها، وتتجاوز الأشكال والأساليب التي ناسبت المراحل السابقة.

ولتـحقـيق هذا الهـدف صدر الأمـر الملكي الكريم بـتشكيل الحـرس الوطني في سائر أنحاء المملكة، وكان ذلك تحديداً في ١٣٧٤/٩/١٠هـ، حيث خصصت له ميزانية مستقلة، وأوامر ولوائح منظمة لأعماله.

ولإبراز هذا التشكيل الجديد وإخراجه إلى حيز الوجود، انضم إلى صـفـوفه الألوف من المجـاهدين الذيـن كانوا تحت إمـرة مكتب الجـهـاد والمجاهدين.

فـتـشكلت منهم أفـواج الحـرس الوطـنـي وألويتـه الأولى، أمـا من لم ينضم من هؤلاء إلى هذا التشكيل فقد بقي مرتبطاً بالديوان الملكي وتحت إمرة مـكتب الجـهـاد والمجاهدين يمارس أعـماله ويقـوم بواجبـاته المنوطة به، وبمهامه الموكلة إليه، إلى أن صدر الأمر السامي رقم ٩٧٤٤ بتاريخ ١٣٨٣/٥/٧هـ بـتـغـيير اسم هذا المكتـب إلى الإدارة العامـة للمجـاهدين كـفرع من فـروع مـقام وزارة الداخليـة ليـمارس أفـراده مـهام أمنيـة هي امتداد طبيعي لتاريخهم المجيد في مرحلة التأسيس الأولى.

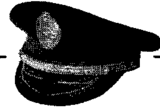


ولبدء المسيرة المباركة بعد صدور التشكيل ولإخراجه إلى واقع ملموس، عُيّن سمو الأمير عبدالله الفيصل الفرحان رئيساً للحرس الوطني، وكانت أولى خطواته أن شرع في وضع أول نظام للحرس الوطني صدر بالأمر الملكي رقم ٤٥٦٦٢٢/٦ تاريخ ١٣٧٥/١٢/١٤هـ وفي ١٣٧٦/١٢/١هـ عُيِّن سمو الأمير خالد بن سعود بن عبدالعزيز رئيساً للحرس الوطني.

وفي ١٣٨١/١٢/١هـ خَلَفَهُ سمو الأمير سعد بن سعود بن عبدالعزيز.

وقد استمرت هذه المرحلة التأسيسية الهامة في حياة الحرس الوطني في سيرها الرتيب، ونظراً لتضاعف مهامه وتزايد الإقبال عليه من أبناء شعبه ومواطنيه –بينما هو باقٍ في إطاره التقليدي– صار واضحًا أنه يحتاج إلى نقلة نوعية تحفظ أصالة هذا التشكيل العريق، وتعطيه في الوقت نفسه من روح العصر قوة جديدة.

وفي عام ١٣٨٢هـ رأى القائد الأعلى للقوات المسلحة الملك سعود (رحمه الله) أن أموراً كثيرة قد جدت، ومرحلة جديدة أطلت بأشعتها مما جعل من الضروري أن يعاد النظر في كل نواحي هذا التشكيل ليخدم على وجه أفضل مصالح المملكة العربية السعودية ويسهم إسهاماً أكثر فعالية وأنجع في حماية أمنها واستقرارها.



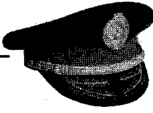
والمهمة واضحة ولكنها مسؤولية جد جسيمة، والتصور سهل ولكن تنفيذه يحتاج إلى كاهل جلد دؤوب صبور، والخطة صريحة ولكنها بحاجة إلى البصر والبصيرة، والقيادة الواعية التي تفهم نبض الإنسان العربي المسلم، وتفهم أيضًا أهمية الدخول إلى مسرح الحدث في اللحظة التاريخية المناسبة، قيادة تنسج خيوط المستقبل، وتقتحم أهدافه بجرأة وثقة ونظرة صائبة، لا تنتظر بسلبية واسترخاء.

ولإنجاز تلك المهمة، ولتحقيق ذلك التصور، ولتنفيذ تلك الخطة وقع اختيار القائد الأعلى على صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ليكون رئيسًا للحرس الوطني عام ١٣٨٢هـ، وما يزال يشغل هذا المنصب منذ نيف وثلاثين عاماً.

وسموه يولي هذا القطاع العسكري الهام جل اهتمامه وتفكيره إلى جانب دوره القيادي والسياسي بصفته ولياً للعهد ونائباً لرئيس مجلس الوزراء.

ليس من نافلة القول، وإنما لإقرار حقيقة وواقع ملموس، أن تعيين سموه رئيسًا للحرس الوطني كان إيذانًا بانطلاقة قوية لدخول عصر زاهر ومرحلة نوعية جديدة.

وكان من دعامات قوتها وثبات بنيانها أن انضم بتاريخ ١٣٨٧/١/٣هـ صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبدالعزيز نائباً



لرئيس الحرس الوطني ليكون عضداً لأخيه، وعوناً له على تحمل هذه المسؤولية الكبيرة، والمهمة الجسيمة الملقاة على عاتقيهما.

بعد تولي سمو الأمير عبدالله رئاسة الحرس الوطني، كان لابدّ لسموه من وقفة متأنية متعمقة يدرس فيها احتياجات الحرس الوطني دراسة تفصيلية مستفيضة، فشكّل لذلك اللجان الفنية المتعددة، واستعان بالكثير من الخبراء ذوي الاختصاصات المتنوعة، حتى إذا نضجت الدراسات وارتسمت أمام سموه خيارات عديدة، اندفع بانطلاقة الحرس الوطني في مسارات واضحة ترسم بوضوح معالم المستقبل، وكانت الخطوط العريضة التي وجه بها هي المسارات الأربعة التالية:

الأول: توضيح الفكر الموجه للحرس الوطني

ولتوضيح هذا المنهج، جاءت ترجمته على لسان سموه عندما قال: «الحرس الوطني سيسير في كل اتجاه.. عسكري واجتماعي وتعليمي وفني كلما وجدنا الظروف مواتية والفرصة سانحة، فالعالم يتغير من حولنا ويسير في اتجاه التغيرات الكبرى، ونحن في هذا الجزء من العالم نتابع ما يجري ونتفهم مشكلاته، ونأخذ منه وعنه ما نرى أنه مفيد لنا، ونرفض كل شيء يضر بنا وبمعتقداتنا وأصالتنا، لذلك ستكون اتجاهاتنا في الحرس الوطني سائرة وفق ما أشرنا إليه... وسنطور مفهوم الإنسان ونرتقي بفكره ليساير تطوير سلاحه ومفهومه العسكري.



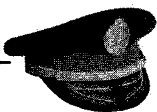
الثاني: إعادة التنظيم الشامل

كان من البديهي أن يعتمد التطور لتحقيق الهدف المنشود على أسس مدروسة وقواعد ثابتة من أهمها التنظيم السليم والتدرج المتزن في تنفيذه.

والحرس الوطني، ممثلاً بقيادته الحكيمة، لم يغفل هذا الجانب الذي يدرك أهميتـه، لذلك كـان توجيـه سـموه بضـرورة البـدء بإجراء إعـادة تنظيم شـاملة خطوة أساسيـة استـهدفت فتح القنـوات الإدارية التي كان لابد من وجـودها لتسـاعـد القيـادة على تنـفيـذ الخطة، والسـيـر بالعـمل بصورة تحـقق طموحات الأهداف الموضـوعة، وكذلك لإيجـاد التسلسل الإداري والقيـادي المناسب لطبيـعـة الحـرس الوطني، بما يكفل القيـام بأعـباء المـهام التي حـددتهـا صـور الهيـاكل التنظيـمـية لمخـتلف الفـروع الإدارية، والجـهـاز العسكري في هذه القـيادة على وجه الخـصـوص، هو بمثابة هيـئة الأركان العامة، بما يـقوم به من دور فاعل في مجـال القيادة الميدانيـة والتخطيط، ورسم أهداف التدريب العـامة، والإشراف المبـاشر على تنفيذها، وكذلك تقدير الاحتياجات العسكرية وتقديم المشورة بشأنها والاضطلاع بكل ما يتعلق بذلك بصورة تساعد القيادة على اتخاذ القرار إلى جانب إجراء التنسيق اللازم مع القطاعات العسكرية الأخرى.

الثالث: بناء القوة العسكرية الحديثة

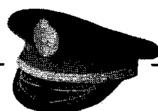
تستدعي طبيعة المملكة الجغرافية واتساع مساحتها وموقعها الهام،



واحتضانها لأهم مقدسات المسلمين واحتواء أرضها على أهم الثروات الطبيعية في العالم بناء قوة عسكرية قادرة على حماية أرضها، والحفاظ على مصالحها الحيوية، ودعم دورها الخليجي والعربي والإسلامي.

من هذا المنطق برزت لسموه أهمية إعادة تنظيم الحرس الوطني بهدف بناء قوته العسكرية بوصفه قطاعًا هامًا من قطاعات القوات المسلحة، ونظرًا لتزايد مسؤوليات المملكة نتيجة للتقدم التقني الهائل في مجال صناعة الأسلحة، فقد بات ضروريًا تطوير وحدات الحرس الوطني لتؤدي رسالتها وتقوم بدورها على أكمل وجه.

ولتحقيق هذا الهدف تم في ١٣٩٤/٣/١٢هـ تشكيل جيل ثالث من الوحدات العسكرية: هي فرق الأسلحة المشتركة المزودة بالمدرعات وبالأسلحة المتنقلة للدفاع الجوي، ونظم الدفاع ضد الدبابات، وبطاريات المدفعية وغير ذلك من أسلحة أخرى متطورة، وبالحصول على الأسلحة الحديثة وبالتدريب المتقدم والتمرين المتواصل أصبحت قوات الحرس الوطني أقوى تسليحًا وأفضل تدريبًا وأحدث تنظيمًا، وهي في الميدان سريعة الحركة والتنقل، ممتازة التجهيز، كثيفة النيران، متواصلة الإمداد تتصف بالنظام والانضباط، تتعامل بكفاءة عالية مع مختلف الظروف التعبوية.



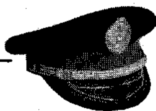
ولأن مرحلة التطوير لا تتوقف، ولإيجاد العنصر البشري الأكثر تأهيلاً من الضباط والقادة الأكفاء، أضيف صرح جديد إلى منظومة التدريب العسكري؛ إذ تم في عام ١٤٠٣هـ افتتاح كلية الملك خالد العسكرية بالرياض[1]، وهي امتداد عضوي ونمو طبيعي للمدرسة العسكرية التي كانت قد أنشئت عام ١٣٩٣هـ حيث كانت تقوم بتغذية الحرس من الضباط والأفراد المدربين.

وبداية من عام ١٤٠٥هـ حيث تم تخريج الفوج الأول من الطلبة الضباط أصبحت الانطلاقة القوية لا تتوقف ولله الحمد حيث أخذت هذه الكلية مكانها اللائق بها بكل ثقة بين شقيقاتها الأخريات في القوات المسلحة، ولعل التنافس العلمي الشريف المشاهد بين هذه الكليات لاستقطاب الشباب السعودي المؤهل يشكل هدفًا استراتيجيًا لتأهيل ضباط أكفاء قادرين على عطاء أفضل يؤكد ميدانيًا وإداريًا ما استوعبوه من علوم عسكرية وفنون تقنية وإنسانية متقدمة صقلت عقولهم بفكر نير وإيمان عميق بالله والوطن وبحقه عليهم.

ولأنه يراد تمكين هذه الكلية الفتية من تجاوز المرحلة والدخول في سباق مع الزمن على نحو لا يخل بتوازن الأداء فيها، تم تعيين صاحب

---

١ – توفي رحمه الله في الطائف بتاريخ ١٤٠٢/٨/٢١هـ ودفن في الرياض.



السمو الملكي الفريق الركن متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز قائداً لها إلى جانب مهام سموه العسكرية الأخرى، فنالت من اهتمامه ورعايته الشيء الكثير ما كفل لها اختصار الزمن وتحقيق النجاح وتبوء المكان اللائق بها الأمر الذي جعلها محط أنظار الشباب السعودي الطموح.

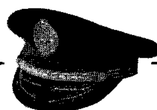
الرابع: الدور الحضاري للحرس الوطني

تمشياً مع أهداف الخطة الموضوعة من قيادة الحرس الوطني، وتنفيذاً لمقتضياتها، قامت الأجهزة المعنية بالحرس كل في مجال اختصاصه بالشروع في ترجمة مهمته ليصبح واقعاً ملموساً وأمراً واضحاً جلياً في حياة المنتمين إليه.

والمجال هنا لا يتسع لرصد كافة المظاهر الحضارية والأنشطة المختلفة التي استهدفت رقي الإنسان بالحرس الوطني عقلاً وفكراً بما يعزز قوة عقيدته الإسلامية وعزته الوطنية.

ووفق هذه الخطوط التي جئنا على ذكرها، برزت القسمات الجديدة للحرس الوطني وانبثقت عنه تشكيلات جديدة وزالت تراكيب قديمة.

كانت تلك التوجيهات إشارة البدء التي أعطت لانطلاقة الحرس الوطني زخماً شديداً متصاعداً ووتيرة عالية، فانكسر السكون في السير وزالت الرتابة واختفت الرتابة واختفت النمطية وجرى التحول الكبير



وولدت في الحـرس الـوطني صـور زاهيـة حـديثـة وبرزت في حـيـاتـه مـرحلة جـديدة مـشرقـة، ورسم الحـرس الوطني علـى صـفـحـات بلاده ومجتمعه معالم حضارية وصروحاً وطيدة في مختلف مجالات الحياة.

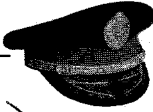
وبهذا أصـبح الحرس الوطنـي القوة العسـكرية التي يعتـمد عليـها ويعـتد بهـا كـقوة مـسـاندة لأفرع الـقوات المسلحـة الأخـرى، إذا مادعـا الداعي ... ونودي لحمل السلاح.

ولعل ذلك التـلاحم البطولي الـذي حدث بين وحـدات من الحـرس الوطني وأخـرى مـن القـوات البـرية على أرض مـدينـة الخـفـجي إبان الاعتداء العراقي عليها خير شاهد على ذلك وخير دليل.

وفي عـام ١٣٦٠هـ «١٩١٤م» أسندت رئاسـة الأركان بالوكـالة إلى المقدم جـعفر الـطيار، قائد لواء المدفـعية، وخلفـه بعد وفـاته في عام ١٣٦٢هـ «١٩٤٣م» العقيد محسن الحارثي.

وفي أول ربيـع الثـانـي ١٣٦٥هـ «٦ مـارس١٩٤٦م»، أنشـئت وزارة الدفـاع، وعـيِنَ صـاحب السـمـو الملكي الأمـيـر منصـور بن عـبدالعـزيز (يرحمـه الله) أول وزير للدفـاع برتبة فـريق أول[1]. وكان

١ – أم القرى : عدد رقم ١٣٢٠ بتاريخ ٤/١٠/١٣٦٩هـ- ١٩/٧/١٩٥٩م.



عهده بداية النهضة العسكرية في الجيش، حيث وضع موازنة ثابتة للوزارة تضاعفت سنة بعد أخرى، وأرسل البعثات العسكرية إلى الخارج، واستقدم بعثتين إحداهما أمريكية والأخرى بريطانية لتدريب الجيش العربي السعودي على مختلف أنواع الأسلحة، وأعيد في عهده فتح المدرسة العسكرية التي كانت قد افتتحت في مكة المكرمة عام ١٣٥٣هـ، وأقفلت في عهد وكيل الدفاع عبدالله السليمان لأسباب تنظيمية... كما افتتحت مدارس تخصصية أخرى في الجيش، وشيدت المستشفيات والنوادي العسكرية ومدرسة للطيران[1].

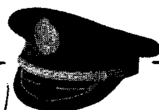
أخذت القوات المسلحة السعودية في عهد صاحب السمو الملكي الأمير منصور [2] (يرحمه الله) شكلها النظامي المكتمل، ووضع التشكيل الإداري لوزارة الدفاع، وتم في عهده إنشاء المصانع الحربية، ومرافق لإصلاح وتجهيز المطارات العسكرية.

وفي عام ١٣٧٠هـ عُيِّنَ صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبدالعزيز وزيراً للدفاع والطيران خلفًا لأخيه صاحب السمو الملكي الأمير منصور بعد وفاته يرحمه الله.

---

١ – المراسيم والأوامر الملكية : المجموعة الثانية: مطابع الرياض. ص٢٢.

٢ – توفي (رحمه الله) في باريس بتاريخ ١٣٧٠/٧/٢٤هـ ودفن في مكة المكرمة.



ويذكر أنـه سبق لصـاحب السمـو الملكي الأمير مشعـل أن مارس العمل في وزارة الدفاع نائبًا لصـاحب السمو الملكي الأمـير منصـور، فسَار عـلى نهج أخيه،وواصل الجد والجـهد للتقدم بالجـيش إلى الأمام، في محاولة للوصول به إلى مصاف الجيوش المتقدمة في العالم.

لذلك فقد زار أمريكا وأوروبا للوقوف عـلى ما وصلت إليه التـقنية العسكرية وأساليبها المختلفة.

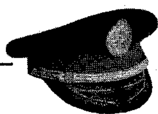
واستمـر في تطوير القوات المسلحة تطويرًا متواصـلاً حتى قـدم سـموه استـقالتـه في عهـد الملك سـعود بـن عبدالعزيـز (يرحمـه الله) وبالتحديد في ١٣٧٦/٥/٢٤هـ.

ثم عَـيَّنَ الملك سعود نجله صاحـب السمـو الملكي الأميـر فهـد ابن سـعـود وزيرًا للدفـاع والطيـران[1]، تلاه أخـوه صـاحب السـمـو الملكي الأميـر مـحـمد بن سـعود بن عـبدالعـزيز «أميـر منطقة البـاحة حـاليًا» ليـشـغل منـصب وزيرًا للدفـاع اعـتـبـارًا من ١٣٨٠/٧/٣هـ وحـتـى ١٣٨٢/٦/٣هـ[2].

١- مـرسوم رقم ١١٣٣/٥/٢/٥ بتـاريخ ١٣٧٦/٥/٢٤هـ «المراسيم والأوامـر الملكية المجموعـة الثانية ص ٢٣».

٢- مـرسـوم رقـم ٣٧ بتـاريخ ١٣٨٠/٧/٣هـ نشـر في أم القـرى عـدد رقم ١٨٥٠ بتـاريخ ١٣٨٠/٧/٥هـ - ١٩٦٠/١٢/٢٣م.

وزارة الداخليـــة



وزارة الداخليــة

وتحقيق أمن المواطنين والحفاظ على استقرار معيشتهم واجب لا يقل أهمية عن واجب الدفاع عن حدود الوطن وحمايته من الطامعين.

ووزارة الداخلية[1] هي الإطار الإداري الذي يشرف علي قوات الأمن العام بكافة أقسامها. وهي المرجع الأعلى لقوات الأمن الداخلي في المملكة العربية السعودية. وهي من أهم الوزارات وأوسعها نطاقاً بل هي أم لكثير من الوزارات التي أنشئت فيما بعد، والتي كانت في السابق مديريات تابعة لها.

وقد مر إنشاء وزارة الداخلية بعدة مراحل :

- في ١٣٤٥/٢/٢١هـ الموافق ١٩٢٧م شكلت النيابة العامة، وكان من ضمن اختصاصاتها الشؤون الداخلية التي تشمل الأمن العام والتعليم والشؤون البلدية والرعاية الصحية والمال والبرق والبريد والهاتف.
- وفي ١٣٥٠/٨/١٩هـ الموافق ١٩٣١/٢/٣٠م صدر نظام مجلس الوكلاء ثم ألغي ديوان النيابة العامة وحلت مكانه وزارة الداخلية وعين النائب العام وزيراً لها.

---

١ – حسن بن سعد سعيد «إنشاء وزارة الداخلية»: أمن وتنمية. من منشورات الإدارة العامة للعلاقات والتوجيه بوزارة الداخلية، الرياض : مطابع الأمن العام، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.



- وفي ١٣٧٠هـ الموافق ١٩٥١م أعيد تشكيل وزارة الداخلية على النحو الآتي :

الإمارات، الأوقاف، المباحث العامة، الأمن العام، سلاح الحدود وخفر السواحل[1] والموانئ، البلديات، الدفاع المدني، كلية قوى الأمن الداخلي وإدارة المجاهدين.

وخلال ذلك وبعده تعاقب على وزارة الداخلية كل من:

١ - صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل من ١٣٧٠/٨/٢٦هـ إلى ١٣٧٨/٩/٢٠هـ.

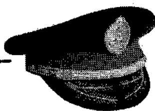
٢ - صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز من ١٣٧٨/٩/٢٠هـ إلى ١٣٨٠/١/٨هـ.

٣ - صاحب السمو الملكي الأمير مساعد بن عبدالرحمن من ١٣٨٠/١/٨هـ إلى ١٣٨٠/٧/٤هـ.

٤ - صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمحسن بن عبدالعزيز من ١٣٨٠/٧/٣هـ إلى ١٣٨١/٤/١هـ.

---

١ - جرى تعديل مسمى سلاح الحدود وخفر السواحل إلى «حرس الحدود» بموجب المرسوم الملكي الكريم رقم م/٩ وتاريخ ١٤١٤/٧/١٦هـ القاضي بالمصادقة على قرار مجلس الوزراء رقم ٧٦ وتاريخ ١٤١٤/٧/١٤هـ.



٥ - صاحب السمو الأمير فيصل بن تركي بن عبدالعزيز من ١٣٨١/٤/١هـ إلى ١٣٨٢/٦/٣هـ.

٦ - صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز من ١٣٨٢/٦/٣هـ إلى ١٣٩٥/٣/١٧هـ.

٧ - صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز من ١٣٩٥/٣/١٧هـ إلى الوقت الحاضر.

٨ - صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبدالعزيز عين نائباً لوزير الداخلية في ١٣٩٥/١٢/١٣هـ. وحتى الوقت الحاضر.

وقد أجريت لوزارة الداخلية عدة تنظيمات وتعديلات لاحقة حتى استقر تشكيل الوزارة الآن على الوضع الآتي:

- صاحب السمو الملكي وزير الداخلية.
- صاحب السمو الملكي نائب وزير الداخلية.
- الديوان العام للوزارة ويشرف عليه وكيل الوزارة.

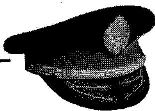
- إمارات المناطق.
- الأحوال المدنية.
- مديرية الأمن العام.
- المديرية العامة لسلاح الحدود.



- المديرية العامة للدفاع المدني.
- المديرية العامة للجوازات.
- المديرية العامة للمباحث.
- الإدارة العامة للمجاهدين.
- كلية الملك فهد الأمنية والمعاهد.
- قوة حراسة المنشآت.
- الإدارة العامة للخدمات الطبية.

وقد ساعد هذا التشكيل وزارة الداخلية على القيام بأعباء مهامها الجسيمة التي تنبثق من الأهداف الرئيسية من إنشائها، وهي ذات الأهداف العامة للدولة المتعلقة بالمحافظة على النفس والدين والعرض والعقل والمال.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف النبيلة، تقوم وزارة الداخلية بمختلف قطاعاتها، بدور مهم وفعال، حيث تتحمل بفروعها كافة، مسؤوليات كبيرة وواسعة: فهي مسؤولة عن المحافظة على الأمن الداخلي والعمل على استتبابه وتوفير وسائل الراحة والطمأنينة والاستقرار لكافة المقيمين في هذا البلد الأمين من مواطنين ووافدين، وتسهر على حماية العقيدة الإسلامية والأرواح والأعراض والأموال

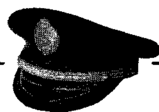


والعقول، ومما لاشك فيه أن المحافظة على هذه المقاصد الإسلامية العظيمة تتطلب كل الاهتمام بتحقيق الأمن والاستقرار وقمع الفتن ومحاربة الجريمة بشتى أنواعها.

وتؤدي وزارة الداخلية بمختلف قطاعاتها واجبها الأمني في الداخل على الوجه المطلوب وتحافظ من خلاله على أمن الوطن والمواطن والمقيم وتكمل منظومة الأجهزة العسكرية المكلفة بأمن وسلامة البلاد من كل خطر، مسايرة في ذلك - جنباً إلى جنب - القوات المسلحة والحرس الوطني كل في اختصاصه وبدرجة عالية من التنسيق والتنظيم.

ولعل أبرز قطاعات وزارة الداخلية التصاقاً بأمن الوطن وحدوده هو قطاع سلاح الحدود الذي أنشئ أول جهاز له منذ عام ١٣٥٠هـ الموافق ١٩٣٢م باسم خفر السواحل والمواني، وهو من أقدم قطاعات وزارة الداخلية.

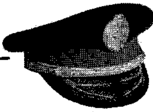
ومرت بعدة تنظيمات وتشكيلات حتى صدر مرسوم ملكي في عام ١٣٨٢هـ بإعادة تنظيم هذا الجهاز وتطويره وأصبح يسمى «سلاح الحدود وخفر السواحل والمواني»، وفي عام ١٣٨٤هـ شكلت له أربع قيادات رئيسية في الشمال والجنوب والشرق والغرب تطورت لتصبح ثماني قيادات فيما بعد.



وفي عام ١٣٩٤م صدر نظام الحدود الذي حدد مهام سلاح الحدود واختصاصه. وقد مر الجهاز بمراحل تطوير تنظيمية وفنية حتى وصل إلى المستوى الذي هو عليه اليوم من التطور وخاصة في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية. واهتم بالتدريب فأنشيء له معهد في جدة ومركز في الرياض. وبهذا تمكن جهاز سلاح الحدود من أداء دوره الهام والمساند للقوات المسلحة في مراقبة حدود المملكة وحراستها كما يجب.

ولا مجال هنا للحديث عن بقية قطاعات وزارة الداخلية على أهميتها، وأهمية الدور الذي تؤديه ولكن يجدر التنبيه إلى مهمة خاصة وأساسية تتشرف بها وزارة الداخلية إلى جانب كل قطاعات الدولة المدنية والعسكرية، ألا وهي مهمة خدمة ضيوف الرحمن حجاج بيت الله الحرام والسهر على أمنهم وراحتهم حتى يعودوا إلى بلادهم سالمين غانمين.

ولسد احتياج هذا الجهاز الأمني الكبير والفاعل من الضباط، تم تطوير المدارس التي كانت تمد مختلف الأجهزة العسكرية بوزارة الداخلية بالضباط لتصبح كلية عسكرية تساهم مع شقيقاتها الكليات في القطاعات العسكرية الأخرى بتوفير الكفاءات العالية من الضباط المؤهلين.



لأهمية الإلمام بتدرج التطور في هذا المجال نعود إلى عام ١٣٥٥هـ عندما صـدرت الأوامـر لإدارة الأمن العـام بإنشـاء مـدرسـة للشـرطة لهـدف تخريج ضـبـاط يقومـون بحفظ الأمـن والنظام وضبط المجـرمين والتحقيق معهم ومكافحة الجريمة فتم إنشاؤها عام ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.

وكانت في البداية في مكة المكرمة وكان مـؤهل القبول هو الشهادة الإبتدائية ومـدة الدراسة فيهـا محددة بستة شـهور تقريباً يتـخـرج بعدها الدارس برتبة «مفوض»، ملازم في الوقت الحـالي، أو مساعد مفوض كما أن قسماً من الدارسين كانوا يتبعون مصلحة المطافئ.

وفي عـام ١٣٧٠هـ تحـدد مـؤهل القـبـول بشـهـادة إتمام الدراسـة الإبتدائية وأصبحت مدة الدراسـة سنة واحدة. وكانت المدرسة مرتبطة ارتباطاً عـسكرياً ومسلكياً وإدارياً بمديرية الأمن العـام ولها إدارة تضع البرامج والخطط والتفاصيل المتعلقة بها.

وفي عـام ١٣٧٧هـ أصـبـحت مـدة الدراسـة سنتين ثم فـي عـام ١٣٨١هـ أصبح مـؤهل القبـول هو الشـهـادة المتوسطة «الكفـاءة» ومدة الدراسـة ثلاث سنوات يمنح، المتـخـرج بعـدها رتـبـة مـلازم ثان في قطاعـات قـوى الأمن الداخلي، وفي عـام ١٣٨٥هـ نقلت المدرسـة إلى مدينة الرياض وتغير مسماها إلى كلية الشرطة.

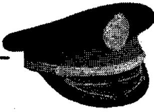


وفي عـام ١٣٨٦هـ صـدر قـرار مـجلس الوزارة الموقـر رقم ٢٢٢ وتاريخ ١٣٨٦/٣/٢١هـ بتغيير مسماها إلى كـلية قوى الأمن الداخلي وتضمن القـرار فصلها عن تبعيـة الأمن العام كي تصبح مـديرية عامة مستقلة إدارياً وعسكرياً وماليًا، وتتبع وزارة الداخلية مباشرة في جميع شؤونها، كما أصبح مؤهل القبول هو الشهادة الثانوية العامة.

وفي عام ١٣٩١هـ صدرت توجيهات صاحب السمو الملكي وزير الداخلية بجعل مدة الدراسة ثلاث سنوات يحصل المتخرج بعدها على شـهادة البكـالوريوس في علوم قـوى الأمن الداخليـة، ورتبة مـلازم في قطاعات قوى الأمن الداخلي.

في عام ١٣٩٤هـ طبقت الكلية نظام الفصول وفي عام ١٤٠٣هـ، صدر أمر ملكي بتغيير مـسمى الكلية إلى كلية الملك فهد لقوى الأمن ثم عدل إلى كلية الملك فهد الأمنية.

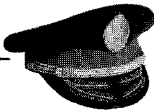
بداية الطريق



بداية الطريق

كان لابد وقد أصبح الجيش العربي السعودي واقعًا ملموسًا أن يعمل على تغذيته بالشباب السعودي بعد تأهيلهم بسلاح العلم والمعرفة، لذلك رأت القيادة الحكيمة أن تفتح الباب على مصراعيه لاستقبال الراغبين منهم بالالتحاق بالمدارس العسكرية فكان أن أسرعت وآخرون لنكون أول فوج يوجه للالتحاق بتلك «المدرسة التي لم ينجح بها أحد»، لكنها كانت بداية الطرق لنا كما سيأتي ذكر ذلك في الموضوع التالي.

المدرسة التي
لم ينجح بها أحد



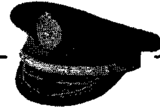
في المدرسة التي لم ينجح بها أحد

مجموعة من الصبية اليافعين ممن لا تكاد تتبين ملامحهم وسط غبار النفوذ، يتراكضون خلف سيارة شحن كبيرة، وتنطلق أمامهم لتقف في مكان غير بعيد، تكون أرضه أكثر صلابة وتحملاً، بعد أن تمكنوا من إخراجها من الرمال التي كانت عجلاتها تغوص فيها ... وذلك بعد جهد جهيد، وعناء جد شديد.

ويتكرر المشهد .. وتتجدد معه المعاناة الشديدة .. ومع ذلك فما كانوا يكفون عن الضحك والقفز بخفة ونشاط فوق كثبان الرمال الشديدة الحرارة.

كنت واحداً من هؤلاء. ولم تكن أعمارنا حينئذ تزيد على الخامسة عشرة عندما تم اختياري وبضعة وعشرين تلميذاً آخرين من إحدى المدارس الابتدائية بالرياض للالتحاق بمدرسة التدريب الفني التابعة لسلاح الطيران كما كان يسمى آنذاك، القوات الجوية الملكية السعودية حالياً .. وكانت أحلامنا بعيدة وآمالنا عريضة وطموحاتنا لا تنتهي عند حد، رغم حداثة سننا.

كان ذلك في بداية شهر شوال من عام ١٣٦٨هـ عندما صعدنا إلى سيارتي شحن حكوميتين، وذلك بترتيب من القصر الملكي



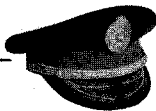
بالرياض .. كان الوقت ظهراً .. وكانت الشمس قد توسطت كبد السماء، وأرسلت أشعتها الوهاجة تغزو كوكب الأرض.

عندها تحركت بنا السيارتان صوب الظهران مروراً بمدينة الاحساء التي وصلنا إليها بعد عناء شديد .. فقد واجهنا خلال سفرنا هذا الكثير من المتاعب والمشاق بسبب صعوبة الطريق ووعورته ..

حتى أننا اضطررنا للترجل أكثر من مرة للمساعدة في إخراج إحدى السيارتين أو كلتيهما من رمال النفود الكثيفة التي لم تكن تسمح بالمرور عليها أو تجاوزها بسهولة، فقد كانت إطارات السيارتين تغوص فيها حتى لَيُخَيَّل لمن يراها على تلك الحال استحالة إخراجها مرة أخرى، ولكن لا يكاد يمضي وقت قصير حتى تواصلا سيرهما من جديد.

إنه العزم والتصميم اللذان متى توافرا وتسلح بهما الإنسان استطاع أن يحطم بهما الجبال العاتية، ويخترق بهما الحواجز المنيعة، ويقهر كل كثبان الرمال وإن علت وامتدت. مع بزوغ شمس اليوم الرابع من وراء الآكام والظِّراب تنشر أشعتها شيئاً فشيئًا حتى أضاءت الكون، وأشرقت على الأرض بنورها ..

توقفنا أمام قصر الحكومة في مدينة الاحساء لبضع ساعات تجولنا خلالها في الأسواق التجارية المتواضعة التي كانت تحيط بقصر



الإمارة المهاب. وبعد استراحة قصيرة، واصلنا السفر إلى الظهران بعد أن استبدلت السيارتان اللتان جئنا بهما من الرياض بأخريين غيرهما تابعتين للشركة العربية للسيارات، وهما من ذلك النوع المغلق الذي كان يستخدم لنقل البريد آنذاك.

وما إن تحركتا بنا حتى شعرنا بالفارق الكبير بينهما وبين سابقتيهما، مع أن الطريق لم يكن معبداً آنذاك .. وقبل مغيب شمس ذلك اليوم التي أخذت تضعف شيئاً فشيئاً، وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة .. وصلنا مطار الظهران .. ونحن أقل تعباً ونصباً وإرهاقاً .. قياساً بما واجهناه خلال الأيام السابقة. وهناك تم استقبالنا من قِبَل أحد المسؤولين السعوديين بالمدرسة. لا أذكر إن كان عسكرياً أم أمنياً ..

ولكنه قام على ضوء تعليمات كانت لديه بتوزيعنا على عدة مجموعات سكنية مؤقتة مستطيلة الشكل، يتسع كل واحد منها لعشرين طالباً .. مغلفة من الخارج بصاج من الحديد ومقامة على قاعدة خرسانية ترتفع عن مستوى الأرض حوالي المتر الواحد.

ورغم أن مظهرها الخارجي غير مريح .. إلا أنها كانت من الداخل مهيأة بصورة جيدة للسكن .. فكان قد أُعِدَّ لكل طالب سرير للنوم وخزانة للملابس ..



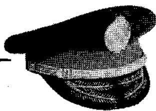
أما الحمامات فكانت في مبانٍ منفصلة تقع بين المجمعات السكنية .. وغير بعيد عنها يقع المطعم الذي لنا – لما فيه من أنواع الطعام – حكايات كلما تذكرتها أغرقت في الضحك والتعجب مما حدث.

فعندما توجهنا أول مرة، وكان هذا بعد وصولنا من رحلتنا بساعتين تقريباً، لنتناول وجبة العشاء .. سرنا في طابور غير منتظم لجهلنا بما يجب التقيد به من قِبَل طالب يفترض أن يكون عسكرياً في جميع تصرفاته ..

ولكن لأننا كنا حديثي العهد بالجندية .. ولم نكن نفقه في العسكرية شيئاً بعد .. فقد غض الطرف عن بعض تصرفاتنا الخاطئة من قِبَل المسؤول عن الطابور. وفي ذلك المطعم كان علينا أن نسير نحو الطهاة واحداً واحداً، بعد أن أُعْطِيَ كل واحدٍ منا صحناً مقسماً عدة أقسام.

وبمرورنا على الطهاة الواحد تلو الآخر كان الطاهي يضع في كل ركن من أركانه قليلاً من ما أجيد طبخه من أنواع المأكولات كاللحم والأرز والخضروات وغير ذلك .. لنتوجه إلى إحدى الطاولات الخشبية المتناثرة في أرجاء الصالة الكبيرة، نشكل مع الآخرين مجموعات متساوية تقريباً.

كان هذا النظام بطبيعة الحال جديداً علينا .. ولكنه أصبح بالتدريج أمراً طبيعياً لا غضاضة فيه ولا غبار عليه.



كانت أحداث ذلك اليوم وما تلاه من أيام حافلة بالمواقف الطريفة التي لا تكاد تنسى .. فقد كانت تلك تجربتنا الأولى في التعامل مع ثلاث أدوات جديدة هي الشوكة والسكين والملعقة .. وقد كانت الأخيرة بالنسبة لنا معتادة إلا أننا لم نكن نحبذ استعمالها بصورة مستديمة.

أما الأوليان فقد كان علينا أن نبذل جهداً لا بأس به حتى نستطيع استعمالها بالطريقة الصحيحة. أخذ بعضنا ينظر إلى البعض الآخر بتساؤل واستغراب. فأنواع الطعام المعتادة في «نجد» لم تكن تتطلب استعمال هاتين الآلتين الجديدتين .. وقررنا مقاطعتهما وإغفال وجودهما، ولكن ذلك القرار لم يصمد طويلاً أمام شريحة «الاستيك» التي قدمت لنا في اليوم التالي.

وكان لابد من استعمال الشوكة والسكين معاً لعدة أسباب منها: حرصنا على التعرف على الشريحة، ولنثبت للآخرين رغبتنا وقدرتنا على تعلم كل جديد .. ولم يمض وقت طويل حتى كنا نجاري الآخرين في استعمالها بكفاءة واقتدار، وأصبحنا نقبل على «الاستيك» بكل رغبة وشهية مفتوحة!

أما الزيتون الأخضر وكافة أنواع المخللات كالطرشي ونحوه فقد كنا رافضين لها بالإجماع ومعرضين عنها لعدم تعودنا عليها .. ولهذا



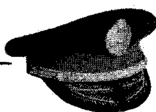
لم يفلح الزمن في التوفيق بيننا وبينها والتعايش معها، فكان دأبنا معها أن توضع على المائدة وترفع دون أن نمسسها بسوء!

لكننا بالنسبة للبقية الباقية من الخضروات وأنواع الفواكه والسلطات وغيرها فقد تعودنا عليها ونشأت بيننا وبينها ألفة ومحبة!

ونتيجة لذلك لم يكد ينقضي الشهر الأول على وصولنا من الرياض - وكان قد وُضِعَ لنا برنامج رياضي دقيق منظم - حتى تبدَّل حالنا وظهرت علينا سمات ومعالم التغيير.

وكيف لا يكون الأمر كذلك ونحن لم يكن لدينا ما نقوم به من جهد سوى مزاولة الرياضة، والتهام أطيب أنواع الطعام؟! أضف إلى ذلك ما كنا نتمتع به من الراحة النفسية والبدنية والنوم الكافي .. وساعد على إحساسنا بذلك نعومة أظافرنا، وخلو رؤوسنا من هموم الدنيا .. ولأنه لم يكن يسمح لنا بتجاوز حدود المطار إلا لأمر ضروري معلوم وبتصريح مخول مختوم .. فكان أكثر ما يشغل بالنا هو الانتظار الممل لمساء يوم الخميس حيث نسارع إلى صالة السينما لنشاهد أحد الأفلام الأمريكية .. ومع أن تلك الأفلام لم تكن مترجمة.

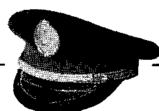
إلا أننا كنا مبهورين بها منجذبين إليها، مسرورين لمشاهدتها .. ولعل السبب يعود إلى أنها جديدة علينا، ولم تكن معروفة في الرياض



في ذلك الحين. ولم يكن كل هذا لينسينا ما جئنا من أجله، ففيما كان المسؤولون في المدرسة مشغولين طيلة هذه المدة بأمرنا، كنا نحن – وفي غمرة سعادتنا تلك بحياتنا ولهونا البريء داخل حدود المطار – نحاول معرفة ما يدور حولنا.

لذلك لم يحدث لأي منا ما يعكر الصفو .. فقد كانت سيرتنا حميدة .. إلى أن ضعف مستوانا العلمي وتحصيلنا الثقافي لم يكن يؤهلنا للإنضمام إلى صفوف المدرسة، وبخاصة بعد أن أخفقنا جميعاً في امتحان اللغة الإنكليزية التي لم نكن قد درسناها من قبل، فكيف يتسنى لنا أن ننجح فيها، ومع ذلك وحتى يتأكد المسؤولون عن المدرسة من جهلنا باللغة الإنجليزية ويثبتوا ذلك عملياً – وهي الحقيقة التي لم نكن نجهلها – فقد قرروا اختبارنا شفوياً بأن أدخلونا واحداً واحداً على أحد أساتذة المدرسة الأمريكيين، وهو يجلس على كرسي خلف مكتب خشبي رائع التصميم أو هكذا بدا لنا آنذاك، وبجانبه يجلس رجل آخر طلب مني باللغة العربية أن أجلس على مقعد مجاور.

وقبل أن أستقر في مكاني، أخذ ذلك المعلم الأمريكي يوجه إليّ كلاماً باللغة الإنجليزية وجملاً استفهامية قصيرة كما فهمت فيما بعد، ولكني لم أنبث ببنت شفة .. وعندما طال صمتي سألني المترجم عما



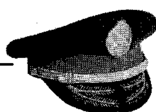
فهمته، وكما كان متوقعاً، كانت إجابتي سلبية إلى أبعد الحدود، تؤكد جهلي وتضعني في موقف حرج للغاية ..

ولكن رغبتي الجامحة في إثبات وجودي وعلمي ومعرفتي بما أجهل، قلت للمترجم: إن الأستاذ يقول: «الرياض»!

وكأن المترجم قد استبشر خيراً بهذه الإجابة المقتضبة، حيث سألني في الحال بكلمات تشجيعية: نعم هذا صحيح .. ولكن ماذا قال عن الرياض؟ .. وهنا اسقِطَ في يدي، وتلعثم لساني فلم أتفوه بكلمة ولم يسمع مني مزيداً، وبهذا انتهت المقابلة، وخرجت من حجرة المكتب وأنا أتصبب عرقاً وأنكس رأسي خجلاً .. وأخذت أجر قدمي جراً لشعوري بالخيبة والخسران المبين! وكأني بالفعل أتحمل تبعة هذا الإخفاق السريع والفشل الذريع.

خرجت على هذا الحال من سوء لأواجهه زملائي الأفاضل وهم قعود على الأرائك، فمنهم من سبق أن واجه هذا الموقف، ومنهم من ينتظر، ولكنهم كانوا جميعاً غير مبالين ولا مكترثين.

ولعلي كنت أكثرهم حساسية وخجلاً .. أو لعلهم كانوا أكثر إدراكاً مني لواقع الحال، وأن النجاح في هذا الامتحان من المحال، فقابلوا الأمر بواقعية وعدم اهتمام أما أنا فلم أدرك هذه الحقيقة إلا متأخراً، فقد

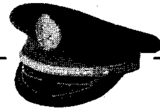


كنت كمن يحاول أن يطير بدون جناحين .. ورأيت فيها هزيمة نفسية لا تقبلها عروبتي، ولا تستكين لهل أورمتي!!

ولكني ما أن عدت إلى السكن حتى اكتشفت جهلي بفلسفة الحياة التي تقول: «اقطع من شجرة الهزيمة الأولى غصناً يعين على الوقوف مرة أخرى». وغضضت طرفي محاولاً نسيان ما حدث دون جدوى.

فقد مكثت طيلة ذلك اليوم وأنا أشارك الزملاء التندر بما حدث ونحن نسترجع مواقفنا المضحكة المخجلة أمام ذلك الممتحن العبوس المتجهم .. الذي لا شك أنه هو الآخر قد أصيب بخيبة أمل كبيرة من مجموعتنا ككل .. وكيف لا وهو لا يسمع منا إجابة صحيحة واحدة يطمئن بها على حالة لغته التي أجمع أكثر من عشرين طالباً على جهلهم بها جهلاً فاضحًا.

ولا شك أنه خرج من مكتبه وهو ينظر إلينا نظرة ممتعضة تعكس مدى الإحباط الذي أصيب به من جراء ما حدث .. وربما دارت في مخيلته معان لأشياء أخرى لا بد أنه قد ذكرها وعبر عنها بوضوح إذا كان قد كتب مذكراته، ودوّن خواطره عن تلك الفترة العصيبة التي مرت به والتي وضعته في ذلك المأزق الحرج الذي لم يكن بالتأكيد يتوقعه، والذي لن ينساه ..

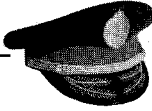


ولكني اعتقد جازماً أنه قد استراح وتنفس الصعداء وثابت إليه نفسه، بعد أن علم على ضوء هذه النتيجة المخيبة للآمال والتي كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، قد تقرر إرسالنا إلى مدينة الطائف لنشكل هناك مع من سبقونا من الطلاب نواة المدرسة العسكرية التحضيرية التي رؤي إنشاؤها لتستوعب عدداً وافراً من أمثالنا من الطلاب الجدد..

ولم يطل بنا المقام بعد ذلك .. إذ طلب منا التأهب للسفر إلى الطائف حيث وجدنا أنفسنا صباح أحد الأيام من شهر ذي الحجة من عام ١٣٦٨هـ داخل إحدى الطائرات «داكوتا» تتجه بنا نحو الطائف، لتحط رحاله في مطار «الحوية» بعد طيران دام ثلاث ساعات متواصلة إن لم يكن أكثر.

ولما كانت تلك هي المرة الأولى التي نركب فيها الطائرة .. فقد مضت تلك الساعات ونحن نرقب الأرض من علو شاهق في خيفة وتوجس، تغمرنا الدهشة لما نرى من صغر أحجام الأشياء التي عليها .. وبينما كنا بين سائل متعجب ومجيب مدع هبطت بنا الطائرة بسلام على أرض المطار بالطائف.

الوصول
إلى الطائف



الوصول إلى الطـائف

كان فـي استقبالنـا عند الوصول إلى الطائف مندوب من المدرسة العسكرية بالطائف. ومدير المطار فاروق طربزوني الذي بعد أربعة وعشرين عاماً يشاء الله أن يكون واحداً من الذين كانوا في استقبالي في مطار «الحديدة» عند وصولي إلى هناك أول مرة بعد تعييني محلقاً عسكرياً في صنعاء عـام ١٣٩٢هـ، وكان حينئذ مديراً للخطوط السعودية في اليمن .. وسنأتي على ذكر هذه الفترة لاحقاً.

وبواسطة حافلتين كبيرتين تم نقلنا إلى وسط المدينة حيث يوجد المبنى المستأجر للسكن في (برحة القزاز) بالطائف الذي أصبح فيما بعد مقراً للبريد بعد الانتقال منه لمقر جديد غير مستأجر .

أما الدراسة والتدريب فكانا في المدرسة العسكرية الأم داخل الثكنة (القشلة)، لذلك كنا نذهب إلى هناك صباح كل يوم، ولانعود منها إلا بعد الظهر.

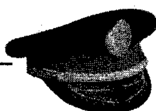
في هذا المبنى المستأجر المتعدد الطوابق كان يتم استقبال الطلبة الذين كانوا يأتون من كل حدب وصوب للالتحاق بالمدرسة العسكرية الأم .. وبعد أن يتم فحص مؤهلاتهم، والتأكد من مستوياتهم وصلاحيتهم .. يوجهون إلى الالتحاق بالمدرسة العسكرية ليتخرجوا منها بعد ثلاث سنوات برتبة ملازم ثانٍ لمن يحالفه النجاح منهم.



وقـد جـاء كـثـيـر من هؤلاء الطلبـة من خـارج المملكة من سـوريا والأردن ومصـر استجـابة للأوامر السامـية التي أصدرها الملك سـعود (يرحمـه الله) عندما كـان ولياً للعـهد آنذاك بالسـماح لأبناء المهـاجرين السـعـوديين بالالتـحـاق بالجـيش، فـكان أن توافـد هؤلاء وغـيـرهم من مخـتلف مناطق المملكة رغم أن بعضـهم كان كبـير السن، ومع ذلك تم تجميعهم في هذا المبنى.

وبنهاية العام وبداية السنة الدراسيـة الجديدة ١٣٦٩هـ، تم اختيار بعض هؤلاء وهم الأكـبـر سناً، وألحـقـوا بالدفـعـة التـاسـعـة من طلبـة المدرسة العسـكرية .. أما البقية الـباقية، وكنت واحداً منـهم، فقد وُضِعَ لنا برنامج دراسـي خاص لتـأهيلنا للالتـحـاق بالمدرسـة العـسكرية في العام القادم ١٣٧٠هـ، وكـان أن عقد لنا امتحـان في نهاية ذلك العام .. وكنت من بين الذين حـالفهم النجـاح ولله الحمد .. حـيث بدأ لي طريق المستـقبل مفتـوحاً على مصـراعيه .. وهذا من فـضل الله عليّ وحسن توفيقه. فلله الحمد والمنة .. الذي يسر لي كل أمر عسير.

ولعل من الوفـاء أن أذكـر هنـا قبـل الحـديث عن مـرحلة المدرسـة العـسـكرية كـلاً من النـقـيب عـبـدالرحـمن الـطاسـان، قـائـد المدرسـة التخضيرية أطلق عليها هذا الاسم فيما بعد .. ومساعده علي بن دربي

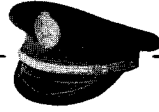


الأسمري الذي كان برتبة نائب (وكيل رقيب) في ذلك الوقت .. فقد كانا (يرحمهما الله) حازمين شديدين، ولكن برفق وإنسانية لا غلظة فيهما ولا قسوة.

فكانا يمثلان القيادة الواعية المدركة لمفهوم التربية القائمة على أسلوب الإقناع عن طريق ضرب المثل الحسن بأنفسهما. وبخاصة المرحوم علي بن دربي الذي كان لصيقاً بنا معايشاً لنا حريصاً علينا دائم التوجيه والإرشاد .. فكان بحق مثلاً مشرفاً ونموذجاً يحتذى للعسكري المنضبط الذي يعمل ليلاً ونهاراً دونما كلل أو ملل. يتمتع بروح عسكرية عالية وأخلاق فاضلة، وسلوك إسلامي، يبعث في النفس محبته، والاطمئنان إليه.

كان (رحمه الله) يمثل بالنسبة لنا الأب العطوف، فلم يكن يبخل علينا بصادق النصح والتوجيه، مبتعداً عن اللهجة الآمرة مستخدماً أرق الكلمات وأعذب الألفاظ. مع أنه كان خريج مدرسة الحياة. ويالها من مدرسة. وإن كانت لا تمنح الشهادات .. لكنها تمنح خريجها أحد الألقاب الآتية : فيلسوف. عبقري. حصيف. خبير. حازم. عاقل. متزن. حكيم.

كان علي بن دربي (يرحمه الله) يستلهم أساليبه التربوية من



روحه المشبعة بالإيمان ومحبة الآخرين. كان الرجل - والحق يقال - ظاهر التقوى والتمسك بشعائر الدين الحنيف من حرصه على أداء الصلوات في أوقاتها، وحضه الآخرين عليها، وتقيده بأوامرها وقيامه بواجباتها، وتجنبه محظوراتها.

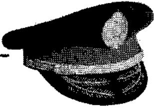
وقد كان يحضنا على النظافة والاغتسال .. ويصطحبنا أيام الجمعة للصلاة في مسجد عبدالله بن العباس (رضي الله عنهما) الكبير في الطائف.

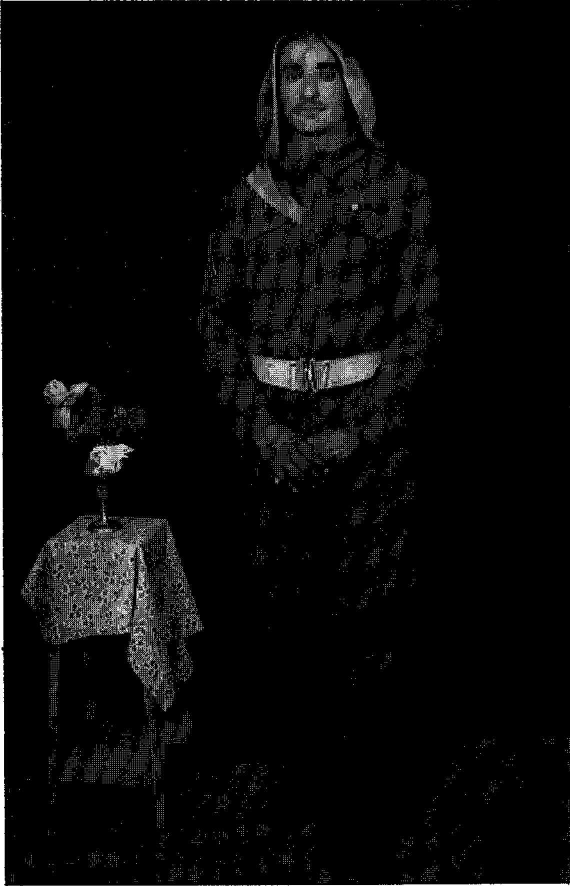
ذلك المسجد التاريخي الذي يحمل اسم ذلك الصحابي الجليل ابن عم رسول الله ﷺ، حيث يوجد بجانبه ضريحه الذي ثوى فيه جثمانه.

وكان لحكومة خادم الحرمين الشريفين شرف توسعة هذا المسجد العظيم حتى بات يتسع .. لعشرات الألوف من المصلين!

ونحن حينما نذكر الرجال العاملين كعلي بن دربي وأمثاله .. فإن ذكراهم تعتبر نفحات عطرة يهب شذاها من الذاكرة لنسطرها على صفحات التاريخ محاولين أن نخلع عليهم أوسمة الاستحقاق، ونسبغ عليهم نياشين الحمد والثناء.

وقد لا نوفيهم حقهم، لكن أسماءهم تبقى نغمة طيبة في أسماع الزمان وفي صدى الذكريات، وما هذه التذكرة إلا لمسة وفاء واجبة لأمثال هؤلاء الذين يستحقون كل تكريم وتبجيل وإكبار.

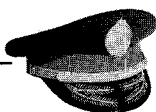




النائب (وكيل رقيب) علي بن دربي الأسمري كان بحق مثلاً مشرفاً للجندية ونموذجاً يحتذى به.

في
المدرسة العسكرية





في المـدرسة العسـكرية

مع بداية عـام ١٣٧٠هـ الموافق ١٩٥٠م كنـت قد أصـبـحت أحـد طلبة الدفـعة العـاشرة في المدرسة الـعسكرية[1]. كنا في البداية حوالي ٣٥طالباً أتوا من مـختلف مناطق المملكة ونواحيـها .. وكنا نخبة طيـبة والحـمـد الله .. وقـد سادت بينـنا المودة والانسـجام، وشـملت عـلاقـتنا المحبة والوئام. لذلك لم يمض علينا وقت طويل في حـياتنا الجديدة حتى انصهـرنا في بوتقة واحـدة، تلاشى خلالهـا بيننا ذلك التبـاين في بعض العـادات والتقـاليد، التي كـانت تميز بعـضنا عن بعض تبـعاً لاخـتلاف مناطق المملكـة الواسعـة التي ننتـمي إليـهـا، وبخـاصـة مـا يتـعلق منهـا

---

١ – أنشئت المدرسة العسكرية بمرسوم ملكي في ١٣٥٣/٦/٥هـ. وكانت البداية في مكة المكرمة في ١٣٥٣/١٠/١٠هـ، ولكن لم تبدأ الدراسة فيها لأسباب تنظيمية إلا في أواخر عام ١٣٥٦هـ بعد نقلها إلى الطائف.

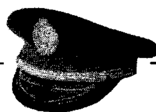
وفي ١٣٥٨/٨/١هـ تخرجت الدفعة الأولى برتبة وكيل ضابط أي: رئيس رقباء، وفي ١٣٦١/٩/١هـ تخرجت الدفعة الثانية برتبة وكيل ضابط أيضاً.

وكانت الدفعة الثالثة التي تخرجت في ١٣٦٦/٦/٢٠هـ هي الدفعة الأولى التي منح خريجوها رتبة ملازم ثان. توالت بعدها الدفعات على هذا المنوال.

وكانت الدفعة الحادية عشر هي آخر دفعة تخرجت من المدرسة العسكرية في الطائف عام ١٣٧٤هـ، حيث تم نقلها بعدئذ إلى الرياض ليصبح اسمها كلية «الملك عبدالعزيز الحربية» لتستمر في العطاء المبارك حتى اليوم.

المعلومات أعلاه استقيت من كل من :

– فريق أول حمد الشميمري «رئيس هيئة الأركان العامة الأسبق» أحد خريجي الدفعة الأولى.
– فريق طراد الحارثي «السفير حالياً لدى دولة الكويت» أحد خريجي الدفعة الثانية.
– الفريق علي ماجد القباني «السفير حالياً لدى المملكة المغربية» أحد خريجي الدفعة الثالثة.



باللهجة التي لم تصمد طويلاً أمام الرموز والمصطلحات العسكرية الموحدة.

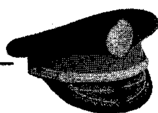


المؤلف عندما كان طالبًا في المدرسة العسكرية عام ١٣٧١هـ - ١٩٥١م

فكنا على مدى ثلاث سنوات وما بعدها نسير بخطى واحدة لا اختلاف فيها ولا تباين .. وكيف لا وقد عشنا تحت سقف واحد، واختلط العرق والجهد. وتوحدت الغايات والأهداف وغاية ما كنا نرجوه ونسعى حينذاك لتحقيقه. هدف واحد، هو أن نصبح ضباطاً بارزين في القوات المسلحة، وقادة يشار إليهم بالبنان. وهذا الهدف كان هو الحلم الوحيد الذي يراود خيال كل واحد منا، ويداعب وجدان كل من سلك هذا المعترك واتخذه طريقاً للحياة.

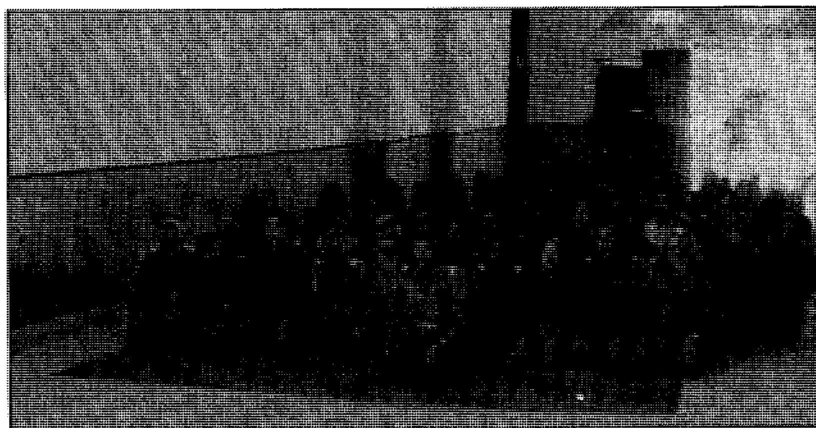
ولتحقيق هذا الهدف السامي والغاية النبيلة كنا أكثر تصميماً وأقوى عزماً ومضاء .. وعندما أقول أننا كنا أكثر الدفعات جدية وأوفرها حظاً وقبولاً لدى الآخرين، فإني لا أنسى العوامل التي كانت تقف وراء ذلك ..

فقد كنا الدفعة الأولى التي قام على تدريبها منذ البداية نخبة

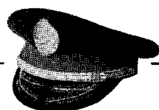




طلبة المدرسة العسكرية في طابور الصباح عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥١م



طلبة المدرسة العسكرية بالطائف عام ١٣٧٢هـ يؤدون صلاة الظهر، يؤمهم الطالب عبدالله الشنقيطي

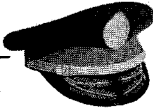


ممتازة من الضباط السعوديين الذين تلقوا دراساتهم العسكرية في الكلية الحربية المصرية بالقاهرة، وغيرها من الكليات العسكرية الأخرى في العالم أولئك الذين ما أن عادوا إلى أرض الوطن حتى جادوا بكل جهودهم وعلومهم وخبراتهم .. وتفانوا في عملهم .. وكان أقدمهم الشاعر المبدع الرائد[1] علي زين العابدين الذي عين فيما بعد قائداً للمدرسة، والنقيب آنذاك علي حسن الشاعر «وزير الإعلام السابق»، كبيرًا للمعلمين، وزميله النقيب محمد المهدي الذي كان يقوم بتدريسنا الخط إلى جانب بعض المواد الأخرى.

ولعل أكثر ما علق بذهني عن النقيب المهدي تلك الحكمة الصينية التي طلب منا في إحدى المرات، كتابتها عشر مرات!.. بعد أن كتبها بخط جميل على السبورة .. والتي لم أنسها منذ ذلك التاريخ .. لا لأنني كتبتها عشر مرات .. وإنما لمعناها وفلسفتها الإنسانية العميقة. ولا أحسبك تنساها - عزيزي القارئ - إذا أدركت مغزاها النبيل تقول هذه الحكمة: قال أحد فلاسفة الصين: «إذا رأيت بئراً مهجوراً فلا تبصق فيها، فربما أتاك يوم تعطش فيه فتشرب منها». والمعنى لا تحتقرن أحداً ولا تستصغرنه مهما كانت مكانته ضئيلة.

---

١ - أحيل على التقاعد برتبة لواء.



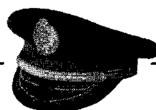


صورة لطلبة الصف المتقدم والنهائي بالمدرسة العسكرية بالطائف
يتوسطهم الملازم فريد سندي رحمه الله

والرابع كان النقيب عبدالرحمن أبو السمح (يرحـمه الله) الذي لم يكن يحـسن اللهجة السـعودية في بداية قـدومه بعـد تخرجه من الـكلية الحـربيـة المصريـة نظراً لأنه عاش فـي القاهرة ودرس فـيـهـا. وكنا في المقابل لم نتعود على سماع اللهجة المصرية آنذاك.

وكان (يرحـمه الله) يثـور غاضبـاً ساخطاً عندمـا لا نستـجيب في الحـال للأوامـر الـعـسكرية التي يـصـدرها عندمـا يكون مـسـؤولاً عن تحريك الطابور الصباحي.

كـان هذا في البدايـة، إذ لم نلبث أن توافرات بـيننا لغة مـشـتركـة، وتفاهم تجاوز تلك العقبات.



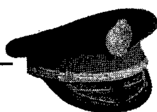
أما عن اللجهة المصرية فقد انتشر استـخدامها فيما بعد وأصبحت شيئـاً مألوفاً حتى بين السعـوديين أنفسهم نتيـجة لتأثير الثقـافة المصرية وتعدد وسائل إيصالها إلى كل أرجاء الوطن العربي.

ومن بين المواقـف الطريفـة الـتي لاأزال أذكـرها ومـا زالت ترسم البسمة على شفتي موقف حدث في بداية التحاقنا بالمدرسة العسكرية.

فقـد كان النقبيب علي حـسن الشاعر والذي أصـبح فيما بعـد قائداً للكلية الحربية، ومكلفاً بتدريسنا اللغة الإنجليزية إلى جانب عمله كبيراً للمـعلمين. وحـدث أن أخـفـقت أنا وتسـعـة آخـرون من زمـلائي في امـتحـانين مـتتـاليين فـيـها، إذ يبـدو أن عـقدة هذه اللـغة كـانت لا تزال تلاحقني..

وحتى يشعرنا بحقـيقة مستوانا المتردي وحتـى يثـير فينا الإحساس بأهمية هذه اللغة والنجاح فيها، لم يلجأ النقيب الشاعر إلى اتخاذ إجراء جزائي كـما كنا نتوقع، وإنما عـمد إلى عزلنـا في آخر الصف الدراسي وأوقف مشاركتنا والتعامل معنا وافتعل تجاهلنا ومقاطعتنا عشرة أيام.

وإمعاناً منه بالتـشهير بنا أطلق علينا لقب «العشـرة المتفوقون» أو لعله قـال شـيئـاً آخـر حيث اسـتطاع بهـذا العـقاب المعنـوي والتصـرف الذكي أن يدفـعنا إلى مضـاعفـة الجهـد في الدراسة والاسـتذكـار بروح



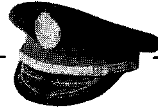
التحدي لإثبات الذات، حتى أننا كنا في نهاية العام الدراسي أكثر تفوقاً وأقرب إلى نفسه واهتمامه من الآخرين.

ولكن هذا التفوق لم يتأت لنا في مادتي الرياضيات والهندسة اللتين كان يدرسهما لنا النقيب حازم صبغة الله الذي كان متمكناً في هاتين المادتين بدرجة تثير الإعجاب، وكان يبذل جهداً مضاعفاً لحقن رؤوسنا بمفاهيم وقواعد رياضية جديدة علينا، خاصة ما يتعلق منها بحساب الجبر وهندسة النظريات «الصعبتين» مع أنه كان يوجد بيننا زملاء متميزون.

وكان إحساسه بضعف بعضنا في هاتين المادتين يدفعه إلى استخدام أساليب مبسطة وأخرى مبتكرة من عنده أفلح بها في النهاية بقدر حقق لنا النجاح لا التفوق.

أما الشيخ علي الغذامي إمام الجيش ومدرس العلوم الدينية فقد كان يرحمه الله عالماً جليلاً وشيخاً فاضلاً تخرج على يديه الكثيرون من طلاب المدرسة العسكرية الذين ما زالوا يذكرونه بالخير ويترحمون عليه.

ولم يكن من عادته (يرحمه الله) أن يصطحب معه كتاب مقرر الفقه والتوحيد عندما يأتي لإلقاء الدرس فيهما معتمداً على علمه

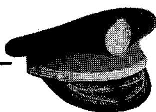


الغزير واستجابة حافظته الذهنية القوية التي كان يغذيها إيمانه العميق بالله وحبه المتين للعلم.

لذلك كان عندما يريد وضع أسئلة الامتحان النهائي للعام الدراسي يقوم باستعارة كتاب أحد الطلبة ثم يعيده إليه في اليوم التالي. وكان سهلاً علينا توقع نوع الأسئلة المحتملة من خلال دراسة حالة الكتاب بعد إعادته لصاحبه وتتبع ثنياته وآثار لمساته عليه. وبناء على ذلك كانت نتائجنا مرضية دائماً.

أما بقية المواد الدينية الأخرى فقد بقيت بعيداً عن حدسنا ولم تفلح محاولاتنا في تحديد اتجاه الامتحان فيها ولأني كنت دارساً لبعض هذه المواد من قبل ولم أكن أعاني منها فقد كنت أنتهز بعض حصصها للمطالعة الحرة التي كنت شغوفاً بها مستفيداً من ذلك المكان المستتر الذي كان قد وضعني فيه النقيب الشاعر من قبل، والبعيد عن بصر الشيخ علي (يرحمه الله) حيث كنت أخرج كتاباً آخر، وغالباً ما يكون أحد الروايات البوليسية الشائقة التي كانت آنذاك محل إعجاب الكثيرين، وكنت أجد في قراءتها متعة لا أجدها اليوم فيما أقرأ من كتب الأدب.

أما عن مادة اللغة العربية «النحو» فمع أنني لم أكن من المبرزين فيها بصورة تميزني عن الآخرين .. إلا أن الأستاذ عيسى الدباغ



أستاذ المادة كان عندما تستعصي الإجابة أثناء الدرس على أحد الزملاء .. يشير إليّ وهو يقول : «أنقذنا يا صالح أنقذك الله»، ولم أكن المنقذ دائماً .. وبهذا الأسلوب كان يجذبني إلى ساحة الدرس ويجعلني دائم الحضور معه واعياً لما يقول. ربما لعلمه بأني كثيراً ما كنت انصرف عن متابعة المدرس إلى المطالعة الحرة في كتب لا تمت إلى مادة الدرس بصلة، وهي .. العادة التي لم استطع التخلص منها والتي ظلت ملازمة لي حتى اليوم.

ترى هل يتبع المربون اليوم مثل هذا الأسلوب «التربوي» مع طلابهم؟ أتمنى ذلك!

ولعلي لا أنسى وأنا أسجل بعض ما علق في ذاكرتي عن تلك الفترة أن أذكر هنا من منطلق الوفاء والعرفان بالجميل الأستاذ محمد القبيسي «مصري أزهري» مدرس مادة التاريخ العام. كان (رحمه الله) إلى جانب إلمامه بمختلف مراحل التاريخ، قديمه ووسيطه، وحديثه مصلحاً اجتماعياً ومرشداً دينياً، حلو اللسان، قوي البيان، يحب الناس كما كان الجميع يحبونه ويقدرونه.

كان لا يكتم تعلقه الشديد وحبه العميق لبلاده مصر .. فكانت معشوقته التي لا تكاد تمر ساعة إلا ويذكرها، يتغنى بجمالها وانسياب



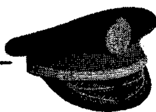
نيلها، واخضرار أرضها، وخاصة في مناطق الصعيد التي هي «ديرته» كان محباً للنادرة «النكتة» من غير إسفاف أو ابتذال، ولكنه لم يكن يتردد في إطلاقها حتى أثناء الدرس إذا ما وجد لها موضعاً.

عرفنا مصر منه قبل أن نراها لكثرة ما كان يحدثنا عنها وعن عراقة تاريخها. وعرفنا أنها كانت نقطة انطلاق الفتوحات الإسلامية إلى إفريقيا.

كان حبه لمصر أيضاً نقطة ضعفه ومفتاح سره .. أدرك هذا أحد الزملاء الذي لم يكن على وفاق مع مادة التاريخ .. حتى أنه لم يكن يعرف من أسماء أجداده إلا الأول والثاني والثالث. أما الرابع والخامس فكانا يتبدلان في كل إجابة على سؤال يوجه إليه في هذا الخصوص. لذلك رأى أن يكتفي من التاريخ بحفظ نصف صفحة تتحدث عن الحضارة المصرية القديمة .. ما دام هذا يلامس شغاف قلب الأستاذ ويرضيه.

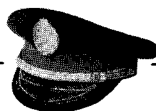
ولذلك ففي كل مرة يهم الأستاذ القبيسي بسؤاله أثناء الدرس يسارع قبل أن يعرف السؤال .. بتلاوة ما حفظه عن ظهر قلب عن الحارة المصرية بصوت مرتفع لا يخلو من بعض الوقفات والتغني ..

وبهذا كان يتجنب الإحراج. بسؤال الأستاذ له، وإن كان ذلك لم يشفع له في امتحان نهاية العام.



ومن أولئك الذين نتذكرهم لمواقفهم التي تدعو إلى اليقظة، النقيب محمد عبدالله العمرو[1]، الذي ما أن يستلم وظيفته كضابط للخفر حتى تعلن حالة الطوارئ في المدرسة، ويعم الاستنفار بين الطلبة، وبخاصة أولئك الذين يقومون بالحراسة ليلاً على منطقة تخزين البنادق المخصصة للتدريب والموضوعة على ركائز خشبية بالقرب من مدخل المدرسة الرئيسي ليسهل استخدامها من قِبَل الطلاب عند خروجهم صباحاً لحصة المشاة .. لذلك ولأهمية هذه المنطقة وخطورتها.. كانت ميداناً تكتيكياً للغارات التي يشنها هذا النقيب ليلاً على أهداف مختار فيها .. حيث يقوم بمراقبة الطالب المكلف بحراسة تلك المنطقة، من مكان خفي وعيناه مركزتان على وجه الحارس الذي قد يغلبه النعاس، خاصة بعد منتصف الليل، أو ربما يكون غافلاً أو مفكراً هائماً بفكره، شارداً بلبه، تائهاً بذهنه، وما أكثر أسباب التفكير والسرحان. الذي ينتاب الطالب في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل وعندما تحين اللحظة المنتظرة ينقض متسللاً، حافي القدمين ليخطف بندقيةً أو حربة أو أي شئ يسهل التقاطه من عهدة الحارس وهو مستغرق في سبات عميق، أو غارق في غفلته وتفكيره!! وعندما يحين وقت التسليم للبديل يكتشف الحارس الجديد أن هناك نقصاً في بيان العهدة.

١ – رئيس الجهاز العسكري بالحرس الوطني برتبة فريق أول.



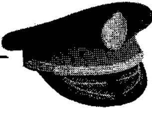
فيعلو لذلك الجدل والنقاش بين الحارسين، ولا يحسمه إلا ظهور صاحبنا الذي يتدخل بهدوء وتكاسل شديدين مفتعلين، وكأنه لا يعلم عن الأمر شيئاً وإمعاناً منه في تطبيق أساليب الحرب النفسية نراه يطلب من الطالبين إعادة جرد العهدة من جديد، للتأكد مرة أخرى من احتمال وقوع خطا في الأمر أو نحو ذلك!

هكذا كان يتصرف، ولكنه في النهاية يأمر الحارس الجديد باستلام الموجود، ولا ينسى أن يطلب من الحارس الأول قبل أن يسمح له بالانصراف للنوم أن يطلب من الحارس الأول قبل أن يسمح له بالانصراف للنوم أن يحضر إليه غداً صباحاً في مكتبه، فيذهب الطالب إلى مضجعه طلباً للنوم .. ولكن .. هيهات أن تنام له عين، أو يغمض له جفن، إذ يقضي بقية ليلته ساهراً حتى الصباح، يضرب أخماساً لأسداس[1]، ويحدث نفسه موجهاً إليها ألف سؤال وسؤال عما ينتظره من بلاء وعن نوع الجزاء الذي سيعاقب به.

وما أن ينبلج نور الصباح حتى تدب الحياة في المدرسة فيسارع الطالب مهرولاً صوب المكتب الذي لا يجهله أحد فيدخل عليه حيث يجده في انتظاره وقد قطب جبينه وتجهمت أساريره آخذًا وضع التحفز، وكأنه أزمع على فعل شئ ما!

---

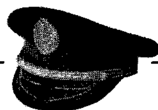
١ – فائدة: من الأخطاء الشائعة قول«يضربُ أخماساً بأسداس». راجع معجم الأخطاء الشائعة لمحمد العدناني.



وكما هو متعارف عليه في الحياة العسكرية .. يظل الطالب واقفاً بعد تأديته التحية العسكرية منتصب القامة، مرفوع الهامة بارز الصدر، مفتوح العينين، مضموم العقبين، ملتصق الذراعين بالجانبين، لا يكاد يأتي بحركة، ولا تصدر عنه بادرة.

يظن من يراه على تلك الحال، أنه قد تجمدت أطرافه وتيبست أعضاؤه أو أنه أصبح تمثالاً لا حراك به، ولا يملك من أمره شيئاً وإني على يقين من أنه – وهو على هذا الحال – لن يكون في مقدوره ولا في استطاعته، استيعاب موضوع المحاضرة الطويلة العريضة التي يأخذ مضيفه كالعادة بإلقائها عليه، واسترجاع كافة معانيها.

فغالباً ما تحتوي – في مثل هذا الموقف – على كم كبير من مختلف مصطلحات التأنيب والتقريع والزجر والتوبيخ وجميع الألفاظ الدالة على معاني الإهمال واللامبالاة، وعدم الإهتمام بما ينبغي الاهتمام به، والإنقياد وراء هوى النفس الأمارة بالسوء.. سواء أكان بالنوم واقفاً أو بالغفلة عدم اليقظة، ثم ينبهه إلى الوعيد الشديد الذي ينتظره إذا تكرر منه هذا الإهمال، ويطالبه بالتركيز على منطقة مسؤوليته أما نوع الجزاء الذي يختتم به هذا اللقاء غير المستحب في العادة فهو حرمانه من التمتع بإجازة نهاية الأسبوع، والتوقيف داخل



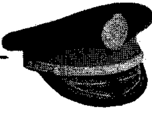
محيط المدرسة مع ساعة أو ساعتين من التدريب الإضافي في حرارة الشمس وقت الظهيرة، والناس في القيلولة نيام إذا كانت تلك هي المرة الأولى للخطأ الذي ارتكبه الطالب.

وأما إن كان من أرباب السوابق .. فالجزاء يكون أشد وأبلغ .. ولكنه مهما بلغ .. فلن يتعدى بحال مضاعفة الجزاء ليكون رادعاً له ولغيره.

كان هذا التصرف منه يمثل بالنسبة لنا آنذاك، منتهى الشدة والقسوة والتسلط والغلظة .. وكنا نصفه بأن لديه رغبة سادية جامحة تدفعه إلى الاستمتاع بتعذيب الآخرين عن طريق الاجتهاد في البحث عن الزلات وتعقب الأخطاء، ورصد الهفوات التي تصدر منهم ..

وظل هذا الاعتقاد الخاطئ سائداً بيننا، عالقًا في رؤوسنا، كامنًا في أعماقنا طيلة حياتنا في المدرسة العسكرية ولكننا عندما تخرجنا وأصبحنا ضباطاً أدركنا أنه كان بتصرفاته تلك يمثل بُعْدًا استراتيجياً صحيحاً، وفلسفة تربوية هادفة لتقوية الإحساس الحقيقي لدينا بالمسؤولية.

وأننا بذلك قد تلقينا دروساً ميدانية مفيدة. وتطبيقاً عملياً لما يمكن أن يواجهنا في حياتنا المقبلة فحمدنا له ذلك فيما بعد، وإن لم نشكره عليه في حينه.



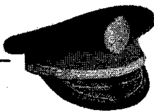


طلاب الدفعة العاشرة بالمدرسة العسكرية بالطائف عام ١٣٧٢هـ



طلاب الدفعة العاشرة أثناء تمرين تكتيكي على (تختة الرمل)

التخرج من
المدرسة العسكرية



التخرج من المدرسة العسكرية

انقضت السنوات الدراسية الثلاث كلمح البصر، بكل ذكرياتها حلوها ومرها، تاركة بصماتها واضحة في نفوسنا عميقة في أغوار قلوبنا.

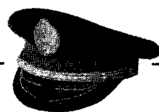
لقد كانت المدرسة العسكرية بحق منشأة كبرى لتخريج الشباب الأكفاء، ومصنعاً نموذجياً معاصراً لصنع الرجال الأشداء.

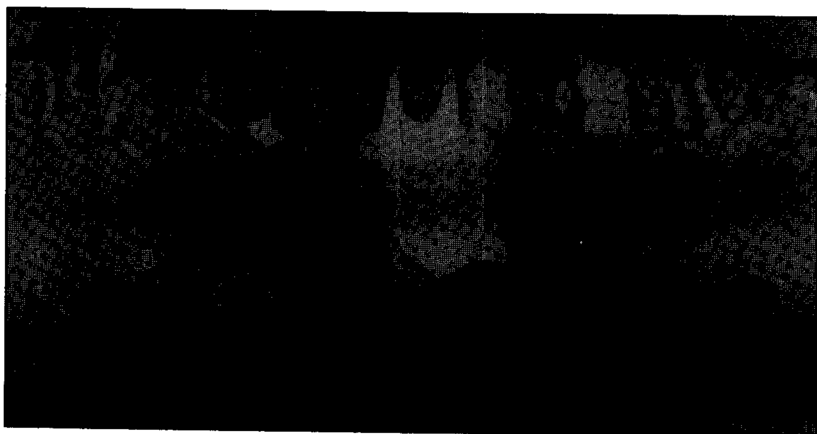
في صبيحة الحادي والعشرين من شهر شعبان عام ١٣٧٣هـ وجدنا أنفسنا نستعد للسفر إلى الرياض حيث تقرر أن يكون حفل التخرج هناك بعد أن تعذر حضور وزير الدفاع حينذاك صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبدالعزيز بسبب ارتباطه بجلسة لمجلس الوزراء. وفي مساء نفس اليوم كنا في الرياض حيث أُقيم حفل متواضع حضره كبار المسؤولين من عسكريين ومدنيين.

وتسلم فيه الخريجون شهاداتهم ورتبهم من يدي سموه داخل إحدى قاعات المطار القديم، وألقى الطالب المتخرج يوسف إبراهيم السلوم(١) كلمة الخريجين .. تلتها قصيدة رائعة نالت استحسان جميع

---

١ – بتاريخ ١٤١٤/٢/١هـ أحيل على التقاعد برتبة لواء وعين سفيراً لخادم الحرمين الشريفين لدى جمهورية كينيا.





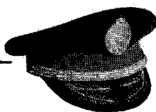
سمو الأمير مشعل بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران يقف وسط أفراد الدفعة العاشرة المتخرجين عم ١٣٧٣هـ الموافق عام ١٩٥٢م بالرياض.

الحاضرين ألقاها الشاعر المقدم علي زين العابدين[١] قائد المدرسة وفي المساء أقيم حفل عشاء في صالة المستشفى العسكري بالرياض.

وفي اليوم التالي عدنا إلى الطائف حيث صدرت الأوامر بتوجيهنا للعمل في فوج المستجدين بقيادة الرائد محمد صالح البلاع[٢] .. وكان هذا الإجراء بصفة مؤقتة، ريثما يتم توزيعنا على الوحدات ..

ولعل السبب في عدم اتفاق أعضاء القيادة منذ البداية على طريقة توزيعنا يعود إلى ما قيل في ذلك الحين : بأن دفعتنا كانت تتمتع بنظرة

١ - أحيل على التقاعد برتبة لواء.
٢ - أحيل على التقاعد برتبة لواء.

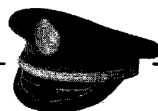


خاصة وعناية زائدة .. بسبب كونها أول دفعة تم تدريبها على الأسلحة والتكتيك الأمريكي بعد انتهاء مدة البعثة العسكرية الإنجليزية، ولما أحيطت به هذه الدفعة من دعاية لكونها تلقت تعليمها الأكاديمي على يد فئة مختارة من الضباط السعوديين الذين تلقوا تعليمهم العسكري في أرقى الكليات العسكرية في الخارج وهم: المقدم علي زين العابدين، وكل من النقباء: علي الشاعر، عبدالرحمن أبو السمح، ومحمد المهدي، حازم صبغة الله، وهؤلاء من خريجي الكلية الحربية المصرية، ومحمد بديره، ومعتوق ردّه، من خريجي الكلية الحربية بسانت هرست البريطانية، وغيرهم من أوائل خريجي المدرسة العسكرية وهما النقيب سليمان الماضي[1]، والنقيب محمد عبد

المؤلف برتبة ملازم ثاني

---

١ – أحيل على التقاعد برتبة لواء.



الله العمرو[1]، الذي كان معروفاً بشدته وتمسكه بأهداب النظام، أما النخبة المختارة من ضباط الصف فأذكر منهم النائب وكيل رقيب نزال مفلح الجوفي[2]، الذي أبلى بلاءاً حسناً في مجال التدريب، ونال شهرة واسعة بين الطلبة في التدريب الإضافي لقوة صوته وقدرته على تحمل حمأة الشمس عند الظهيرة.

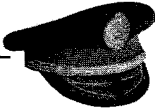
وقد استمر في الخدمة حتى قاد أكبر الوحدات العسكرية ورقي إلى رتبة لواء قبل إحالته إلى التقاعد .. والجميع يذكره بالخير ويقدره.

وقبل مغادرة هذه الوحدة التي يعج ميدانها بالحركة والنشاط تبعًا لمهتمها التدريبية. رأيت أن أذكر شيئاً استرعى انتباهي، لا لغرابته وإنما لأنه يمثل السلوك الإداري الأول الذي ظل عالقاً في ذاكرتي على مدى السنوات الماضية وكأنه قد حدث بالأمس القريب.

كنت وأربعة آخرون من زملائي ممن تم تعييننا مؤقتاً في السرية الثانية بقيادة النقيب فايز حمد الحلويط[3] الذي كان ينفرد بأسلوب قيادي تميز به وعرف عنه بين أفراد وحدته وهو أنه لا يتبع في معاقبة

---

١ – رئيس الجهاز العسكري بالحرس الوطني برتبة فريق أول.
٢ – استمر في الخدمة حتى أحيل على التقاعد برتبة لواء.
٣ – أحيل على التقاعد برتبة لواء.



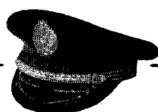
المسيء منهم التسلسل الجزائي كما ينص عليه نظام العقوبات العسكري كالتدريب الإضافي، أو الحرمان من التمتع بإجازة نهاية الأسبوع أو مايسمى بالتوقيف داخل محيط الوحدة، أو حسم أيام ما من راتبه أو غير هذا أو ذاك من أنواع الجزاءات.

لكنه بدلاً من ذلك كله .. كان يلجأ إلى أسلوب العقاب كاللوم والتوبيخ حيناً، والضرب غير المبرح حيناً آخر.

وأذكر أنني دخلت عليه مكتبه لأمر يتعلق بالوحدة، فرأيته واقفاً وسط الخيمة وهو في حالة انفعال لم تخرجه عن وقار القائد أو آداب السلوك العسكرى.

فقد كان صوته مرتفعاً بعض الشيء ويده تهوي برفق على ظهر جندي مستجد يرتدي ملابس الرياضة، وبعد خروجي من مكتبه سألت بعض من كان موجوداً عنده عن هذا التصرف من القائد والذي بدا لي حينذاك خروجاً عن المألوف ولا ينطبق مع ما درسناه في السنوات الثلاث الماضية من حيث التدرج في العقاب ..

إذ أن الجلد وهو أحد أنواع الجزاءات المنصوص عليها في نظام العقوبات العسكري (فصل: النظام الداخلي) لا يكون إلا تنفيذاً لقرار عسكري بعد إجراء محاكمة أو استجواب داخل الوحدة، فقيل لي : (أن

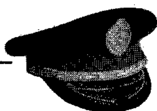


لكل شيخ أسلوبه وطريقته) وما رأيته من تصرف هو منهج هذا القائد الذي يرى فيه العلاج الناجح والعقاب الرادع لمواجهة الكثير من مشكلات أفراد وحدته وجلهم من الجنود المستجدين صغار السن لذلك فهو يرى أن التأديب العاجل هو الأقوى تأثيراً، والأسرع معالجة للأخطاء اليومية العادية التي لا توجب اللجوء لمقتضيات النظام ومسوغاته.

ولأن هذا التصرف قد أثار اهتمامي كإجراء إداري، فقد رأيت فيه ما يوجب البحث والاستقصاء، فوجدته رغم مظهر القسوة فيه مقبولاً من أولئك الذين تعرضوا له.

فعندما سألت لاحقاً ذلك الجندي الذي رأيته في مكتب القائد عن رأيه فيما حدث؟ قال لي وهو يبتسم إنه لا يستنكر هذا التصرف ولا يعيبه مادام أنه صادر من قائد هو بمثابة والده، ثم أردف قائلاً وهو يبتسم أن هذا يذكره بعقاب والده له عندما كان صغيراً، ذلك العقاب الذي لا يحمل ضغينة أو رغبة في الانتقام وإنما التأديب والتهذيب.

بهذا المنطق المتواضع والنظرة الواقعية اللتين عبر عنهما هذا الجندي المستجد أكد لي تقبل هذا النوع من السلوك الإداري والمنهج التربوي الذي يتعامل به هذا القائد مع مرءوسيه والذي قد لا يكون آتياً

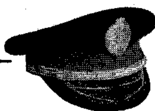


من فراغ أو بدافع رغبة أو حباً في ممارسة الايلام الجسدي للآخرين، لكنه جاء نتيجة لقناعة ومعايشة ميدانية وتطبيقاً عملياً لخبرات سابقة لهذا القائد مع فئة مماثلة.

ومع أن هذا القائد قد نجح في تطبيق أسلوبه التربوي هذا داخل وحدته، فإن السؤال يبقى قائماً : ماهو الأسلوب التربوي الأمثل والأكثر نجاحاً في مواجهة بعض السلوكيات غير السوية التي تصدر عادة عن أفراد حديثي الانخراط في سلك الجندية تعبيراً عن معاناة نفسية أو جسدية تعرضوا لها أثناء التدريب نتيجة لمواقف وتصرفات غير محسوبة يمارسها مدربون تنقصهم الدراية والوعي بأسس التربية الحديثة التي ينبغي توفرها فيمن يقوم على التدريب بمختلف أشكاله ومواقعه؟

وإلى أن يُهتدى إلى الجواب الشافي والأسلوب الأمثل يظل كل شخص يمارس طريقته ..

التعيين في الفوج الثالث مشاة بالطائف



التعيين في الفوج الثالث مشـــاة بالطـــائف

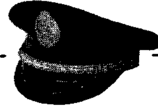
عندما بوشر بتوزيعنا على الوحـدات بعد أن مكثنا بعد التخرج في فوج المستجـدين قرابة شهرين كنت الوحيد بين زمـلائي الذي تم تعيينه في الفوج الثـالث مشاة بالطائف، قـيادة الرائد محـمد عبدالله الميـمان[1] (يرحمه الله) وأسند إليّ قيادة الفصيل الأول بالسرية الثانية.

في هذه الوحـدة، سـارت الأمـور سـيـراً طبـيـعـيـاً، إلى أن كـان يوم واجهت فيه أول امتحان نفسي شطر مشاعري وأحاسيسي إلى شطرين، وأخذ يتـجاذبني كل شطر منهمـا إلى صفه وإلى اتجاهه .. وقـد حِرْت في أمري، إلى أيهـما أنتمي وأرجح وأيهمـا أجفو وأدع .. فقد أصـبحت بحكم الارتباط المباشـر بقائد وحدتي، طرفاً في خلاف نشـأ بينه وبين قائد الفوج الرائد محمد الميمان، حول بعض وجهات النظر غير الرسمية.

إذ كـان من عـادة الرائد الميمـان أن يؤم ضـبـاط القيـادة في صـلاة الظهر في الخيمة المخصصة للصلاة القريبة من مكتبه وكنا بحكم قربنا من هذا المصلى، نحرس على أداء الصلاة معه.

---

١ - رقي إلى رتبـة لواء بتــاريخ ١٣٨٠/٧/١هـ وتوفي رحــمـــه الله في الطائف بتــاريخ ١٣٩٢/١٠/٥هـ.

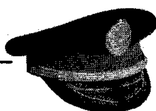


وكان الميمان (يرحمه الله) على شئ من التدين والثقافة، يحب الوعظ والإرشاد، مبتغياً بذلك إفادة الآخرين في أمور دينهم.

فكان أحيانًا ينتهز فرصة تواجد الضباط في المسجد، ليلقي عليهم بعد الصلاة درساً دينياً قصيراً. تعقبه مناقشة بعض صغار الضباط عن بعض ما يهم المسلم معرفته.

ولم يكن هذا الأمر يعجب قائد وحدتي، أو يروق له، بل كان ذلك يستفزه ويثير حنقه. وكان يقول في اعتراضه .. بأن هذا الأمر وإن كان عملاً طيباً، فهو يعتبر من وجهة نظره خروجاً عن المألوف، وتدخلاً من قِبَل الميمان في اختصاص وشؤون الآخرين وهم علماء الدين. إذ كان الأولى به كما كان يقول قائد الوحدة: أن يدع الأمر إلى أهله، ويتفقه هو أولاً فيما يجب عليه معرفته، وهو ما يتعلق بمهنته واختصاصه كرجل عسكري. لذلك لم يكن يحرص على حضور الصلاة في جماعة القائد!

ولأني كنت الضابط الوحيد في سريته فقد كان يطلب مني الصلاة معه في خيمة المكتب ولتكرار هذا التخلف منا نحن الاثنين فقد فُهِمَ وفُسِّرَ على أنه تكتل منا ورفض لرغبة القائد وخروج عن الإجماع والجماعة ونظراً لعلاقة هذا الأمر بالقائد الميمان فقد كتم هذا في نفسه



ولم يبده لنا وأسره في قلبه ولم يطلعنا عليه ولا بد أنه فكر أكثر من مرة في الوسيلة المثلى لتحطيم هذا التحالف الثنائي والقضاء عليه، قبل أن يستشرى بين أفراد الفوج، باعتباره ظاهرة شاذة، تتعارض مع ما يجب أن يكون عليه الحال ويلتزم به كل عسكري، أيًا كانت رتبته.

ولعل تفكيره الذي أرّقه في هذا الأمر لم يدم طويلاً، ولم يطل كثيراً .. إذ تم تعيين أحد الضباط في الفوج الثالث، نقلاً من اللواء السابع في الحدود الشمالية (عرعر)، بسبب مشكلة دم بين قريب هذا الضابط وأحد المواطنين هناك، حيث قيل أن أهل هذا المواطن قد آلوا على أنفسهم، وهددوا وتوعدوا أن يأخذوا بالثأر لقتيلهم، مع أن القضية قد صدر فيها الحكم الشرعي بدفع الدية المقررة.

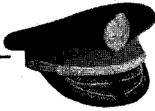
ولكن من باب الحيطة والحذر والوقاية، وحفاظاً على سلامة هذا الضابط وخوفاً من تعرضه للقتل أو الأذى .. تقرر نقله إلى الطائف على أن يستبدل بضابط آخر يرشح من قِبَل قائد الفوج المنقول إليه .. فكنت أنا الذي وقع عليه سهم الاختيار ..

وقد فوجئت، كما فوجئ قائد وحدتي أيضاً بصدور أمر نقلي إلى (عرعر) اعتباراً من ١٣٧٤/١١/١هـ، إذ تم بسرية تامة، وفي وقت جد قصير، لم يسمح بانتشار الخبر أو مجرد سماعه قبل صدوره والتصديق عليه!



وقد رأيت في هذا الأمر آنذاك .. أن القائد (الرائد) الميمان قد كسب بذلك الجولة الأولى بالضربة القاضية!.. وعلق أحد الزملاء بقوله: هذا أمر دبر بليل .. ولكني أدركت فيما بعد .. أنه كان إجراء وقائيًا اتخذه القائد محمد عبدالله الميمان، لا حباً في الانتقام، وليس ضغينة منه أو كرهًا لي .. ولكن معالجة عاقلة حصيفة، لبادرة لها خطورتها. فإذا ما تركت دون علاج لمدة أطول فإنها ستؤثر على سلوكي مستقبلاً .. هذا ما كان يعتقده الميمان خصوصاً وأنني حديث التخرج، ومثلي يحتاج إلى اكتساب خبرات قيادية ترسخ روح الطاعة والانضباط في نفسه.

أقول هذا لأني أعلم يقيناً ما كان عليه الميمان القائد من خُلُق نبيل، كما أقول ذلك مخافة سوء الظن، إذ أن بعض الظن إثم، وعملاً بما جاء في الأثر: «انتحل لأخيك عذراً» وعند صدور الأمر بنقلي لم يكن أمامي إلا السمع والطاعة والامتثال. ولكن ما أن بدأت استعدادي للسفر إلى هناك .. حتى علمت بأنه قد تم قبولي كأحد الضباط المرشحين لدورة المظلات الثالثة في مدرسة المظلات بجدة .. وكنت قد اجتزت الفحوصات الطبية اللازمة من قبل .. لذلك كان لابد من العمل دونما تأخير على تأجيل التحاقي بوحدتي الجديدة إلى ما بعد انتهائي من دورة المظلات التي كانت بالنسبة لي حلماً جميلاً يداعب خيالي في أن أصبح مظلياً متفوقاً يزين صدري الجناح الذي هو في نظري رمز للفتوة والشباب، وعنوان بارز للحيوية والنشاط.



ولكن كانت هناك مسألة تقض مضجعي. فقد سألت نفسي في حيرة وقلق: إذا أنا اتبعت التسلسل القيادي كما يجب، حسب النظام المتبع .. للحصول على التأجيل .. فأخشى أن تبدأ الدورة وتنتهي قبل أن تبت وحدتي بالأمر. وذلك نظراً لصعوبة الاتصالات ومحدوديتها في ذلك الوقت بين القيادة بالطائف والقيادات الأخرى وبخاصة البعيدة منها.

لذلك كان عليّ أن أتحرك بسرعة، وأعمل شيئاً لتجاوز هذا الاحتمال وهذه الفرضية التي تصورها خيالي وكأنها حقيقية لا مفر منها ولا مخرج لها، مع أنها ربما كانت وهماً أو تعبيراً عن رغبة دفينة في البقاء في الطائف أو لعلها الرغبة أيضاً في ألا تفوتني هذه الدورة التي كانت هي حلمي الجميل.

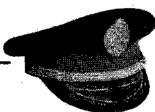
لذلك وبعد تفكير لم يطل أمده، لم أر أمامي إلا حلاً جذرياً واحداً وهو محاولة استصدار أمر بذلك من صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبدالعزيز وزير الدفاع آنذاك لحسم الأمر!!

ودونما أي صعوبة قابلت سموه أثناء دخوله إلى مكتبه بقصر شبرا التاريخي العتيد بالطائف .. حيث شرحت له الأمر بكلمات قليلة وعبارات موجزة رتبتها بصعوبة بالغة .. لأنها كانت هي المرة الأولى التي أقابل فيها أميراً، أو أخاطب فيها وزيراً .. ولكنه قدر موقفي وشجع



رغبتي .. فوعدني خيراً .. وقد طلب مني الشيخ محمد بن صالح، وكيل الوزارة آنذاك وكان يقف بجوار سموه، أن أراجعه بعد يومين .. حيث أبلغني بعدها بأنه تم إرسال برقية مستعجلة للجهات المعنية للموافقة على تأجيل سفري إلى (عرعر) إلى ما بعد انتهاء دورتي بمدرسة المظلات.

وبهذا الإجراء .. أحسست براحة نفسية تغمر كياني، ولم يعد هناك ما أخشاه من تلك التوجسات التي كانت تطاردني في الأحلام واليقظة. لذلك مكثت في الطائف في ترقب وانتظار .. أتوقع استدعائي بين آن وآخر من قبل مدرسة المظلات التي كنت على اتصال لا يكاد ينقطع بها وبقائدها الرائد مظلي محمد أمين روزي على وجه الخصوص الذي كان لتشجيعه وزميله النقيب عبدالله القتلان (رحمه الله) والنقيب عبدالرحيم سلامة خير دافع لصغار الضباط آنذاك للالتحاق بدورات المظلات، لذلك كانوا يؤكدون لي في كل مرة أتصل بهم أنني من المقبولين لكن عليّ الانتظار إلى حين استدعائي .. فكان الانتظار الصعب والترقب الممل، زاد في ذلك أن رواتبي قد أصبحت ضمن مستحقات محاسبة المنطقة الشمالية التي نقلت إليها .. وأصبح أمر استعادتها من هناك مستحيلاً قبل بدء الدورة .. فقد عشت طيلة شهور أربعة على مدخرات بند الاحتياطي العام الذي لم يكن يزيد في ذلك الحين على بضع مئات من الريالات، أزمة انتهت ولله



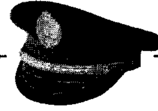
الحمد حال استدعائي في أواخر شهر صفر ١٣٧٥هـ للالتحاق بالدورة الثالثة مظلات التي سأتحدث عنها لاحقاً.

هذا ولإعطاء مزيد من التعريف بالقائد الرائد محمد عبدالله الميمان، وبأسلوبه الإداري ومنهجه القيادي المتميز .. أذكر على سبيل المثال لا الحصر .. أنه كان (يرحمه الله) محباً للنظافة والترتيب الذين يلزم بهما الضباط والجنود في مواقع سكنهم ومكاتبهم ..

فكان لشدة حرصه على ذلك يقوم بين وقت وآخر بجولات تفتيشية مفاجئة داخل المعسكر، يعاقب فيها المقصر، ويشجع المجتهد .. وهذا العمل كان واحداً من جملة مزاياه الكثيرة، وللتدليل على ذلك أذكر هذا الموقف الذي يتعلق بأحد ضباط الفوج وهو الملازم سليمان الحرقان[1]، الذي كان معروفاً بهمته العالية ونشاطه الكبير وحبه للتنظيم .. حتى أنه كان ينفق من راتبه -على قلته- في سبيل أن تظهر وحدته كأحسن وحدة في النظافة والترتيب، فيحوز بذلك على قصب السبق، عندما يقوم القائد بتفقد الوحدات كما جرت العادة في نهاية كل شهر، لتحديد الوحدة المتفوقة نظاماً وتنظيماً.

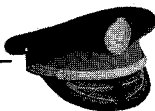
فترى هذا الضابط الهمام ينشط في جلب البطحاء الخشنة، والطوب

١ – أحيل على التقاعد في ١٤٠٤/٧/١هـ برتبة لواء.



الصغير الملون ليجمل بها الممرات المؤدية إلى خيام وحدته ناهيك مما يضعه داخلها من أقمشة ملونة، ومصابيح مضيئة تبهر الأبصار وغير ذلك مما يلفت النظر ويثير الإعجاب لقد كان بحق صاحب فكر متدفقٍ فياض، وعقل متنور معطاء يمنحه القدرة على الإبداع والتجديد، ويكون في وسعه أن يأتي كل يوم بجديد. وكان إلى جانب ذلك من هواة الفنون الجميلة. فقد كان رساماً بارعاً، وخطاطاً حاذقاً، وذا صوت جميل عندما يرتل آية من الذكر الحكيم ،ولأنه كان متميزاً ومتعدد المواهب وافر النشاط، لذلك غالباً ما تكون وحدته هي الأفضل بين الوحدات الأخرى، أما ما قام به الزميل المذكور واعتُبر إنجازاً كبيراً في نظر القائد الميمان وتقديره، فهو تمكنه من تشييد خزان للمياه من الأسمنت والبلك أمام السرية التي تحت قيادته لتوفير الماء لأفرادها، لذلك شيد لهم الخزّان الذي يبلغ طوله أربعة أمتار، وعرضه مترين، وارتفاعه متراً واحداً بحنفيات جانبية. وقد صنع له غطاء سميكاً من الخشب المغلف بالصاج، فكان أشبه شئ بما نراه اليوم أمام البيوت التي ما زالت تحت الإنشاء لغرض حفظ الماء أثناء البناء والتعمير.

إلا أن هذا كان مُلَيَّساً ومدهوناً باللون الأبيض .. الأمر الذي جعل القائد الميمان يتوقف عنده طويلاً أثناء جولته التفتيشية متأملاً إياه معجباً به لا لدقة بنائه ولا لجمال منظره بل لأنه ظاهرة جديدة مستغربة، وفعل لم يسبق أن قام به أحد من قبله في وحدات الفوج الأخرى.



لذلك كان مثار الإعجاب ومحل الرضى والقبول الحسن، من لدن الجميع بقبول. وفي الجولة التفتيشية التالية وكانت في يوم خميس -وهو اليوم الذي تستعد فيه السرايا عادة للتفتيش- طلب القائد الميمان أن يجمع الفوج (الكتيبة) بكامل ضباطه وأفراده .. وأن يصطف الجميع تحت سارية العلم التي تتوسط ساحة المعسكر، حيث ألقى عليهم خطاباً استهله بتوجيهاته المعتادة، وبالتذكير بما يجب عليهم من أمور دينهم ودنياهم، وكان هذا شأنه في كل مرة يخطب فيها.

وقبل أن ينهي خطابه، طلب أن يَمْثُل أمامه الملازم سليمان فجاء مهرولاً مرتاعاً لا يدري ما الأمر، وهنا قال القائد الميمان (رحمه الله) جملته الشهيرة التي ما برحت عالقة في ذهني، ولم أنسها رغم مرور الأيام وتتابع السنين. قال وهو يشير بيده نحو الضابط المذكور: إن وراء كل فكرة ناجحة .. رأس مفكر ثم أردف قائلاً: وإن ما قام به الملازم - سليمان - من عمل جيد مفيد .. ليدعو إلى التقدير والاحترام ..

ثم أشار إلى الخزان الذي لم يكن بعيداً عنه، وقال: انظروا إلى هذا العمل الماثل أمامكم إنه فكرة الملازم سليمان، ونتاج عقله المفكر إنه إنجاز يستحق عليه منا الشكر والتقدير؟! وأنه بعمله هذا واجتهاده ليمثل بحق الضابط النموذجي الذي يحتذى؟! وأطرق الميمان هنيهة ثم



أردف يقول : ولأنه ناجح في عمله، محب له، مجتهد فيه .. أفما يجدر بنا أن نتعلم منه ونأخذ عنه ونتبع خطاه؟!

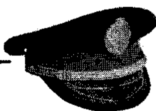
كيف لا؟ وهو صاحب الأفكار الصائبة النيرة .. والأعمال الناجحة المميزة التي يعرفها الجميع.

وبعد أن انتهى الخطاب البليغ الرائع .. وانصرف الطابور .. اتجه الجميع ليشاهدوا الخزان.. الأعجوبة الذي أصبح بعد ذلك مزاراً لمن يريد الاقتباس أو التقليد.

لم يكن يرحمه الله ليبهره هذا العمل لكنه أراد بالإشادة به بهذه الصورة أن يحفز الآخرين ويستثير حماسهم ويستنهض هممهم، خاصة وأن من قام بهذا العمل واحد من صغار الضباط الذين يحتاجون إلى التشجيع في بداية حياتهم العسكرية.

وهذه إحدى سمات القيادة الواعية التي تدرك أهمية ملامسة أوتار الروح المعنوية ليزداد عطاؤها ويتضاعف إجتهادها.

هذا .. ومن المواقف الطريفة معه (رحمه الله) وهو موقف لن أنساه ذلك عندما تقابلنا وجهاً لوجه وهو يهم بالخروج من أحد صالونات الحلاقة بالطائف، وأنا أدلف إليه لنفس الغرض حيث كان قد انتهى لتوه من الحلاقة ..



فـمـا إن وقع بصـره عليّ وكان يـظن أني قد سـافـرت إلى وحـدتي المنقـول إليـهـا حـتى قال بنـبرة تسـاؤل واسـتـغـراب : أهذا أنت؟ .. ألم تسافر بعد؟

فكان ردي عليه سـريعاً دون تردد، وكـأني كنت مستـعداً له: لا لم أسافر بعد كما تراني، ولن أسـافر إلى هناك إلا بعد حصولي على دورة المظلات القادمـة المرشح لها، وقد صـدر أمر بذلك، ووحـدتي قد علمت به واطلعت عليه.

ودون أن يعـقب عـلى ذلك، ترك المكان وانصـرف، وكـأنه شـعـر بحـرج الموقـف، وبخلو مسـؤوليـته عنه، وأن حكمـة القـائد تقتـضي منه ذلك، ولكني علمت فيما بعد أنه قام بالتحقق من ذلك ربما ظناً منه بعدم مصداقيتي، أو بدافع من إحساسه القيادي ومسؤوليته السابقة عني ..

وهذا ما أمـيل إليه وأرجـحه حـتى يطمئن على سـلامة مـوقفي .. ومنذ ذلك التـاريخ لم أره حـتى توفـاه الله وانتـقل إلى مـثواه الأخـيـر .. رحمه الله وأحسن إليه.

لقـد كـان رحــمـه الله يمثل أحـد النـمـاذج القـيـادية المتـفـاعلة مع متطلبات القيادة الحقة.

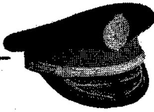
فلم يكن مـتـعـاليـاً أو صـلـفاً، ولـم يعـهـد منه قط أنه سـعى لإلحـاق



الضـرر بالآخـريـن، وإن اخـتلف مـعـهم في الرأي، وكـأنـه كـان ينظر للحكمة القـائلة: اختلاف الرأي لا يفـسد للود قضـية. وقد كان (رحـمه الله) قريباً من منسوبيه، صائب التفكير والتدبير، على درجة كبيرة من الثقافة العامة.

وكان يحـصل عليهـا من قراءاته المتنوعـة التي غرست في نفـسه قدراً كـبيـراً من الثقة عـند مواجهـة مخـتلف المواقف .. وكان (يرحـمه الله) خطيـباً مفـوهاً، وعسكرياً واعـياً، وقـائداً ناجحـاً، وإنساناً متـديناً، محباً للخير.

في
مدرســة المظـلات



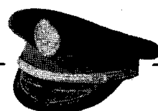
في مدرسة المظلات

في بداية شهر ربيع الأول عام ١٣٧٥ للهجرة.. كنت وخمسة ضباط آخرين هم النقيب: علي وهبي.. والملازم أول مصلح عمر الحربي (رحمه الله)، والملازم علي محمد الهذيلي.. والملازم عرب إسماعيل عورثاني.. والملازم فالح محمد الظاهري.. وثلاثون ضابط صف وجندياً، نشكل طابوراً لبدء الانطلاقة الأولى للدورة الثالثة..

كان ذلك في يوم سبت وقد أشرقت شمسه على استحياء، حيث لا



أخذت هذه الصورة التذكارية في جدة لضباط وأساتذة ومدربي مدرسة المظلات وأفراد الدورة الثالثة من الضباط وذلك في ١٣٧٥/٦/٢١هـ وكان يجلس في الصف الأول من اليمين الملازم الأول عرب إسماعيل، النقيب محمد نصرت والنقيب المصري علي سعد والعميد المصري أحمد عبدالمنعم الزغبي والرائد علي وهبي والنقيب مصلح عمر والملازم الأول علي الهذيلي، أما الواقفون من اليمين المدرب السعودي أحمد القرني والمدرب المصري عبدالوهاب الألفي والملازم الثاني صالح الغفيلي ومدرب الرياضة الأستاذ عطية كاسب والملازم الثاني فالح الظاهري والمدرب المصري إبراهيم عمر.



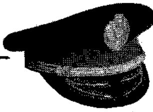
رياح ولا هواء.. بل كـان الجـو حـارًا لافـحًـا.. والرطوبة تكـاد تخنق الأنفاس.. إلا أننا انطلقنا كالخيول البرية نرتع غير مبالين ذلك..

إنها الرغبة التي تولد العزم والتصميم على تحقيق الهدف النبيل الذي أتينا من أجله، الظفر بنتيجته التي كنا نحلم بها.. وهي التأرجح في الهواء.. بين الأرض والسماء، كالصقور الكاسرة.. لنزين صدورنا البارزة بعد التخرج بشارة القفز (الجناح الذهبي) الذي كان يمثل لنا رمز الشجاعة والإقدام، ويجسد جرأة الأبطال.. إنه إيحاء الشباب.. الذي لا يهاب ركوب الصعاب ولا غرو فقد كان شعار المظلات ولايزال هو القول المأثور عن الخليفة الأول.. أبي بكر الصديق (رضي الله عنه وأرضاه): احرص على الموت توهب لك الحياة. وكان البعض يردد إلى جانب ذلك هذا البيت من القصيدة المشهورة، للشاعر العربي التونسي أبي القاسم الشابي حيث يقول:

ومن يتهيب صعود الجبال

يعش أبد الدهر بين الحفر

هكذا كنا وكانت بدايتنا.. ننطلق بكل حيوية ونشاط لا نخشى التعثر ولا نبالي بالسقوط..

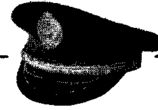


ولكن.. لم يكد يمضي الأسبوع الأول على بدء التمارين الرياضية والهرولة الصباحية.. حتى هبت على أجسادنا رياح التغيير.. فقد تصلّبت عضلاتنا، واضمحلت أجسادنا، واسمرت ألواننا من كثرة مالفحتها الشمس.. حتى أننا كنا لشدة ما ينالنا من التعب والإرهاق، نستعين ببعضنا البعض على النهوض من الفراش!

إلا أن هذا الحال لم يدم طويلاً.. إذ سرعان ما استعدنا قوتنا ونشاطنا، بعد أن تعودت أجسادنا على الحركة المستمرة والمران الدائم.. كما أن عضلاتنا المتصلبة ما لبثت أن لانت فأصبحت تستجيب بكل طواعية وانضباط لكل حركة رياضية مهما صعبت وتعسر تنفيذها!

لم يكن قد تخرج في ذلك الوقت إلا مجموعة الدورة الأولى، التي تم تخريجها في ١٣٧٤/١١/١٥هـ وشاركت في يوم الجيش الذي أقيم في مدينة جدة في ١٣٧٤/١٢/١٧هـ، حيث كنا نحن ومجموعة الدورة الثانية نسير في التدريب جنبًا إلى جنب، نتعاقب على الميادين وأجهزة التدريب لم تكن قد اكتملت بعد بالصورة التي هي عليها اليوم، بعد أن تم نقل المدرسة إلى مدينة تبوك بالمنطقة الشمالية الغربية..

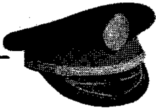
حيث احتلت مبانيها التي صممت على أحسن طراز معماري



يجمع بين القوة والجمال، وتشتمل على كافة المرافق الإدارية والأجنحة التعليمية وميادين التدريب لكافة الأغراض، والمهام القتالية المختلفة، والإمداد الجوي.. إلى جانب تخريج مئات المظليين لاستكمال تشكيل وحدات المظلات الخاصة، وإعدادها إعدادًا جيدًا بحيث تكون قادرة على القيام بأصعب المهام القتالية، والتحركات الأرضية بصبر وتحمل كبيرين.

ولتمكينها من القيام بهذه المهام، ودعمًا لها وتعزيزًا لمركزها، فقد ضُوعِفَ تشكيلها وغُيِّر مسماها لتصبح: «مركز ومدرسة المظلات» أسوة بالمدارس العسكرية الأخرى ذات المهام التدريبية..

مضت بنا الأيام بطيئة رتيبة.. تعد علينا خطوات النجاح والتقدم، وتدنينا من مقاصدنا السامية وأهدافنا العالية شيئاً فشيئًا.. ونحن في الدورة نزداد مع مرورها معرفة وخبرة وقوة واندفاعًا في اتجاه الهدف المنشود. وفي ١٣٧٥/٦/١هـ، كنا قد أنهينا مرحلة التدريب الأرضي.. باجتيازنا العقبة النفسية الأكثر صعوبة فيه.. وهي القفز من البرج الذي يرتفع ٣٤ قدمًا عن سطح الأرض والذي لابد لكل متدرب أن يؤدي ست قفزات ناجحة منه على الأقل، ويكون بهذا قد حطم الحاجز النفسي الذي كثيرًا ما يكون للأسف الشديد، حجر عثرة أمام بعض



المتدربين الذين - رغم اجتيازهم ماسبق - يجدون صعوبة كبيرة في القفز منه، فتنهي دورتهم بعد فشل كل المحاولات معهم من قِبَل المدربين الذين يقدرون مثل هذه المواقف، ولكن بالنسبة لنا فقد مرت علينا هذه المرحلة بسلام ولله الحمد.. حيث أخذنا بعد ذلك بالقفز من الطائرة.. وخلال أسبوعين كنا قد قفزنا خمس قفزات، منها واحدة بالمهمات وأخرى ليلية، ولم يتبق سوى القفزة السادسة وهي الأخيرة حيث نحصل بعدها على شارة القفز "الجناح الذهبي"..

عندئذ يتأكد لنا أن جهودنا لم تذهب هدرًا، وأن مساعينا قد تكللت بالتوفيق وحالفها النجاح.. حقًا كنا نرقب تلك الساعة بلهفة وشوق شديدين..

وكم كانت سعادتنا عظيمة وفرحتنا كبيرة عندما علمنا أن التخرج سيكون في الرياض في يوم الخميس ١٣٧٥/٦/٢١هـ، وهو اليوم الذي حدد لإقامة مهرجان مظلي كبير في العاصمة (الرياض). ومما زاد من أهمية هذه المناسبة وجعل منها يومًا تاريخيًا مشهودًا لن ينسى على الإطلاق، أن هذا المهرجان كان تحت رعاية الملك سعود بن عبدالعزيز القائد الأعلى للقوات المسلحة (يرحمه الله)..

لذلك ما إن أعلن خبر هذا المهرجان في الرياض، وحُدِّد له الزمان

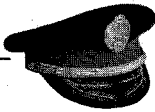


والمكان وهو أرض واسعة مستوية - وأعتقد أنها (الملز) حاليًا - حتى خرجت الرياض على بكرة أبيها.. الرجال والنساء والأطفال، حتى كبار السن والمعوقين وجمع غفير من البشر، أحاطوا بميدان القفز إحاطة السوار بالمعصم.. فكان يومًا مشهودًا، وكان له أطيب الأثر في نفوس المشاهدين جميعًا.

كان الوقت عصرًا حين خففت الشمس من وطأة حرارتها وعندئذ تم إنزال قرابة مائة وعشرين مظليًا على ثلاث دفعات، وهم رجال الدورات الثلاث التي انهت تدريبها.. فكان بحق حفلاً رائعًا ظل حديث الناس جميعًا في الرياض لفترة طويلة تشيد بنجاحه، وتمتدح أبطاله والقائمين عليه..

أما بالنسبة لنا فقد كان يومًا رائعًا لن ننساه ما حيينا.. فقد انتهى الحفل دون أية حادثة تذكر ولله الحمد.. فالسماء كانت صافية، الرياح خفيفة السرعة، الأرض مستوية ممهدة صالحة للهبوط.. والمظليون شباب أكفاء، يتوقدون حماسًا وقوة وحيوية وفتوة.. قدروا الموقف حق قدره.. وأدوا القفز فأحسنوا الأداء..

أجادوا تنفيذ المهمة بكفاءة عالية.. والتزموا بما يجب عليهم الالتزام به فيما يتعلق بسلوكيات القافز من القيام بتنفيذ التعليمات وإجراءات الهبوط، كالتخلص من المقعد، وتحديد وضع الهبوط عند



ملامسة الأرض، ومعرفة اتجاه الرياح، والعمل بهدوء على التخلص من المظلة، وإعادتها ثانية إلى غلافها المخصص لها، الذي يحمله معه القافز، والإسراع بالوقوف في منطقة التجمع استعداداً للانتظام في الطابور الذي سيقوم بالمرور أمام المنصة الرئيسية التي يتوسطها راعي الحفل الملك سعود بن عبدالعزيز (يرحمه الله) ويحيط به أصحاب السمو الأمراء.. وأصحاب المعالي الوزراء، ووجهاء الرياض وأعيانها، وكبار المسؤولين من مدنيين وعسكريين..

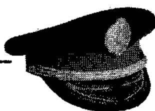
وكان المظليون يرددون الأناشيد الحماسية والهتافات الوطنية عند مرورهم أمام المنصة، وقد تم كل ذلك بعون من الله وتوفيقه..

ثم اختتم الحفل بتوزيع الجوائز السخية التي تفضل بها الملك على القافزين.. تقديراً لجهودهم الكبيرة وأعمالهم المجيدة.

وفي صباح اليوم التالي حينما بزغت الشمس من خلف الروابي والتلال، ونشرت أشعتها الذهبية على كل سهل ووهد ونجد.. معلنة ميلاد يوم جديد.. مشرقًا بالأمل السعيد..

عدنا إلى جدة حيث تسلمنا شهادات التخرج، لنبدأ مشوار الحياة.. في رحلة جديدة.. على طريق العودة إلى ميادين العمل.. حيث يشكل الميدان المحك الحقيقي لمختلف القدرات.

في الطريق إلى
الحدود الشمالية



في الطريق إلى الحدود الشمالية

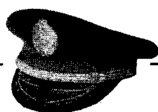
في ١٣٧٥/٧/٥هـ الموافق ١٩٥٥م بعد التخرج من مدرسة المظلات كنت في طريقي إلى وحدتي الجديدة: اللواء السابع المشاة[1] الذي كان موزعًا على كل من القيصومة ورفحاء..

أما القيادة وبقية وحدات التشكيل.. فكان مقرها في مدينة عرعر (بدنه) التي كانت حينذاك قرية صغيرة فيها بيوت قليلة لا يتعدى الواحد منها الطابقين، يخترقها من الشرق إلى الغرب شارع ترابي غير مضاء، ويوجد على جانبيه متاجر متواضعة. أما اليوم فقد تبدلت واتسعت مساحتها، وامتدت لترسم في قلب الصحراء لوحة حضارية جميلة، تنطق بما نالها من رعاية واهتمام، كبقية شقيقاتها من مدن المملكة الأخرى.

وكان عليّ – من أجل الوصول إلى هناك– أن أحل ضيفًا على قيادة المنطقة الشرقية بمطار الظهران مدة لاتقل عن أسبوع، ريثما يتم الحجز لي من قبلها على طائرة البريد التي تسيرها "شركة أرامكو" مرتين في الأسبوع..

---

١ – في عام ١٣٦٩هـ كانت بداية تشكيل هذا اللواء بقوة قوامها ثماني سرايا مشاة، سميت قوة خط الأنابيب «التابلاين» بقيادة المقدم آنذاك سليمان الجارد، وفي عام ١٣٧٥هـ طُورت هذه القوة وكبر حجمها بدعمها بوحدات أخرى لتصبح مسمى اللواء السابع مشاة بقيادة العقيد آنذاك سعيد عبدالله العمري، وفي عام ١٣٧٧هـ سحبت هذه القوة إلى الخرج وحلت محلها قوة أخرى من مجاهدي الحرس الوطني.

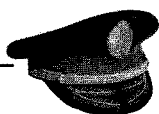


إذ لم تكن "الخطوط السعودية" قد افتتحت بعد خطًا جويًا إلى هناك.. وهذا ماحدث بالفعل.. فقد بقيت في الضيافة العسكرية مدة عشرة أيام كاملة..

ولما كان الانتظار صعبًا ومملاً .. فقد أمضيت تلك الأيام العشرة في استرخاء جسدي وهدوء فكري.. أما في النهار فكنت -لكي أخرج من حاجز الملل وحيز الضجر- أتنقل بين مدن المنطقة الشرقية القريبة من المطار كالخبر والدمام ومدينة الظهران، للتعرف عليها وعلى مرافقها العامة ومعالمها الحضارية.. والتجول في أسواقها التي كانت متواضعة جدًا مقارنة بما هي عليه اليوم.

وأما في المساء فقد كنت أذهب أحيانًا لمشاهدة أحد الأفلام الأمريكية أو الإيطالية المدبلجة، وذلك في صالة العرض الكبيرة التابعة للبعثة العسكرية الأمريكية التي لم تكن تبعد كثيرًا عن موقع الضيافة داخل منطقة المطار.

وأحيانًا أخرى كنت أمكث في غرفتي بعد تناول العشاء الذي كثيرًا ما ذكرني بالأيام الخوالي، عندما كناهنا منذ ست سنوات في المدرسة التي لم ينحج فيها أحد!.. وكنت لمحاولة التخلص من جاذبية تذكر الماضي التليد.. أنغمس في القراءة والتفكير فيما أنا مقبل عليه..



ولكن هل بمقدورنا أن نفصل الماضي عن الحاضر، وهما كطرفي الحبل؟! وما الحاضر إلا امتداد للماضي مايلبث أن يعود ماضياً مثله..

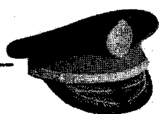
وقد نستطيع أن نعيش الحاضر دون التفكير في المستقبل، ولكننا لن نستطيع بحال من الأحوال أن ننسى الماضي.. لأنه لاقيمة للحاضر ولا طعم له ولا لون، إلا باستحضار الماضي بصوره المختلفة، كما مرت علينا وعشناها.. لذلك لن نعرف الحاضر إلا بالماضي..

لذا ما إن أخرج من حجرتي حتى تتوارد على ذهني صور الماضي عندما كنا نرتع هنا منذ ثمان سنوات تقريبًا.. فها أنا الآن أمام نفس مضاجع النوم التي كانت تؤوينا سابقًا.. وبجوارها صالح الطعام نفسها التي كنا نتردد عليها ثلاث مرات في اليوم والليلة..

وغير بعيد عنهما ملعب كرة القدم الترابي الذي كنا نتسابق فيه ونتقاذف الكرة يمنة ويسرة في جميع أرجائه دونما أي توجيه أوتحكيم.. فها هو كما تركناه آخر مرة لم يطرأ عليه أي تغيير.

وبين تذكر الماضي والتفكير في المستقبل.. استطعت مقاومة عشرة أيام من الانتظار الممل والترقب بفارغ الصبر.. وقد بقي هذا ذكرى منذ اللحظة الأولى التي سلمت فيها مفتاح حجرتي إلى مسؤول الضيافة.

التوجـــه
إلـــى عـرعـر



التوجه إلى عرعر

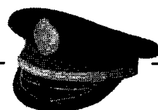
كان ذلك في يوم أحد.. عندما أقلعت بنا الطائرة طيبة الذكر والسمعة «الداكوتا» في طريقها إلى عرعر «بدنه».. نعم! إن هذه الطائرة جديرة بهذا الوصف، وإنني لأجزم موقنًا بأن أحدًا ممن خبرها وجرب ركوبها.

لايستطيع أن ينكر ماقامت به وما قدمته هذه الطائرة العتيدة من خدمات جوية جليلة على مدى سنوات وجودها في الخدمة، دون أن تسجل حوادث تُذكر، مقارنة مع غيرها من نفس الجيل، وبخاصة تلك المسماة: «بريستول» فيما يتعلق بالراحة.

وأنا أقول هذا، لا لمجرد أنني ركبتها هذه المرة فحسب، ولكن لأنها كانت الطائرة الأولى والوحيدة التي كانت تستخدم في وقتنا لأغراض التدريب المظلي والإسقاط الجوي للمعدات، وظلت تؤدي دورها بكل كفاءة واقتدار حتى بعد وصول الطائرة الأمريكية من طراز (C123).

لذلك ما أن دلفت إلى داخلها واستقريت على مقعدي بعد إقلاعها.. حتى شعرت بالراحة والاطمئنان.

ولأنه لا شيء يمكن النظر إليه على الأرض.. سوى صحراء



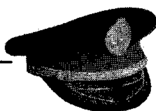
قاحلة، وبيداء جرداء مترامية الأطراف.. فقد استرخيت على المقعد الوثير طلبًا للنعاس.. إلا أن ذهني ظل يقظًا، وفكري بقي منشغلاً بالتفكير في أمر السكن، وذلك لعلمي بأنه لاتوجد هناك فنادق ولاضيافات.

فكرت كثيرًا.. ولكنني لم أهتدِ إلى الحلّ الأمثل لهذه المسألة. لأن التفكير في هذا الأمر قبل أوانه.. يعد من نافلة القول ومسابقة الأحداث.. لذلك فقد غلبني سلطان النوم على أمري، فرحت في سبات عميق!

حتى أنني لم أستيقظ إلا والطائرة توشك على الهبوط على أرض المطار.. وهناك من داخل غرفة صغيرة متواضعة أستلمت حقيبة سفري.. وقد لاحظت أن هناك شخصًا يقف على مقربة مني يهم بحملها فأوجست منه خيفة!.. وتشبثت بها حرصًا عليها لأنها تحوي كل ممتلكاتي وأمتعتي من كتب وملابس ومحاضرات وغير ذلك.. ولكني عدت فأطمأننت إليه بعد أن عرفت أنه سائق سيارة أجرة..

فأشرت له بحملها.. فأنطلق بي مسرعًا على طريق ترابي بعد أن عرف أن وجهتي قيادة المنطقة التي تقع وسط مدينة عرعر.. وأمام مدخل القيادة استوقفني الحارس مستفسرًا عن هويتي وشخصي..

وبعد أن عرفته بنفسي، سمح لي بالدخول، ولم أنس أن أودعه



حقيبتي.. ولحسن الحظ ويمن الطالع أن أول شخص قابلته كان الزميل الملازم أول «فضل عليان» ركن عمليات اللواء السابع، الذي لم أكن أعلم بوجوده هنا من قبل. لذلك فقد فوجئت به تماماً، وسرتني رؤيته أيما سرور..

أما هو فقد أخبرني بأنه علم بخبر نقلي، ولكنه لم يكن يعلم شيئًا عن موعد حضوري.. لذلك فقد فوجىء بي هو الآخر ورحب بي ترحيبًا كثيرًا، ثم اصطحبني إلى مكتبه حيث أخبرني بأنه يسكن بمفرده في بيت مجاور للقيادة، وأنه سيكون سعيدًا إذا أنا وافقت على السكنى معه..

وما إن سمعت منه ذلك حتى تنفست الصعداء، وشعرت كأن كابوسًا ثقيلاً كان يجْثِمُ على صدري.. قد انزاح!

ولعله لاحظ بفراسة المؤمن اغتباطي بعرضه الكريم هذا، وإدراكه بأنها - أي: مشكلة السكن - العقبة الكبرى والمشكلة العويصة التي تواجه القادم إلى هذه المنطقة.. ولذلك ودفعًا للحرج عني.. لم يترك لي فرصة للتعبير عن ذلك، إذ سرعان ماطلب مني مرافقته لمقابلة قائد اللواء سعيد العمري في مكتبه، الذي ما أن رآني مقبلاً عليه حتى وقف مرحبًا..

وبعد تناول فنجان من القهوة العربية.. استأذنا للانصراف.. وقد سر كثيرًا عندما أخبرناه بأنني سوف أشارك الملازم فضل السكن في بيته..



ولم ينس العقيد العمري التأكيد أن غدائي سيكون في منزله غداً كما جرت عادته مع كل قادم جديد للعمل تحت قيادته.. فلقد كان -الحق يقال - كريماً مضيافاً..

ولا عجب في ذلك، فهذه إحدى خصاله المجيدة وسجاياه الحميدة التي يعرفها عنه كل من عاش معه أو عمل تحت قيادته وخالطه.. وهو إلى جانب ذلك.. ذو شخصية قوية جذابة تفرض احترامها على كل من حولها.. وهو محدث لبق. يملك كما وافراً من الثقافة والمعرفة بأحوال الدنيا من حوله.. فهو يتحدث بثقة ملحوظة.

حتى أنه ليؤكد كل كلمة يقولها.. ولا غرابة في ذلك.. فهو يغترف من تجاربه الطويلة، ومعايشته المديدة، لأحداث ماضيه وحاضره.. الحافلة بالكثير من الخبرات والتجارب.

وهو قبل ذلك وبعده.. يتمتع بحصافة فائقة، وإدراك ذكي لماح.. لقيمة الكلمة.. عندما يدلي برأي.. أو يعطي مشورة.. وهو في كلا الحالين شجاع في الحق، لا يتردد في التعبير عما يريد بوضوح تام، وبتأكيد حاسم!

هذه بعض سماته التي يعرف بها.. وتلك معالم شخصيته البارزة التي تعرف عنه، والتي ظلت ملازمة له إلى أن أحيل إلى التقاعد نائباً



لرئيس هيئة الأركان العامة برتبة فريق! ولايفوتني للتدليل على فطنته، وقدرته على الاستفادة من تجاربه السابقة.. أن أذكر له المواقف التالية:

الموقف الأول:

ذات يوم كان يقوم بجولة صباحية.. اعتاد القيام بها بين كل فترة وأخرى.. يمر خلالها على الوحدات أثناء تواجدها في ميادين التدريب الصباحي. وكنت ساعتها أقوم بتدريب مجموعة من أفراد سرية القيادة التي عينت بها.. على مادة قراءة الخرائط "الطبوغرافيا"، وبإيعاز من ركن العمليات الملازم أول فضل عليان انضممت معه لمرافقة قائد اللواء في جولته..

وتصادف أن مر العقيد العمري على المكان المخصص لاستقبال الراغبين في التجنيد من المدنيين.. وعندما وجد جمعهم غفيرًا، وعددهم كبيرًا.. طلب منهم الاستماع والوقوف أمامه صفًا واحدًا.. ثم أخذ في التحدث معهم وتوجيه الأسئلة إليه.. وفجأة صرخ بأعلى صوته: "استعد".

فمن كان منهم عسكريًا في السابق.. قام في الحال، وبحركة لا إرادية بضم قدميه إلى بعضهما، ونصب قامته، ورفع هامته.. وشخص ببصره إلى الأمام لاتصدر منه حركة، ولاينبعث منه صوت.. وهو مايحدث

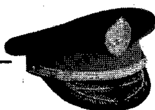


تلقائيًا عندما يسمع العسكري الواقف في الطابور هذا النداء : "استعد" من قِبَل المدرب أو قائد الطابور.. وهذا ماحدث بالفعل مع عدد من هؤلاء الراغبين في التجنيد، كمستجدين لم يسبق لهم أن خدموا في وحدات أخرى.. ولكن بهذه الخدعة الذكية، تم التعرف عليهم وكشف هوياتهم، حيث تم تطبيق التعليمات المستديمة التي تعالج مثل هذه الحالات.

فمن كان يملك وثيقة فصل نظامية من وحدته السابقة، ومضت عليها المدة القانونية بحيث لايكون فصله بقرار تأديبي.. فلا مانع من أن يعاد تجنيده مرة أخرى، إذا كان ما يزال صالحًا للخدمة العسكرية.. وأما من ثبت أنه كان عسكريًا سابقًا ولايحمل وثيقة فصل نظامية، فيتم القبض عليه ويعاد إلى وحدته السابقة باعتباره هاربًا.

الموقف الثاني:

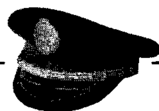
أما الموقف الثاني فلم أشهده بل سمعت عنه إذ أنه حدث قبل وصولي إلى المنطقة بفترة قصيرة.. لذلك أنقله بلفظه ومعناه كما جاء على لسان الراوي حيث قال: أن مشادة كلامية حدثت ذات مرة بين جندي تابع لإحدى سرايا اللواء، وكان يرتدي وقتها الملابس المدنية، وبين أحد الأهالي.. وأثناء تطور النزاع بينهما، وقبل أن يؤدي إلى الالتحام بالأيدي، انسحب الجندي المذكور بهدوء من أرض المعركة.



وذهب مسـرعًا إلى حـيث توجد بدلتـه العسكرية، ثم قام بـارتدائها سريعًا، وكرَّ راجعـًا إلى خصمه مستأنفًا الحرب الكلامـية التي يتخللها بطبيـعة الحال.. الشـتم، واللعن، والتهديد، والوعـيد. ولم يكن اعتـماده في تهجمـه على خصمه، على شـجاعته وقـوة بأسه.. بل كان معـتمدًا كل الاعـتماد علـى حصانـة البدلة العـسكرية التي يرتديها، والتـي كان يعتقد أنها ستحمـيه من كل اعتداء، وتكون له واقية من كل سوء، حتى ولو كان هو البادئ بالعدوان.

نعم: هكذا كان ظنـه، ولكن الهزيمة التي مُنِي بها، جـاءت مخيـبة لآمـاله. فقـد احتـدمت بينهـما الحـرب الكلاميـة، وتطورت، واشتـدت، واسـتـعـر أوارها!.. حـتى أفلت زمـام الموقف.. وأدى الحـال في نهـاية المطاف إلـى الاشـتـبـاك بين الخـصـمين الـلدودين بالأيدي والأقـدام والرؤوس والعصي..

وانتـهت أخيـرًا معـركـة حامـية الوطيـس بعد تدخل فـئات أخـرى وعناصر محايدة، محبة للسـلام.. انتهت بتمزيق البدلة العسكرية التي يرتديها الجندي الهمـام، وإصابته بإصابات دامية، وكـدمات شديدة في أنحاء مـتفـرقة من جسـمه.. فكانت علقـة ساخنة، ودرسـًا قاسـيًا.. لن ينساهما على مدى الأيام!!

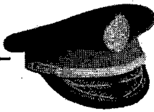


وعندما سمع القائد العقيد سعيد العمري بخبر هذه الواقعة، وتحقق من أمرها.. ذهب إلى الوحدة التي ينتمي إليها بطل هذا الموقف المهزوم.. وطلب من قائدها أن يجمع له عموم أفرادها بحيث لايتخلف أحد، وأكد وجوب استدعاء الجندي المذكور. وأما الجميع تحدث العقيد العمري عن السلوكيات الواجب التقيد بها..

وعما ينبغي أن يكون عليه خلق الجندي المسلم من الصفات الحميدة، والحصافة الرشيدة.. ليعطي سمعة طيبة للعسكري المسلم، ويكون نموذجًا رفيعًا للخلق الكريم، على نهج الإسلام القويم.. ومازال العمري يذكر ويعظ ويضرب الأمثال، إلا أن جاء كما قال الراوي على ذكر الحادثة..

فأوضح لهم فداحة الخطأ الكبير، وسوء التقدير الذي ارتكبه الجندي المشار إليه، عندما لم يواجه الموقف بالصفة التي كان عليها ساعة المشادة الكلامية، والخلاف الذي نشأ بينه وبين الشخص الآخر. ولكنه بدلاً من ذلك أراد أن يسلك سلوك الجبناء، ويصنع صنيع الأنذال بأن يرتدي البدلة العسكرية ليغطي ضعفه وقلة حيلته..

وأردف قائلاً: "أن البدلة عز وشرف، تفرض على مرتديها أن يحترمها ويقدر قيمتها، وأن يحافظ عليها من أي إهانة أو مذلة أو دنس.. فكيف يكون الأمر بمن يعرضها للتمزيق والإهانة كما فعل فلان وذكر اسمه. لذلك فقد استحق العقاب الرادع، وهو جلده أمامكم جزاء له وعبرة للآخرين"..

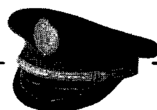


إنه موقف حصيف من القائد العمري، يدل على حزمه ومضاء عزمه.. إذ جعل ذلك الجندي عبرة لغيرة، ونكالاً لكل من يفكر أن يسلك مسلكه أو ينهج نهجه.. كما يدل هذا الأمر على كفاءة العقيد العمري في تحمل المسؤولية وتقديره لها حق قدرها..

الموقف الثالث

أما الموقف الثالث فسأروي أحداثه كما شاهدتها بنفسي عن كثب.. ذلك أنه كان للقائد مجلس يحضره كبار الضباط والموظفين..وغالبًا ما يكون هذا المجلس قد أعد لقدوم ضيف، أو للاحتفال بمناسبة من المناسبات وما أكثرها.. وكما هو متعارف عليه، كان القائد يحتل صدر المجلس ليبدأ منه طرف الحديث وإليه ينتهي.. فتراه يدير دفة الحديث بين الجالسين.. ثم يتبعه آخر فيحكي طرفة شاهدها أو سمع بها، ويلقي غيره قصيدة من إنشائه أو من حفظه، ويصدر تعليق من رابع حول مادار في الجلسة، ويقوم خامس فيبدي اعتراضاً على المعلق، أو حول ما يدور في المجلس من مناقشات.. وما يزال الحال على هذا المنوال حتى يحين موعد تناول طعام العشاء.

هكذا كان مجلسه، أشبه مايكون بندوة أدبية مفتوحة يديره مذيع بارع مقتدر.. لذلك كان الجميع يحرصون على حضورها، والاستمتاع بما يُلْقَى فيها من فوائد، وحكم وطرائف وأشعار وحكايات وأمثال وعبر.. وغير ذلك.



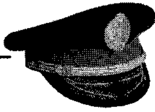
أمـا بطل هذا الموقف.. فـكان ضـابط صف، أسـمـر اللون، طويل القامة، يعرف بأبي علي. وأبو علي هذا ركن ثالث ثابت من أركان هذه الجلسة وأحد أقطابها المرموقين.

وكـان يفـوز دائمًـا بنصـيب الأسـد من اهتمـام القـائـد والعناية به، والتعـويل عليه كـشريك رئيسي في إدارة دفـة الحديث وتوجـيهه.. فـقد كان أبو عـلي هذا بحق ذَرِبَ اللسان، قـوي البيـان، نافذ الحـجة، يتـمتع بقدرة فائقة على سرد القصص وحكايات الخوارق ومغامرات الغرائب.

منهـا مـا كـان هو بطلهـا، ومنهـا مـاتنامى إلى سـمـعـه فـحـفظتـه ذاكـرته.. ومنه مـاحـبك أحـداثهـا وصـورها وأضـاف إليهـا شـيئًـا من الخيال.. لتتلقاها الأسماع بالقبول والسرور.

وكـان يروي حكاياته وغـرائبه بطريـقة مـشـوقة تسـتـرعي انتبـاه الحاضـرين جـميعًـا.. تملك عليـهم ألبابهم، وتسـتحـوذ على إعجـابهم، وتثـير دهشـتهم.. والمثـير فـي الأمر.. أن هذا الرجل على مـا أوتي من نصاعة البيان، وفصاحـة اللسان، وقوة الحافظة، ووعي الذاكرة.. كان لا يقرأ ولا يكتب..

فلو كان غـير ذلك لأصـبح بما أوتي من مواهـب من كـبار الأدباء، ومن أعلام كُتَّـاب القصص الشعبي والمؤرخين لـه.. وقد صدر في ذلك



الوقت أمر تعميمي من رئاسة الأركان إلى عموم الوحدات والمناطق. لرفع أسماء الراغبين من الضباط والأفراد الذين تنطبق عليهم الشروط المبينة. للحصول على دورة مظلات لتدعيم وحدات المظلات المُشَكَّلة حديثًا.. ولأنني كنت المظلي الوحيد في هذه المنطقة..

فقد كلفت من قبل القيادة بمقابلة المتقدمين للالتحاق بهذه الدورة قبل الكشف عليهم للتأكد من لياقتهم الجسمية، وانطباق الشروط المطلوب توافرها فيهم، من حيث السن، والوزن، والطول، وغير ذلك مما ينبغي مراعاته لهذا الأمر.

كان أبو علي بطبيعة الحال - ليثبت جسارته وجرأته وحبه للمغامرات - أول المتقدمين.. لكني لم أرشحه لكبر سنه، وإدراكي بأنه لن يصمد طويلاً قياسا بما مر عليّ من صعوبات وعقبات في هذا المضمار، وأنا الشاب الأصغر منه سنًا.. فكيف به وهو يواجه هناك من أسباب الإرهاق والمعاناة مايضطره حتمًا إلى العودة من منتصف الطريق.. إن هو تحامل على نفسه في بدايته، وكلفها ما لا يطيق، لذلك لم أُرشحه.. رفقًا به، وإشفاقًا عليه..

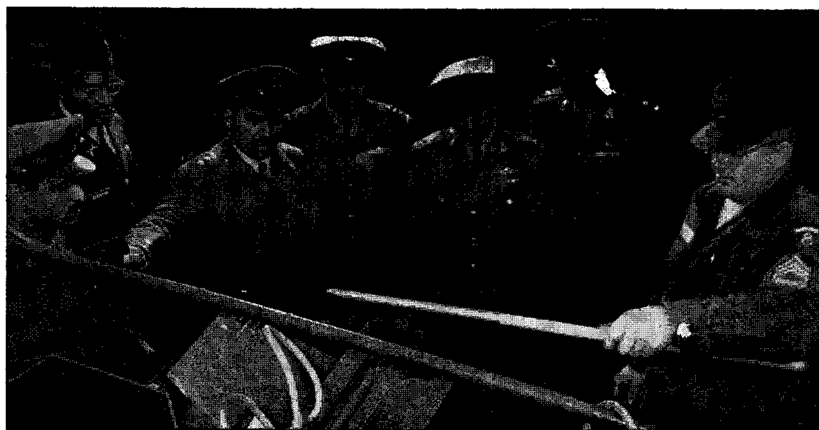
كان هذا هو إحساسي الصادق الذي بنيت عليه وجهة نظري تلك، لكن القائد لثقته الكبرى في المذكور.. لم يرَ رأيي ولم يتفق معي..



إذ قال لي وهو يبتسم: "لا يا أخ صالح.. أنت لا تعـرفه كما أعرفه أنا.. إنه أبو علي.. الصبور.. المقـدام.. وإنني على ثقـة بأنـه يمكنـه القفـز من الطائـرة، حتى بـدون مظلة..

ثم أردف يقـول وهو يبـتسم: صـدقني.. إنه شـجـاع جسـور وثاب وجريء لا يخشى الموت ولايهابه"..

وإزاء هذه القناعة من القائد.. التي لم تقبل النقاش ولا الجدال.. لم يكن بدّ من ترشيـحه.. ولم يمض شهر حـتى كان أبو علي المذكور مع بقيـة المرشحين الآخرين في طريقهم إلى جدة.. حيث كان توجد مدرسة المظلات..



المؤلف مع العقيد سعيد العمري والمقدم علي وهبي والنقيب محمود عبدالمالك والملازم عبدالرحمن الجعيد لدى زيارتنا لإحدى الوحدات الأمريكية في ألمانيا الغربية عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م

السقوط
في الحفرة



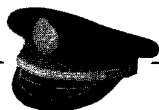
السقوط في الحفرة

بعد ذلك بشهرين تقريباً كنت عائداً في مساء إحدى الليالي التي لا قمر فيها ولاضياء من سهرة في بيت أحد الزملاء.

كان الليل حالكاً والظلام دامساً والعتمة مدلهمة لايكاد المرء يتبين فيها موطئ قدمه، ويبدو أنني كنت وأنا أسير في الشارع الرئيسي الوحيد آنذاك في مدينة عرعر أحدث نفسي بأمور شتى لاتتعدى في مجموعها هموم العازب، لذلك لم أشعر إلا وأنا أقف على قدمي داخل إحدى الحفر التي قامت بحفرها الشركة التي كانت تقوم على تنفيذ مشروع "كهرباء مدينة عرعر" لتثبيت الأعمدة فيها.

لم أشعر وقتها بأي ألم يذكر، ولكني لاحظت في الصباح وأنا أهمّ بالذهاب إلى العمل.. أن قدمي اليمنى متورمة بعض الشيء، فأوجست خيفة من أن يكون قد لحقها مكروه.. وذهبت إلى المستشفى لأضع حداً لهواجسي.

وبعد أخذ الصور اللازمة لقدمي.. تبين أن بها شعراً فوق الكعب، يستلزم وضعها في الجبس لمدة ٤٥ يوماً، مع إعتبار هذه المدة استراحة مرضية لي.

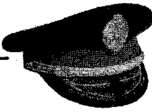


ولأنني كنت أعزبًا وأحتاج لمن يخدمني بعد إصابتي تلك، وخاصة بعد أن أصبحت أتوكأ على عصا.. فقد تقدمت بطلب للسماح لي بقضاء هذه المدة في بيت والدي بجدة.

وماهي إلا ستة أيام.. حتى أبلغت بالموافقة على ذلك.. وفي اليوم التالي كنت أصعد سلم طائرة الخطوط السعودية من نوع "بريستول" بمساعدة الأخ الزميل "فضل عليان" الذي قال لي وهو يصعد معي إلى داخل الطائرة: أنه سيفتقدني كثيرًا..وأن أيامه أثناء غيابي ستكون صعبة وموحشة.. وكان هذا أيضًا هو نفس ما كنت أشعر به عند فراقي له. إنه التآلف والظروف الحياتية المتشابهة التي جمعتنا هنا في السكن وفي العمل أيضًا، وقد كنا قبل ذلك زملاء في المدرسة العسكرية بالطائف.

وفي المساء وصلت إلى جدة وأنا في غاية التعب والإرهاق والصمم وتلف الأعصاب، فالرحلة كانت طويلة ومملة إذ كان على الطائرة أن تهبط في أكثر من مطار داخلي قبل أن تحط رحالها في جدة.

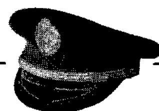
ومما زادني إحساسًا بذلك وضاعف فيه.. عدم قدرتي على الحركة.. فقد كان التحرك داخل الطائرة صعبًا على من هو بساق



واحدة دون مساعدة نظرًا لاهتزاز الطائرة المستمر ولوجود طاقم ملاحيها في الطابق الثاني هكذا كان تصميم الطائرة قائمًا على التفرقة وعدم المساواة!.. فلا عجب فهي من صنع انجليزي..

لذلك فإن أحدًا هناك لايسمع النداء، وإن ارتفع وعلا وبلغ الآفاق.. من شدة صوت محركاتها، ولتأرجحها المستمر في أجواء الفضاء.

وفي جدة لم يكن الحال بأفضل حيث قضيت معظم إجازتي المرضية حبيس الدار لعدم قدرتي على الخروج فالعكاز مازال ملازمًا لي.. لكني ولمقاومة الملل الذي بدأ يتسرب إلى نفسي، وللحيلولة بيني وبين الضجر وضيق الصدر، عمدت إلى قراءة كتب قديمة كانت لديّ.. فوجدتني أخرج منها بفوائد جديدة تضاف إلى الفوائد التي لم أكن قد حصلت عليها في قراءاتي السابقة لها.. حيث تولدت لديّ بعد ذلك عادة طيبة أحببتها، وجنيت ثمارها، وأنصح بالتعود عليها.. وهي قراءة الكتاب أكثر من مرة عندما يكون الكتاب ذا قيمة علمية أو أدبية.. وذلك للحصول على فائدة أكبر ومعرفة أدق، وإدراك أشمل وأعمق لمحتوى الكتاب ومضمونه.. وعند ذلك تكون أكثر استيعابًا لمادة الكتاب وحل رموزه واستخراج كنوزه..

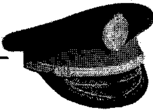


وقد حض الكاتب الكبير عباس محمود العقاد (يرحمه الله) على ذلك، فقال قولته المشهورة التي أثِرَتْ عنه: أن أقرأ كتاباً مرتين خير لي من أن أقرأ كتابين!!

وبقراءتي تلك ضربت عصفورين بحجر واحد كما يقال: الإلتزام بتعليمات الطبيب بالإقلال من الحركة والحصول على نِتاج فكري مستنير، أضاء لي طريق المعرفة.

وقبل انتهاء مدة إجازتي المرضية عنت لي زيارة مدرسة المظلات.. وفي ضحى يوم سبت، كنت أدخل ميدان المدرسة وأنا أتوكأ على عصا وكم كانت دهشتي كبيرة عندما لمحت "أبا علي" ضمن زمرة من زملائه يسيرون بخطى حثيثة في طريقهم إلى البرج الذي سبق التحدث عن أهميته استعداداً لبدء القفز منه.. بعد أن صمد فعلاً وواجه صعوبة التدريب الأرضي طيلة شهرين تقريباً بكل صبر وجلد، ربما بدافع من روح التحدي والرغبة في إثبات الذات.

ولكني علمت فيما بعد، وقبل عودتي إلى مقر عملي.. أن "أبا علي" قد أخفق في القفز من البرج رغم المحاولات العديدة التي قام بها المدربون له.. وعلى الرغم من الفرص الكثيرة التي أعطيت له لمعاودة المحاولة مرة بعد أخرى.. لم يفلح في القفز!!



كان يستجمع كل قوته لمقاومة دفعه إلى الخارج من قِبَل المدرب.. وكانت حركة لا إرادية يقوم بها - بدافع الخوف - ولأنه يدرك لأن ذلك أمر تأباه الرجولة في موقف كهذا.. فقد كان يطلب وبإلحاح شديد من المدربين أن يعطوه فرصة أخرى ليحاول من جديد.. ولكن النتيجة تبقى كما كانت عليه في كل مرة.. لذلك أُلغيت دورته ومُنِي بالفشل الذريع.

وعاد إلى وحدته مدعيًا أن سبب إخفاقه شيء آخر غير الذي حدث، مبررًا إياه بأن الطريق لبلوغ نهاية الدورة كان شاقًا، وعسيرًا على من هو في سنه.. ولكن الحقيقة لابد أن تظهر، طال الزمان أو قصر. لذلك لم يلبث القائد العقيد «سعيد العمري» أن علم بحقيقة الأمر، وأطلع على السبب الخفي، الذي من أجله أخفق أبو علي!!

فكانت الصدمة شديدة، ووقعها عليه كبيرًا.. وأكثر ما أحزنه في هذا الأمر.. أنه قد خاب ظنه به، وأخفقت فراسته فيه وهو الخبير المحنك الذي لم تخب له فراسة من قبل.

لذلك فقد استدعاه إلى مكتبة.. ولامه بما يشبه المواساة.. ولكنه لم يعد في نظرة "أبو علي" السابق، ذلك الجسور، الجريء، الواضح البيان، الفصيح اللسان، الذي كان يهيمن على المجلس، ويُلفِت



الأنظار، ويسترعي الانتباه.. فقد اهتزت صورته أمام ناظريه وتلاشت مكانته.. وأيقن بعدها أن الفصاحة والبيان شيء.. والشجاعة والإقدام شيء آخر.. ولقد صدق الشاعر حين قال[1]:

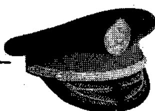
لا تَمْدَحن امرأ حتى تجربَه

ولاتذمّنه من غير تجريب

---

١ – للشاعر أبو الأسود الدؤلي من كتاب حماسة البحتري "مختارات" ص٣٦٩ . شرح وتحقيق أبي حسن بن الحسن المعروف بشميم الحلي، نُسِب هذا البيت أيضاً إلى «النابغة الذبياني».

العـــودة
إلــى عــرعــر



العودة إلى عرعر

ما إن انتهت إجازتي المرضية تلك.. حتى وجدتني في الوقت المحدد في عيادة الطبيب المختص في "عرعر" لمعاونتي في كسر قيدي "الجبس" وإعطائي حريتي. فليس هناك أجمل من الحرية، ولا أغلى ثمنًا منها.. ولكنها الحرية المقيدة بالعقل الواعي.. لا حرية العقل المتحرر المتداعي.. الحرية المتقيدة بالسلوكيات الأخلاقية والمعايير الإنسانية التي أوصانا بها ديننا الإسلامي الحنيف.. وأكد ضرورة التقيد بها وعدم الخروج عن حدودها..

ولم أكن أنشد بكسر القيد من قدمي.. سوى حرية الحركة التي افتقدتها طيلة ٤٥ يومًا، وُفِّقت إلى تحويل سلبياتها من وقت فراغ ممل قاتل، ومعاناة نفسية شديدة الوطأة على شاب تعود الحركة والانطلاق.. إلى عمل إيجابي.. وذلك باستثمار هذا الوقت واستغلاله في القراءة..والإطلاع على كل جيد ومفيد.. ولعل هذا ما أكد لديَّ الرغبة في القراءة.. التي أصبحت منذ ذلك الحين، العادة المفضلة.. التي أستمتع بها أيما استمتاع.. ورُبَّ ضارة نافعة.

وكان لسان حالي ينشد أثناء القراءة والمطالعة قول الشاعر[١]:

---

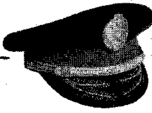
١ – الشاعر محمد بن بشير. كتاب: بهجة المجالس. لابن عبد البر، ج١. ص٥٢.



فـصـرت في البـيت مـسـروراً تحـدثني
عن عِلم مـا غـاب غني في الورى الكتب

عدت بعد تخليصي من حمل عشرة كيلو غرامات من الجبس الثقيل.. كانت تعوق حركتي وتثبط همتي وعزيمتي.. عدت إلى مزاولة نشاطي السابق في التدريب والرياضة.. لأنه لاشيء كان يشغل بالي، خاصة وقد أصبحت أكثر ثقلاً على الأرض، وزهواً بنفسي وإعجاباً بها بعد ترقيتي إلى "ملازم أول"..

وفي غمرة هذا الانتعاش المعنوي، مضت بي الأيام سريعة حتى أطل عام ١٣٧٧هـ يحمل معه أمراً وزارياً يقضي بإنهاء مهمة اللواء السابع مشاة في هذه المنطقة "عرعر".. والاستعداد للتحرك إلى موقعه الجديد بمدينة "الخرج" القريبة من الرياض، على أن تبقى مجموعة مختارة من ضباط الصف والجنود بقيادة أحد الضباط لحراسة المواقع والمنشآت إلى حين وصول القوة البديلة التي ستكلف بهذه المهمة.. وهي فوج من مجاهدي الحرس الوطني البسلاء.. فكان أن وقع الاختيار عليّ لهذه المهمة.. التي أعتبرتها مسؤولية كبيرة تتطلب مني جهداً كبيراً فيه الكثير من الحرص والحذر، وماهي إلا أربعون يوماً مضت بعد انسحاب كامل وحدات اللواء السابع. حتى كانت هذه القوة البديلة قد وصلت طلائعها، فقامت باستلام المواقع منا حال وصولها مباشرة..



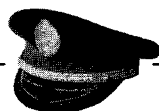
وكـان علينا بعـد ذلك مـغـادرة المنطقـة إلى «الخـرج» عن طريق البر.. ولكني أرجأت ذلك الرحيل المطلوب أسبوعًا كاملاً بعد أن تلقيت دعوة.. لحـضور الحـفل الذي سـتـقـيـمـه في عـرعر قـيـادة هذه القـوة البديلة.. تكريمًا لصاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سعود بن عبدالعزيز قائد الحرس الوطني في ذلك الحين، الذي كان مزمعًا وصوله إلى عرعر لتفقد قواته والاطمئنان عليها في مواقعها الجديدة..

وبهذا انتهت مهمتنا بعد أن سلمنا مابعهدتنا من المنشآت والمواقع، وقمنا بواجبنا خير قيام.. وبمغادرتنا "عرعر" تركت خلفي إحدى المحطات الهامة في حياتي.

التي حفرت في ذاكرتي معالم لذكريات جميلة كريمة، أجد لها حلاوة في قلبي وطلاوة في نفسي.. وأجدها اليوم سهلة الاسترجاع لأهميتها وحيويتها وعذوبة ذكراها في وجداني.. فقد كنت أخف حملاً، وأقل همًا واهتمامًا، وتفكيرًا ومسؤولية بأمور الحياة.. وبشؤون ما يدور حولي.

لم يطل بي المقام في "الخرج" ففي تاريخ ١٣٧٧/٤/١هـ صدر أمر بنقلي إلى جدة.. قائدًا للسرية الثانية مظلات.. وهناك استعدت حيويتي ونشاطي..

فقد كنت أشبه ما أكون بالسمكة التي أعيدت إلى الماء ثانية بعد انتشالها منه.. قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة!.. إذ لم يمض على عودتي سوى بضعة شهور حتى أصبحت أزاول القفز كالمعتاد..



كان ذلك بطبيعة الحال بعد تأكيد الطبيب بأن الشَعْرُ الذي بالكعب قد التأم، ولم تعد هناك خطورة من جراء القفز.. وإن كنت في الحقيقة قد أخفيت - بدافع رغبتي الشديدة في معاودة القفز ثانية - ماكنت أشعر به من ألم عند ملامسة قدمي المصابة للأرض، وبخاصة عندما تكون سرعة الرياح تزيد عن المعدل المفضل عند معلمي القفز ومدربيه، وهو يتراوح بين ١٢ و ١٥ ميلاً في الساعة..

ولكن بشئ من الصبر والرغبة والتصميم.. أمكنني الصمود وتحمل المعاناة.. على الرغم من أن ذلك لم يكن يخلو من المخاطرة.

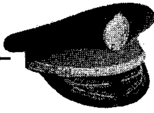
واصلت أداء القفزات المقررة سنويًا كالمعتاد.. حتى باتت قدمي المكسورة، أكثر قوة وصلابة وتحملاً من القدم الأخرى السليمة!

ولكن.. ما أن شعرت بشيء من الهدوء الذهني والاستقرار النفسي، حتى بدأت أفكر في المستقبل، وفي كيفية التخلص من أيام الوحدة القاسية الموحشة التي رانت عليّ، وسيطرت على حياتي..

بيد أنه صدر أمر بنقلي إلى الرياض اعتبارًا من ١٣٧٩/٨/١هـ وتعييني في وظيفة ضابط بحوث وتطوير بقسم البحوث والتطوير - أحد أقسام إدارة التنظيم والتسليح بهيئة العمليات الحربية - كما كانت تسمى آنذاك.

من جدة
إلى الرياض





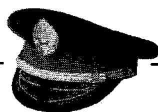
من جـــدة إلى الريـــاض

مع إطلالة شـهر رمـضـان الكريم من عـام ١٣٧٩هـ بعد صـدور أمر نقلي كنـت أدلف إلى مبنى وزارة الدفاع والطيـران بالرياض لأقف بكل احتـرام واستـعداد أمام مـدير إدارة التنظيم والتسليح المقدم محـمد المهدي، الذي كـان أحد ضبـاط المدرسة العسكريـة بالطائف، وصـاحب الحكمة الـصينية التي حـفظتهـا عن ظهر قلب، كـما سـبق الإشارة إلى ذلك.. حيث مـررت بعد ذلك مبـاشرة على الزميل النقيب فيصل عـبد المعين الجودي[1].. رئيس قسم التنظيم والتسليح في مكتبه الذي أكد لي فيـما بعـد أنه لم تكن له يد فـيمـا يتعلق بأمـر نقلي، بعد أن تبين لـه عدم ارتياحي لذلك..

أما لماذا لم أكن مرتاحًا ولا مبتـهجًا لهذا النقل.. مع العلم أن العمل في الوزارة كـان هدفًا لكل ضـابط طموح يسـعى إلى تحسين أوضـاعه الوظيفيـة لتوفر فرص أكثـر للابتعاث إلى الولايات المتحـدة الأمريكية، للحصول على دورات عسكرية هناك، والتي كانت غـاية ما يصبو إليه الضابط آنذاك، بل إن التنافس في ذلك كان على أشده بين الضباط.

أما عـدم ارتياحي لهـذا النقل فقـد يعود ذلك إلى أن أمر الـنقل جاء

١ – أحيل إلى التقاعد بتاريخ ١٤١٠/٧/١هـ برتبة لواء.

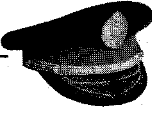


مـفاجـئًـا لي، وعلى غـيـر توقع منــي، ولم أكن مهـيـأ له نفـسيًـا.. وربما لانشغالي فكريًا بترتيبات خاصـة بمستقبل حياتي الأسرية.

أما بـالنسبـة إلى طبيـعة العـمل الذي نقلت إليه، فكلمـا خلوت إلى نفسي في مكتـبي أخذت أقلـب الصـفـحـات الثلاث ذات القطـع الكبيـر (فولسكـاب) التي كانت تتحـدث بوضـوح تام لا لبس فـيه ولاغـموض، عن اخـتصـاصـات هذا القسم وواجبـاته ومـاتتطلبه من خـبرات فنيـة، وتجـارب مـيدانية واسـعـة في مـتـابعـة ورصـد كل مـايطرأ من تطور وتحـديث على الصناعـات الحـربيـة الحـديثـة في مخـتلف مـجـالاتهـا، وإعطاء التوصـيات اللازمة بشـأنها، ومايتطلبـه كل ذلك من الاتصال المستمر بالشركات المصنعة.. لضـمان مواكبة كل جديد هذا إلى جانب اسـتطلاع آراء الجــهـات المعنيـة داخل الوزارة عـن كل ذلك، وإجـراء التنسيق اللازم بين الأجهزة المعنية بالتطوير.

إذًا فهو عمل له متطلباته، إذا ما أريد القيام به كما ينبغي، والنجاح فيه على الوجه المطلوب.

ولأني كنت الـضـابط الوحـيـد في هذا الـقـسم، ولإيماني بـصـدق الحكمـة القائلة: "رحم الله امـرأ عـرف قدر نفسه" ولم يكن من طبـعي أبدًا التردد في اتخـاذ قـرار في أمر مشروع اقتنعت به بعد حـساب دقيق



وتفكير عميق، وتقدير متـأنٍ للموقف، والحالة التي تواجهني عندما أجد أني على مـفترق طرق مـختلفة لابـد من السيـر في أحـدها.. وبوضـع نفسي في ميـزان العقل والمنطـق. وجدتني أمـام هذه المهمـة الكبيـرة.. مـازلت صـغير الرتبـة، قليل الخـبرة.. عـديم التجـربة.. ومادام الأمـر كذلك.. فعليّ إذاً ألا أطيل البقاء هـنا.. وأن أبحث لي عن عذر معقول، ومـخـرج مـقبـول يضـعـني في الطريق الصـحيح والموقع الذي يلائم قدراتي ويؤهلني مستقبلاً للقيام بهذا العمل أو بسواه.

لكل هذه الـقناعـات التـي ولدها إحـسـاسي بأهمـيـة هذا العـمل، وبخـاصـة أن هذا القسم مـازال في مـرحلة الإنشـاء، وحـتى لايضـيع الوقت سدى، كـان لابد من إفساح المجال لزمـيل آخر يكون أكثر خـبرة وتأهيلاً لإدارة هذا القسم، والقيام بأعبائه كما ينبغي.

لذلك فقـد انتهزت صـدور أمر تعـميمي برفع أسمـاء الراغبين من ضبـاط الإدارة في الحصول عـلى دورة تأسيسـية في اللغـة الإنجليزية بمعـهـد اللغـات بالرياض وسـارعت إلى تقـديم طلب بذلـك إلى مـدير الإدارة الجديد "المقـدم: توفيق خالد علـمدار" الذي لم يتردد في الموافـقة على طلبي، وإدراج اسمي ضـمن الراغبين.. ربما لاقتناعـه هو الآخر بواقع هذا القسم ومتطلباته.. واقتـناعه أيضاً بأنه لن يكون في مقدوري ولا في استطاعتي منفرداً القيام بهذه المهمة على الوجه المطلوب.

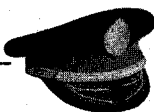




ضباط الدورة الثالثة بمدرسة اللغات بالرياض، يتوسطهم مدير المعهد الرائد محمد آل الشيخ، رئيس المراسم الملكية حالياً ويرى المؤلف الرابع من اليمين وقوفاً

وللدلالة على صحة هذا الاستنتاج وواقعيته.. بقي هذا القسم على ماهو عليه ردحًا طويلاً من الزمن.. حتى وقع عليه هو نفسه فعل التطوير اللازم بتحويله أخيرًا إلى إدارة ذات إمكانات كبيرة ستمكنها من القيام بمهامها الموكلة إليها خير قيام.

تم التحاقي بهذه الدورة التي ما أن أوشكت على الانتهاء، وكانت مدتها تسعة أشهر حتى أصدر حاكم العراق آنذاك عبدالكريم قاسم تهديده المعروف بضم الكويت.. مما جعل الجامعة العربية تطلب من بعض الدول الأعضاء فيها إرسال قوات رمزية تمثلها في الكويت..

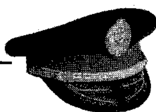


فكان أن سـارعت المملكة كعـادتها إلى نجـدة جيـرانها بإرسـال وحدات عسكرية إلى هناك، وكان من ضمنها وحدات مظلية..

ولسد هذا الفـراغ في وحدات المظلات.. صـدر أمر يقـضي بإعادة جـميع الضـبـاط المظليين الذيـن سـبق لهم العـمل في "وحـدات سـلاح المظلات" كما كان يسمى آنذاك.

ولأني أحد هؤلاء فما أن انتـهت الدورة، حتى كنت في اليوم التالي في جدة، أفكر في القفز من جديد وأعيد النظر في المشاريع المؤجلة.

القنفذة
وسمك القرش

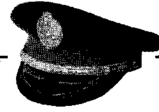


القنفـذة وسمك القـرش

مـا أن أخـذت أرتب خطوات المرحلة الانتقـاليـة القـادمـة.. وهي توديع حـياة العـزوبيـة ودخول القـفص الذهبي - كـمـا يقولون - حـتى هبت رياح التغـيير في اليمن الشـمالي بقيام ثورة "عبـدالله السلال" في ٢٦ سبـتمبـر عام ١٩٦٢م وتحرك قـوات مصرية لدعـمها وتثـبيتـها.. ونظرًا لتطور الأحداث هناك وكإجراء أمني..

رأت القـيـادة العـليـا في المملكة.. أنه لابد من تـعـزيز الوحـدات السعودية في المناطق القريبة مـن الحدود مع اليمن الشمالي.. وفي هذا الإطار تقـرر إرسـال سـرية من المظلات.. لتـرابط بالقـرب من مـدينة "القنفـذة" التي تقـع في منتـصف الطريق بين جـدة وجـيـزان على بُعْد أربعـمائة وعـشرين كـيلو متـرًا عن كل منهـما.. وقـد كلفت قيـادة هذه الوحدة وكنت حينها برتبة نقيب.. وكنا ستة ضباط ومائة وثمانين فردًا هم كامل القوة حسب التشكيل الأساسي للسرية.. وهناك اخترنا مكانًا على البـحـر يسمى "الـقنع" يبعـد عن مـدينة القنفـذة نحـو عشـرة كـيلو مترات باتجاه جيزان، ليكون موقعًا للمعسكر.

وقد اختير هذا الموقع القريب من البحـر لتميزه عن غيره، ولكونه يتّشكل من عدد من التبات الجيرية المنبسطة التي تجعله من الوجهة العسكرية موقعًا

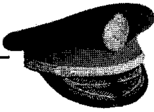


حيوياً لسيطرته على الطريق الرئيسي الذي يصل القنفذة بجيزان، وأيضاً لبعده عن المناطق السكانية مما يساعد على إحكام السيطرة على الجنود.

ونظراً لأنها كانت تجربتنا الأولى في التعسكر في غير أغراض المناورة.. فلم نفكر فيما عسى أن يسببه لنا البحر من متاعب وما تخفيه تلك الحشائش الكثيفة وتخبئه أشجار النخيل المتراصة، التي كانت تغطي الأرض بين البحر والتباب من أنواع الزواحف والحشرات التي ما أن حططنا رحالنا ونصبنا خيامنا وحل المساء، حتى وجدنا أنفسنا نواجه ما لم يكن في الحسبان طوابير من مختلف أنواع الزواحف والحشرات خرجت من مكامنها وجحورها تهتدي إلينا على ضوء الفوانيس.. لا لتستقبلنا وترحب بنا.. وإنما لتتعرف علينا وتتأكد من وجودنا وتحدد مواقعنا ليسهل عليها التعامل معنا تحت جنح الظلام..

كانت ليلة ليلاء لم نذق فيها طعماً للنوم، ولم يهدأ لنا بال.. فما إن بزغت شمس ذلك اليوم حتى أعلنّا حالة الطوارئ وقمنا بحملة تنظيف لموقع المعسكر استخدمت فيها الإمكانات المتاحة من فؤوس وفواريع وغيرهما.. كما لو كنا في حرب تطهيرية لاتعايش فيها بين جنسين كلاهما يخشى الآخر.. لايطمئن إليه، ولايحب مجاورته.

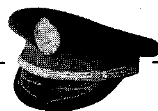
لم يكن هناك مجال للشجاعة في هذا الصراع الأبدي، ولكنها القوّة



الغاشمة التي يولدها الخوف، وأحيانًا حب التملك والاستيلاء على حقوق الغير. ولأن خوفنا منها كان أشد، ورغبتنا في طردها والتخلص منها كانت هي الأقوى، لذلك تغلبنا عليها مع أنها تمثل الكثرة.. فمنها ما آثر السلامة ورحل، ومنها مافضل الموت دفاعًا عن أرض الوطن.

وبهذا اعتقدنا بأن الأمر قد انتهى، وأن الجو قد صفا لنا. ولكن ما إن حل الظلام، حتى فوجئنا بأسراب من البعوض الصحراوي يقوم بشن غارات مكثفة علينا.. ومما زاد من خطورته أنه لم يكن من ذلك النوع الذي يحدث صوتًا.. فيعلن عن مقدمه، بل كان يجيد أسلوب المناورة والتسلل ليلاً..

ولم يكن أمامنا والحال هكذا.. إلا أن نلجأ إلى الدفاع الذاتي لتحريك أطرافنا للحيلولة دون الوقوع عليها وامتصاص دمائنا، ولكن كيف يكون حالنا عندما نستسلم لسلطان النوم الذي لايقهر؟ وهنا أسقط بأيدينا ولم نعد قادرين على فعل شيء. ولكن في غمرة اليأس هذا.. لاحظت – وفي عدة ليالٍ تَلَتْ – أن البعوض داخل الخيمة التي كنا ننام فيها أقل تحرشًا بنا عندما نكون خارجها، بل إن أحدًا من الزملاء الخمسة لم يَشَكُ منه أو تظهر عليه آثار لدغاته، في الوقت الذي لايكف فيه الآخرون عن الشكوى، مع أننا وفرنا من الأسواق المحلية كمية كبيرة من أجود أنواع المبيدات التي تقول دعاية الشركة المصنعة أنها لا تبقي على البعوض ولاتذر.

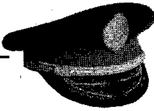


وأمام هذا الأمر الذي يشبه اللغز المحير.. كدنا ننسى هذا الموضوع، حتى وقع نظري صباح أحد الأيام على أحد الزملاء الضباط وهو مستغرق في النوم، وكان من عادته أن ينام عاري الصدر ليسهل عليه "هرشه"، لأنه مصاب بنوع من الحساسية الجلدية، ولأضفي عليه لحافه، اقتربت منه ولكني لاحظت ما أدهشني أن عدداً كبيراً من البعوض يغطي صدره العاري، وبحركة لا إرادية حركت يدي لطرده، ولكنه بقي حيث هو، فأردت الإمساك بواحدة منه، لكن الدهشة كانت أشد عندما وجدت أن كل ماكان واقعاً على صدره ميتاً..

فكانت مفاجأة أطلقت لساني بصرخة تحمل كل معاني التعجب والاستغراب، وربما كانت تعبيراً عن الفرح أفلا يقال: "مصائب قوم عن قوم فوائد"!!

ولكن زميلنا هذا بعد أن عرف عن خاصيته تلك، وهي أن صدره أصبح مقبرة للغزاة، أراد إبتزازنا باستثمار مصيبته كما قال: "بأن ندفع له نقداً ثمن المبيد (الفليت) المفترض استخدامه لمقاومة البعوض، وإلا سيضطر لارتداء قميصه عند النوم ليجعلنا فريسة للبعوض".

ولكنا للحيلولة دون تنفيذ تهديده ووعيده هذا.. توصلنا معه بعد جلستي تفاوض إلى حل وسط، وهو مساعدته على شراء دواء



الحساسية الذي كان عليه تناوله قبل النوم. ذكرت هذه الواقعة لطرافتها. أما عن المتاعب الميدانية التي واجهناها، فقد تعددت وتنوعت.. لعل من أبلغها عنفًا وأشدها قساوة أن الطرق في تلك المنطقة، وكذلك الطرق بين جدة والقنفذة لم تكن قد عبدت بعد.

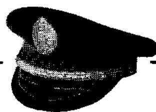
فكنا نصل إلى جدة بالعربات العسكرية، في نحو أربع عشرة ساعة على الأقل، نقطع خلالها المسافة بين المدينتين، البالغ قدرها أربعمائة وخمسة وعشرين كيلومترًا تقريبًا.

وكنا لصعوبة الطريق ووعورته نترجل أكثر من مرة لإخراج السيارة من الرمال الطينية أو السباخ البحرية، حيث إن الطريق كان يسير بمحاذاة البحر في بعض أجزاء منه.

أتيت على ذكر بعض هذه الطرائف في كتابي "صور من الحياة"، تحت عنوان "صور ضاحكة من الميدان" و"المنقذ الصغير".

كنا مجموعة متجانسة جمعت بيننا الألفة والمحبة والهدف الواحد، فكنا نقطع حبل الزمن في ممارسة بعض الأنشطة الرياضية والتدريب، ونقضي ساعات مابعد العصر في تعلم السباحة وفنون صيد السمك، والتعرف على أسمائه وأنواعه وطريقة قليه وشيه..

كنا نتلقى هذه المعلومات والمعارف، دروسًا مجانية من زملاء لنا

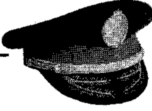


من منطقة جيزان من ذوي الخبرة الطويلة في هذا المجال.. لم نلبث أن تفوقنا عليهم في هذه العلوم وتلك المعارف وتفوقنا.. بل إننا سحبنا البساط من تحت أقدامهم.. ولا غرابة في الأمر، فقد قيل من الأمثال: "كم من تلميذ تغلب على أستاذه"..

بلغ بنا الأمر حد الثقة عند مازاد علمنا أن سمك القرش الرهيب على خطورته ومكره ودهائه.. أصبح لا يستطيع الإفلات منا، عندما أوقعنا منه بالعشرات بواسطة "السنارة" المخصصة لمثل هذا النوع الضخم من الأسماك..

فقد كنا نصطاده في بداية الأمر بقصد التسلية والترفيه عن أنفسنا، ثم أصبح الهدف من صيده التعلم، وإظهار قدرتنا الفائقة على مواجهة الأخطار، وتحدي الأقوياء، واستعراض العضلات..

وكنا نستخدم لحمه طُعْمًا للإيقاع بغيره من فصيلته وبني جنسه.. والباقي كنا نُلقي به في البحر، لاعتقادنا بأن لحمه غير مستحب أكله طازجًا، ولكن بعد أن علمنا أنه يؤكل "شريحًا" أو "قديدًا" والمعنى واحد، وهو تجفيفه بواسطة الملح، وتعريضه لأشعة الشمس، ليصبح بعد ذلك الشيء المفضل أكله عادة عند الحضارم ويسمونه "اللخم"، حيث يدفعون الثمن المجزي في سبيل الحصول عليه، لأن صيده



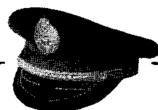
صعب للغاية، ويحتاج إلى خبرة ومعرفة، ومجهود كبير واستعداد لمواجهة الأخطار..

ما إن اكتشفنا تلك الأهمية البالغة له.. وأن الحضارم يعتبرونه عملة نادرة غالية الثمن.. وأن تجارًا سعوديين من أصل حضرمي ممن يعيشون في مدينة القنفذة القريبة منا.. يسعون جاهدين للحصول عليه وإن غلا ثمنه.. حتى أصبح لنا مع سمك القرش شأن آخر يختلف عن ذي قبل.

فمن أجل استثمار جهودنا.. زاد اهتمامنا بصيده والاحتفاظ به.. وأخذنا بعد تجفيفه نقايض به هؤلاء التجار.. بمواد تموينية أخرى.. كالسكر والشاي.. وما نحتاج إليه من المواد الاستهلاكية.. إلى جانب ما كنا نؤمنه منهم من هذه المواد، حيث كانت الإعاشة تصرف لنا نقدًا.

مضت بنا الأيام سريعًا رغم قسوتها، وتقلب أجوائها.. لكننا في المقابل، كنا نزداد خبرة ميدانية يومًا بعد يوم.. كما نزداد معايشة حقيقية لحياة الصحراء الصعبة، والمناطق الساحلية التي لم تكن لتتهيأ لنا على هذا النحو، حتى ولو في أطول المناورات استمرارًا وأشد التمارين صعوبة..

كان مبدأ استبدال الجند العاملين في ميادين القتال، أو في مناطق الاستعداد له بآخرين، يؤتى بهم عادة من المناطق الخلفية، إجراء متعارفًا عليه في جميع الجيوش.

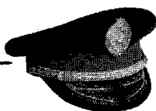


لذلك كان يجري استبدال المتأهلين منهم بعد كل ستة شهور تقريباً، إذا ماسمحت الظروف ووجد البديل المماثل، وذلك للحفاظ على قدرات الجند القتالية، وسلامة أرواحهم المعنوية في الميدان. وعملاً بهذا المبدأ النظامي .. تم استبدالي بعد أن قضيت هناك ثمانية عشر شهراً ربما لأني كنت غير متزوج حين ذاك، أو لعلني كنت محباً لهذا النوع من الحياة.

اتجهت مباشرة إلى مدينة ينبع الساحلية، المقر الجديد لوحدات المظلات الميدانية "الأفواج" بعد نقلها من جدة.. والإبقاء فقط على مدرسة المظلات بصفتهامؤسسة تعليمية.. وهناك ازدحمت في رأسي الأفكار، وأخذت تتقاذفني ذات اليمين وذات الشمال.. وأصبحت في حيرة من أمري لا أدري كيف أحدد اتجاهي أو أتبين رغبتي..

فأنت بحاجة ماسة إلى حالة استقرار تخلد فيها النفس إلى السكينة والاطمئنان. ولكني وبخطوة جريئة لم يسبقني إليها أحد – مستفيداً من حق نظامي – تقدمت بطلب إحالتي إلى الاستيداع لمدة سنة، مكتفياً طيلة هذه المدة بنصف الراتب الأساسي، أي: نصف الراتب مجرداً من أي مزايا مالية أو علاوات، مع الاحتفاظ بأقدميتي، وبحق العودة متى شئت خلال هذه المدة، أو عند انتهائها.

الرحيـــل
إلــى لنــدن



الرحيـل إلى لنـدن

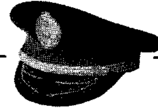
مـاإن تمت الموافـقة على طلـب إحالتي على الاسـتـيـداع مدة عـام واحـد حتـى وجدتني بعـد أسـبـوعين أحط الرحـال في لندن لأنظم إلى مدرسة (DAVID SCHOOL) لتعلم اللغـة الإنجليزية.. وكـانت هذه المدرسة تقع في إحدى ضواحي لندن القديمة..

أما كـيف أهتديت إليهـا فقد رُشِّـحَت لي من قبل باعـتبارها الأكـثر شهرة والأطول خـبرة ومعرفة بالتعـامل مع الطلاب الأجانب الراغبين في تعلم اللغة الإنجليزية يؤمها الكثير من الطلاب السعوديين وغيرهم.

وعلى ضوء ما كان لديّ عنها من مـعلومات لم أجد أدنى صعوبة في الوصول إليها، فقد كانت أشهر من نار على علم.. أو علماً في رأسه نار..

وفي بداية الأسبوع الدراسي كنت في مكتب مـدير المدرسة الذي وجهني بعد أن رحب بي إلى إحدى الموظفـات التي حدثتني كثيـراً عن المدرسة بعد أن سجلت مايهم المدرسة عني من معلومات.. ولم تنس أن تبدي استعداد المدرسة لمساعدتي في إيجاد السكن المناسب لي إذا لم يكن لدي سكن خاص بي.

ونظراً لأنـني لم أكن بعـــد قـد حـصلت عـلى سكن ولم يـكن لي معارف هناك.. فقد اخـتارت لي السكن مع إحدى العائلات الإنجليزية القريبة من المدرسة.

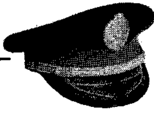


لم أضيع وقتًا فعلى ضوء نتيجة امتحان تحديد المستوى الحقت بالمستوى "ب".. مضى الأسبوع الأول في التعرف على جو المدرسة ونوعية الطلاب، لم يكن عددهم يقل عن المائة طالب وطالبة، أتوا من مختلف أصقاع العالم لتعلم اللغة الإنجليزية في عقر دارها.

وفي نهاية الأسبوع الثاني قيل لنا.. أن المدرسة ستنظم لنا رحلة جماعية في عطلة نهاية الأسبوع نظير مبلغ إضافي للتعرف على الريف الإنجليزي لمن يرغب من الطلاب.

وبدافع حب الاستطلاع والاستزادة من المعرفة كنت أحد الراغبين في الإنضمام إليها. ومن أن بزغت شمس يوم الأحد حتى كانت الحافلات والطلاب يصطفون أمام مدخل المدرسة، فتوزع الطلاب عليها. وصادف أن احتلت المقعد المجاور لمقعدي إحدى الطالبات، عرفت منها أنها يهودية من مدينة تل أبيب وأنها ترغب -بعد أن عرفت أنني سعودي- في تبادل المعلومات عن بلدينا أنها كما قالت : لاتعرف شيئا عن المملكة العربية السعودية.

ومع أنها كانت بسذاجة الفتاة التي لم يكن عمرها يتجاوز السادسة عشرة أو السابعة عشرة عامًا على أكثر تقدير، إلا أنني لم أطمئن إليها بل شعرت بخيفة وتوجس منها.. ومما زاد تخوفي أنها كانت تتكلم العربية بطلاقة.

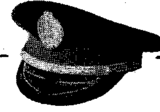


ولا غـرابة في ذلك فهي كـما أخـبرتنـي من مواليـد فلسطين، ومن خبرتي كضابط ومعرفتي بخبث أساليب الاستخبارات الإسرائيلية وأن المرأةعنصر هام فـيها.. الأمر الذي قد يجـعلني يومًا هدفًا لهـا؛ فقد كنت موزع المشـاعر بين الراغـبة في مـد حبـال الصداقـة معـها للتـعرف من خـلالهـا على بعض المعلومـات العـامـة عن حـقـيـقة حـيـاة اليـهـود في الأراضي العربية المحتلة، وخوفي من أن أقع من حيث لا أدري ضحية لهـا، لذلك تمثل في خـاطري المثل النجدي «ابعـد عن الداب (الثـعبـان) وشجرته أو ابعد عن الشر وغن له».. كما يقول إخواننا في مصر..

ومـا أكد تخـوفي هذا مـا لاحظتـه بعـد وصولنا إلى المكان المختـار للنزهة، عندمـا أخذ الطلاب يحـيطون بها إحـاطة السوار بالمعصم مع أنهـا لم تكن الطالبـة الوحـيدة بيـننا، ولكنهـا لم تلق لهم بالاً حـيث ظلت ملازمة لي.. لا تكاد تتركني لأنفرد بنفسي أو أحادث غيرها.

زاد اهتمامها بي وملاحقتها لي بعد عودتنا إلى المدرسة، فقد كانت تنتهـز وقت مابين الحصص لتـتعمد مـحادثتي مع أنها كـانت في فصل آخر، وحتى لا أقلل مـن شأني وأسيء الظن بهذه الفتاة.. فلـعلها كانت راغبة في صداقتي فقط دون أي دوافع أخرى..

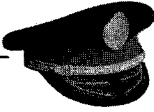
وكـيف لا وقـد كنت آنذاك شـابًا لايتجـاوز عـمـره الثلاثـين عامًـا،



مظلياً مفتول العضلات؟ ولكني لم أنساق وراء هذه الأفكار والإيحاءات الشيطانية، وحسماً لهذا الموقف المحير قررت في لحظة عنفوان الشعور بأهميـة الأخذ بمبدأ الحيطة والحذر، وإن الوقـاية خيـر من العلاج ترك المدرســة والأسـرة التي أسـكن عندها في يوم واحــد، ولأنني كنـت قـد دفـعت رسـوم الدراســة والسكن لثـلاثة شــهور قـادمـة، كـان علي لاسـتـردادها أن أبحث عن عـذر مـقبـول ومخـرج مـعـقـول يبـرر هذا التصرف، لذلك أخذت أفكر بالأمر أقلبه ذات اليمين وذات الشمال. هل أدعي بأنني مضطر للعودة إلى المملكة لأمر يتعلق بعائلتي..؟ وحتى لا أدعي كذباً رأيت الرحيل عنهما دون سابق إنذار مضحياً بكل ذلك.

ولأنهـا كانت السـابقـة الأولى من نوعهـا بالنسـبـة للمدرسـة التي يترك فيها طالب الدراسة دون إبداء الأسباب، لذلك فقد ذهبت الظنون بالمدير بعيداً، ولكنها لم تقترب من السبب الحـقيقي، فحمل الأمـر أكثر مما يحتـمل إذ كثـفت المدرسة مـساءلة العـائلة التي كنت أسكن عندها عن سبب غـيابي؛ ولكن العـائلة لم تكن هي الأخرى تعـرف شيئاً عن سـبب رحيلي عنهـا وانقطاعي عن المدرسـة، لأن ذلك قد حـدث فجـأة وفي يومٍ واحد، ودون سابق إنذار.

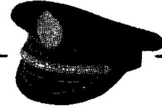
ولم أضـيع وقتًا فقد أصبـحت في اليوم التـالي أحد طلبـة مدرسـة



(L.T.C.) لتعليم اللغة الانجليزية، التي لاتقل شهرة عن سابقتها، والتي حُوِّلت فيما بعد إلى شقق ومتاجر، لوقوعها في شارع أكسفورد استريت التجاري المشهور.. وللتعرف على مدن أخرى قضيت مدة دراستي بين لندن، ومدينتي كامبردج وأكسفورد، دارسًا للغة الإنجليزية، ومسجلاً بعض ما علق بذهني، وما انطبع في ذاكرتي عن المجتمع الإنجليزي، وعن الحياة الأسرية هناك، والعلاقة بين أفرادها.



صورة تجمع المؤلف(الذي على يسار الصورة) بزميلين سعوديين كانا يدرسان في لندن تعرف عليهما هناك وهما صدقة خياط الذي أصبح فيما بعد مسؤول العلاقات العامة بإمارة مكة المكرمة، وعبداللطيف ميرة وهو يعمل حالياً في حقل التجارة في جدة.



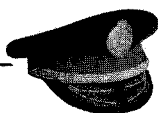
وقـد ذكـرت ذلك في كـتـابـي: "صـور من الحـيـاة" تحت عنوان: "انطباعات خاصة"..

وقبل أن ينصرم عام ١٩٦٤م بقليل، ويأخـذ في تسليم عهدته، وما في جعبته إلى العام الذي يليه.. وقبل أن يطل العام الجديد برأسه ليعلن عن فتـوته وشبـابه.. كـانت مـدة الاستـيـداع توشك هي الأخـرى على الانتهاء..

عند ذلك أخذت في الاستعداد للعودة إلى الوطن.. الذي أقول عنه وأنا صـادق إن شـاء الله.. إن وطننا والحـمـد لله، كـالعافـيـة للبـدن. لا تعرف قيمته، ولا يقدر حق قدره، إلا بالعيش خارجه والبعد عنه..

وكيف لايكون وطـنـي كذلك وفيـه يلمس المرء الأمن والأمان وفـيه أعظم مقدسات الإسلام، وفيه دون غيره من بلاد العالم تطبق الشريعة الإسلاميـة الغراء، ويؤمر فيه بالمعـروف، وينهي عن المنكر، ثم هو بعد ذلك من أغنى بقـاع الدنيا بثـرواته الطبـيعـية، ومـا يتمـتع به شعـبنا من الرفاهية، وسعة الرزق يشهد به القاصي والداني؟!

إن الغربة كـما عشتـها وعانيتـها بعيـدًا عن الوطن، وإن كانت من أجل عـرضٍ سـامٍ وهدفٍ نبـيل.. هي شيء فظـيع لايحـتـمل.. ومن الصعوبة الصبر عليها ومقاومتها طويلاً.



لقد ذُقْت مرارتها وتجرّعت آلامها، مع أنها تعـتبر فترة قصيرة في حسـاب الزمن.. فكيف إذًا بأولئك الذين يعيـشون على الأمل.. وأولئك الذين لا أمل لهم بالعودة إلى أوطانهم.. لذلك كانت سعادتي غامرة وأنا أستعد للعودة بعد أن حققت بعضًا مما كنت أبتغي وأريد.

لم يكد يمضـي أسـبوع واحـد حـتـى كنت قـد تركت لنـدن "مـدينة الضباب". ولو قيل "مدينة الهباب" لكان الوصف أقرب للصواب!

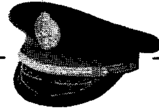
تركـتـها غـيـر آسف على شيء.. علـمًا بأن الحـيـاة آنذاك، كـانت أفـضل بكثـيـر مما هي عليـه اليـوم.. فلم تكن هناك مـخـاوف أمنيـة أو مشكلات اقـتصـادية مثل مـايحدث فيهـا هذه الأيام.. ولم نكن نسمع أن قنبلة فجرت، أو سيارة أحرقت، أو عمارة تعرضت للنسف والتدمير..

ولكنها الدنيا التي تتقلب فيها الأيام، وتتغير فيها الأحوال.. فسبحان الله خالق الأكوان.. السرمدي الذي يغير الأحوال ولايتغير له حال..

في أثناء وجودي في لندن، وتحت ضغط الوحدة القاسية وتلبية لرغبة والدي أطال الله في عمره الذي كان يتمـنى أن يرى أحفاده كنت قد كاتبت والدتي[1] (يرحمها الله) بشأن البـحث لي عن زوجة صالحة ترضاها لي..

---

١ – انتـقـلت إلى رحـمـة الله تعـالى في صـبـاح يوم الثـلاثاء ١٤١٣/٢/٥هـ الموافق ١٩٩٢/٨/٤م في الرياض عن عمر يناهز الخامسة والسبعين عامًا.. طيب الله ثراها وغفر لها وأسكنها فسيح جناته.

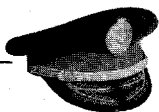


وتطمئن إليـها.. فـأبدت فرحتـها الغامرة لطلبي هذا، وأستبشرت بهذا الانفـراج خيرًا. تـبينت هذا من فـحوى رسـالتهـا التي تنطق حـروفـهـا بالبـهـجـة والسـرور، وأخـبرتني أنهـا لم تذهب بعيـدًا، فـالزوجــة المطلوبة مـاثلة تحت سمعها وبصرها..



الوالد محمد صالح الغفيلي

نعم لقد وقع اختيارها على ابنـة خـــالهـــا.. ولأني بحـكم وشـائج القـربى التي تربـطني بهـذه الأسـرة العـريقـة الأصل، الطيـبـة المنبت (العـسـاف) أعرف عنهـا أنهـا تتـمثل فـيـها كل الصـفـات المثلى للزوجـة الصـالحـة، لذلك لم أتردد لحظة في الموافـقـة، وإبداء سـروري بذلك الاختـيار الموفق. لذلك تم اتخاذ التـرتيبات الأوليـة من الوالدة قبل مجيـئي، وقد انتهت ولله الحمد. بإتمام الـزواج في يوم الخميس الموافق ١٣٨٥/١١/٢٤هـ، وهو اليـوم الذي تخـرجت فـيـه من دورة مــعـهـد الضـبـاط الأقدمين بالريـاض.. والتي كنت قد رشـحت لها بعـد عودتي مباشرة من فترة الاستيداع.

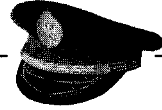




صـورة تذكارية لضباط دورة الضبـاط الأقدمين بالرياض وكان من بين المتخرجين المؤلف ورئس هيـئـة الأركـان العـامـة الفـريق أول ركن مـحـمـد صـالح الحـمـاد



صـورة أخرى لضباط الدورة أثناء زيارتهم الميدانية للأردن عام ١٣٨٥هـ التقطت لهم أمام مدخل الديوان الملكي بعمان

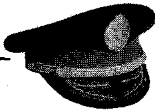


و بهـذا حقـقت هدفين في غـاية الأهمـيـة بالنسبـة لي.. وضـربت عـصـفـورين بحجـر واحد!.. أحـدهمـا الحصـول على هذه الدورة التي تهدف إلى رفع مستوى الضابط لتحسين مركزه القيادي.

أمـا العصـفـور الثـانـي فلم يصبـه الحـجر بسـوء.. بل أطمـأن إليّ ورغب في صحبتي، فلم يفر مني أو يطير أمامي؛ بل دخلنا معًا القفص الذهبي.. ومـالبـثنا أن تكاثرنا فـيمـا بعـد بأولئك العـصـافـيـر الذين باتوا يملؤون علينا حياتنا بالبهجـة والحبور.. ويشنفون آذاننا بأجمل الألحان وأعذب الأنغـام: "بابا" يقولهـا العصـفـور الأصـغر "سلطـان"، مقلدًا في

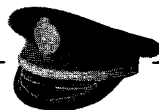


المؤلف في صورة تذكارية تجمعه مع أبنائه وهم من اليمين وقوفًا: أحمد، عبدالعزيز، علي، خالد، عبدالله، ويظهر العصفور الأصغر الابن سلطان بين والده وأخيه الأكبر محمد



ذلك من سبقوه.. من إخوانه الذين أخذوا بالابتعاد عن الشجرة الظليلة - حيث كانت توجد أعشاشها - عندما أحسوا في أنفسهم القدرة على الطيران والتحليق في أجواء الفضاء!!

وفي (ينبع) قضينا شهر العسل - كما يقال - بعد أن استأجرت بيتًا صغيرًا تقبلته مفروشًا من أحد الزملاء، وقد صدر أمر نقله إلى الرياض.. ومع الوالدة والعروس عشنا سعداء وقضينا معًا أطيب الأوقات وأجملها، بما كنا فيه وعليه.. حتى لاحظت يومًا أن وزن والدتي (يرحمها الله) قد زاد بشكل غير طبيعي.. مع أنها لم تكن أكولة، ولم تكن ممن يُقبِلن على السكريات بشراهة ونهم.. الأمر الذي أثار قلقي ومخاوفي.. فسارعت بعرضها على أحد الأطباء الذي قال: أنها تحتاج إلى إجراء بعض التحاليل المخبرية الخاصة.. التي لايوجد أخصائيون للقيام بها في مستشفى ينبع.. لذلك فقد نُصح بإدخالها أحد المستشفيات التخصصية بجدة.. وفي مستشفى الملك خالد بجدة أكتشف أن المشكلة ناتجة عن نشاط غير عادي للغدة الدرقية.. مما يستلزم بقاءها في المستشفى لمدة شهر على الأقل!!.. لتحديد كمية العلاج.. وبدا الأمر بالنسبة لي صعبًا للغاية.. بيد أن العناية الإلهية قدرت لنا الخير، حيث قام اللواء



"منصــور الشــعــيـبي"[1] قـائد منـطقـة جـدة آنذاك بزيـارة والدتي في المستشفى تقديراً منه (يرحمه الله) لسنهـا ولحالتها الصحية، وإدراكاً منه لضرورة وجودي بجانبها بادر ببذل مـساعيه الحميدة التي تكللت بالنجـاح باسـتـصـدار أمـر بإلحـاقي عـلى منطقـة جـدة إعـتـبـاراً من ١٣٨٦/٩/١هـ.

---

١ – عين قائداً لمنطقـة جدة العسكرية "المنطقة الغـربية حالياً" وكـان برتبة مقدم تدرج في التـرقيات حـتى رُقي إلى رتبـة فـريق أول. توفى رحـمـه الله وهو علـى رأس العمل في الرياض بتـاريخ ١٤٠٣/٣/١٣هـ ودفن فيها.

إلحاقي
بمنطقة جدة



إلحـــاقي بمنطقة جـــدة

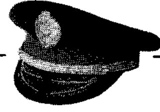
لم يمض غير أسبوع واحد حتى كنت في جدة.. أشارك كلاً من العميد طيار أمين شاكر الملحق على المنطقة، والعميد فايز حمد العلويط مساعد قائد المنطقة[1]، مكتبهما إلى حين ترتيب أمري وتدبير شأني.

ولكن لم يمض وقت طويل على صحبتهما.. حتى عينت على وظيفة ركن إدارة المنطقة خلفًا للعميد محمد سعيد فقيرة، الذي أحيل على التقاعد.

وبانتقالي إلى مكاتب الإدارة شعرت بأن علاقتي بوحدات المظلات قد انفصمت عُرَاها.. وأن آخر خيط كان يربطني بها قد انقطع.. كما أنني أستطيع القول بعد مضي عشرين عامًا على التحاقي هذا أنه كان المنعطف الكبير والتحول غير المتوقع.. الذي غير اتجاه سيري الوظيفي وحولني إلى بيروقراطي النزعة والتفكير.. بعد أن كنت رجل الميدان النشط كمظلي يزاول القفز، وما يتطلب ذلك من تدريبات رياضية ليحافظ على لياقته البدنية.

وهذا مافقدته حالما انتقلت إلى المنطقة الغربية ذات السمة الإدارية في عموم أنشطتها.. من استقبالات لكبار المسؤولين والضيوف، وتقديم

١ – رقي فيما بعد إلى رتبة لواء وأحيل على التقاعد.



الكثيـر من التسهيـلات، والتخليصـات الجمركيـة، لما يَرِدْ لوزارة الدفاع من معدات وأدوات، يقوم بذلك مكتب متخصص، له موظفوه وعماله.

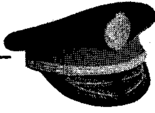
كما أن انغماسي في العمل الإداري أفقدني متعة الاستمتاع بالإنصات لذكريات العميد طيار أمين شاكر، التي كانت تروق لشاب مثلي.

ناهيك عن قصـائد العميـد فايز العلـويط، التي كانت بـحق تعبـر عن سليقة صافية وعفوية محببة.. وروح وثابة تحارب هموم الحياة ومشاغلها.

ولأني كنت أشاركهمـا مكتبهما، فقـد كنت منجذبًا لهما معجـبًا بهما وبفلسفتهما، ونظرتهما المتواضعة للحياة.. فكانت تنقضي ساعات الدوام الرسـمي.. دون أن ينتـابني أي إحـسـاس بالملل.. فـقد كـان حـديثـهـمـا لاينقطع، يساعد على ذلك موقع المكتب القريب من مكتب قائد المنطقة..

فكان مكتبهـما محطة استراحة، وانـتظار لزوار قائد المنطقة ومن يأتي لزيارتهما. فهما كثيرا الأصدقاء والمعارف.

وكـثـيرًا ما كـان محور الحـديث في هذا المكتب يدور حول قـصائد الغزل التي يروق للعـميد فـايز العلويط ترديدها، حتى وهو يقـرأ إحدى المعاملات التي يتحول عنها مؤقتًـا لوصـف مشاعره شعرًا تجاه الفريق منصـور الشـعـيبي أثناء مـرض الأخـيـر، ورحلتـه إلى لندن للعـلاج، وقيـامه هو بقيادة المنطقـة بوصفه الرجل الثـاني فيـها، وكـثـيرًا مـا كان يتغنى بقصائد أخرى متنوعة يحفظها عن آخرين.

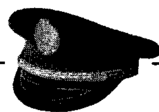


فهو ذو حافظة قوية واستيعاب سريع.. يصقلهما بكثرة ترديد ماينظمه ويحفظه من الشعر النبطي. لذلك فهو بحق.. جليس لا يمل حديثه.. يقطع من بصحبته مسافات الزمن دون أن يشعر بطولها.. ويسبح معه في دنيا الخيال حتى يكاد ينسى نفسه!!

لذلك تركت هذا المكتب الذي تَعْبِق في أجوائه أنفاس الرومانسية، وتشع في أرجائه روح خفيفة مرحة تتحدى هموم الحياة ومشاغلها التي لاتنتهي.

نعم تركت هذا المكتب الذي لم أكن أسمع فيه إلا شعرًا مفيدًا، أو قولاً مأثورًا سديدًا، أو خلاصة ذكرى فيها موعظة وعبرة، أو حكمة جامعة، أو تجربة رشيدة، أو أمثالاً عربية حكيمة.. لذلك فقد كان انتقالي إلى مكاتب الإدارة المناط بها أعمال المنطقة كلها، كمن كان يجلس قبلها مسترخيًا على رمال شاطئ بحر هادئ يتحرك ببطء ويفكر بهدوء.. وفجأة يجد نفسه داخل مياه البحر يصارع الأمواج وعيناه تجولان في محجريهما في فزع شديد، وكله يقظة وإحساس بما يدور حوله خوفًا من الغرق.

كيف لا؟! وقد أصبحت أحتل أحد الأرقام الهامة التي يتعامل معها وبشغف شديد الفريق منصور الشعيبي، القائد المهاب المتواجد



أبدًا، الملبي دائمًا لما يطلب منه، فهو القائد الذي كان العمل متعته، والمتابعة هوايته، وتحريك رجاله في مهمات تسند إليه لعبته.

كان أشبه مايكون بلاعب الشطرج الماهر، الذي يعرف كيف ومتى وأين يضع مايختاره من قطع اللعبة وأحجارها في الخانة الصحيحة التي تؤدي إلى النجاح والتفوق المطلوب.. أو بقائد الفرقة الموسيقية الذي بإشارة من يديه وعصاه السحرية، تعزف أجمل الألحان وأروع الأنغام.. بتناغم رتيب لا شذوذ فيه ولا اختلاف.

ولو كان مدرب كرة قدم لقلت: "إنه ممن يؤمن بانتهاج أسلوب الكرة الشاملة، وهو تنقل اللاعب في مختلف المراكز داخل محيط الملعب، فهو لايؤمن بنظرية التخصص في الأعمال الإدارية أو الميدانية، واقتصار عمل الموظف على هذه أو تلك من الأعمال.

فتراه في سبيل إنجار عمل ما، أو مهمة كلف بها.. يطلب ممن يختاره من موظفيه مدنيًا كان أم عسكريًا القيام بهذا العمل أو ذاك.. وفي سؤال وجهته إليه (يرحمه الله) بعد ذلك بسنوات: "ما الحكمة في إتباع هذا الأسلوب؟! "(حيث لم أكن لأجرؤ على أن أسأله إياه في ذلك الوقت.. للمهابة التي كانت تحدد المسافات بينه وبين العاملين معه..)..

حتى وإن كان بعضهم يحمل رتبة كبيرة.. إنها المهابة المقرونة



بالتقدير والاحترام). كانت إجابته (يرحمه الله) كالآتي: إنه كان يتعمد اتباع أسلوب التكليف المباشر.. عندما يريد أن يتعرف على قدرات أحد موظفيه.. وذلك عملاً بالقول المنسوب إلى نابليون حين سئل: "كيف تحكم على قدرات رجالك؟ "..فقال:" أسند للواحد منهم مهمة".

أو ربما قال: "أمنحه صلاحية ، وأنظر إليه.. كيف يتصرف؟.. إنه المختبر الذي لاتكذب نتائجه".

كان هذا هو أسلوبه الذي يرتاح إليه.. وتلك هي طريقته التي كان يطمئن إليها.. ليحدد على ضوء نتائجها قدرات رجاله.. وماسيكلفهم به من مهام.

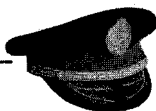
لم يكن (يرحمه الله) في إصدار أحكامه متسرعًا أو صاحب هوى.. فكل ماكان يطلبه ممن يعمل تحت قيادته.. التقيد بأوقات الدوام الرسمي.. وألا يتردد في تنفيذ مايصدر إليه من أوامر وينفذ مهمته على أكمل وجه.

فكم هم أولئك الذين أدركوا هذا واجتهدوا فيه، فأمضوا جل خدمتهم حوله وتحت قيادته.. وآخرون لم تسخن مقاعدهم في المنطقة لفشلهم في إدراك المطلوب منهم وانعدام القدرة لديهم في التناغم مع حركته الإدارية التي تجسد الانضباط والسرعة في الاستجابة والتنفيذ وهما السمتان اللتان تتميز بهما التربية العسكرية.

هكذا كان بالفعل.. ولكنه أصبح في السنوات الأخيرة القليلة التي سبقت وفاته (يرحمه الله) حاد الطبع، لايكاد يتحمّل التباطوء والتراخي في الاستجابة لأوامره وتعليماته، وتحقيق مطالبه ورغباته.. فقد كنت في إحدى المرات زائراً له في مكتبه.. وبعد أن أستقبل إحدى المكالمات الهاتفية.. أراد الاتصال بجهة ما فوجد الخط مشغولاً.. وكرر الاتصال مرة إثر أخرى، ولا من مجيب.. فإذا به يلقي السماعة بطريقة تعبر عن حدة وانزعاج، وكأنه احتجاج شديد اللهجة على عدم الاستجابة الفورية.



يرى المؤلف في الصورة أعلاه عندما كان ركن الإدارة في منطقة جدة يقف خلف قائد المنطقة الفريق أول منصور الشعيبي يرحمه الله، في إحدى المناسبات الرسمية، ويرى في أول الصورة من جهة اليسار مساعد قائد المنطقة العميد فايز العلويط وبجانبه العميد ماجد القباني سفير المملكة حالياً بالمملكة المغربية.

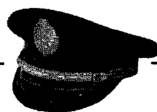


وأخيرًا هبّ واقفًا وهو يصب جام غضبه على هذه الآلة التي قال لحظتها: بأنها أحد الأسباب فيما أصابه من أمراض.. وأنها ستكون هي السبب وراء ما سيصيبه مستقبلاً من أزمات.. وعندما أردت أن أهدئ من ثورته العارمة، وأهون عليه الأمر رد في الحال: "الأمر لايحتمل.. فالطائرة توشك على الهبوط، ولا بد من القيام بإجراء سريع لعمل الترتيبات اللازمة!!.." ولأنني لم أكن أعرف شيئًا عن موضوع هذه الطائرة فلم أعلق بشيء.

هكذا كان عندما يريد شيئًا، لايعترف بالمعوقات، ولايقف مكتوف الأيدي أمام العقبات.. راحته في إنجاز عمله، وغايته الوصول إلى

هدفه، وبأسرع وقت ممكن، فكثيرًا ما رأيته وهو في طريقه إلى المطار يسير بسرعة قصوى ليصل في الوقت المحدد.. وهو كما عرف عنه يقود سيارته بنفسه، ولايعتمد على غيره في أمر يستطيع أن يقوم به..

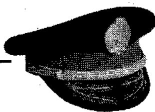
ولمزيد من التعريف به، أذكر هنا موقفًا آخر يؤكد حبه للتقيد بالسلوك الإداري الصحيح، والابتعاد عن التجاوزات الخاطئة، أو إغفال بعض الواجبات.. ولأنني كنت الطرف الأول في هذا الموقف فسأرويه كما حدث.. وهو يدل دلالة واضحة على وفائه، وكرم أخلاقه وتواضعه.. وتقديره للسنوات التي عملتها بالقرب منه.



فعندما تم اختياري عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م لأكون أول ملحق عسكري يعين في صنعاء بعد المصالحة التي تمت بين الملكيين والجمهوريين في الطائف، ورحيل الجيش المصري من هناك -وهي فترة سأتناولها لاحقًا بشيء من التفصيل- اقتطع هنا هذا الموقف لعلاقته بالفريق منصور الشعيبي (يرحمه الله) إذ بعد التحاقي بعملي الجديد في صنعاء.. استدعيت للحضور إلى جدة، ولم يكن قد مضى على وجودي هناك سوى شهرين، فقمت بالاتصال به تلفونيًا لأخبره بأمر قدومي، ومن أجل تكليف ضابط النقليات بالمنطقة بإرسال إحدى السيارات إلى المكتب التنفيذي بالمطار لتقلني إلى مكتب سمو وزير الدفاع والطيران بجدة.. ولكني للأسف لم أجده في مكتبه.

ولصعوبة الاتصال تلفونيًا مرة أخرى، ولضيق الوقت حيث كنت متجهًا إلى المطار، تركت رسالة لضابط النقليات بذلك. قام مكتبي بإبلاغها له.. وبعدها بساعات قلائل كنت بمطار جدة، فاتجهت مباشرة إلى المكتب التنفيذي، وهناك أخذت أتلفت ذات اليمين وذات الشمال بحثًا عن السيارة المطلوبة.

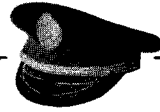
وكنت أعرف ألوان السيارات وأشكالها، وكذلك أعرف أشخاص السائقين العائدين إلى المنطقة نتيجة لعملي السابق فيها.. ونظرت فأمعنت النظر، ولكني لم أرَ منها شيئًا.. وبينما أنا أفكر في الأمر إذا به



(يرحمه الله) يبرز من بين حاجز من السيارات الواقفة غير بعيد عن المكتب التنفيذي.. وعندما رأيته اتجهت إليه مسرعًا للسلام عليه، فتظاهر بأنه فوجئ بوجودي، وسألني بكل هدوء: "أراك حائرًا كمن يبحث عن شيء ولايجده؟.. خيرًا إن شاء الله!".

فقلت له في الحال: "أني متوقع قدوم إحدى سيارات المنطقة.. لأنني طلبت ذلك من ضابط النقليات بعد أن فشلت في العثور عليك، ولأن الوقت كان ضيقًا، والاتصال صعبًا فقد تركت له رسالة بهذا الشأن انطلاقًا من إحساسي بأني مازلت واحدًا منكم، وإن بعدت الشُقَّة وطال المسير!.." وبعد أن استمع إليّ وأصغى إلى ما أقوله.. قال بكل هدوء وبرود أعصاب: "يبدو يا أخ صالح أنك لم تعرفني جيدًا كما عرفتك، فأنا كما تعلم لا أبتعد كثيرًا عن جهاز التلفون.. بل إنه لصيق بي أكثر من زوجتي! سواءً أكان ذلك في البيت أم في المكتب، أو حتى في السيارة، وأنت تعرف رقمه.

وعلى افتراض أنك واجهت صعوبة في الاتصال.. كان الأجدر بك أن توجه إليّ خبر وصولك بدلاً من ضابط النقليات الذي كما تعلم لايستطيع أن يتخذ أي إجراء دون معرفتي.. لذلك عندما أخبرني –ولأني أعزك وأقدر اجتهادك– خرجت بنفسي لاستقبالك، ومعي



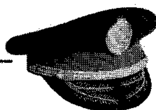
السيارة التي ستكون في خدمتك، ولكي تعي الدرس جيداً.. أخفيت نفسي والسيارة لأرى كيف تتصرف وتدرك خطأك؟!

ومع أن الجو كان معتدلاً.. فقد شعرت بحبيبات من العرق تتفصد من جبيني خجلاً منه، ومن حرج موقفي معه.. ولشعور الإكبار الذي انتابني تجاه هذا الرجل القائد الذي لايملك المرء إلا أن يحترمه.. ويكن له كل تقدير وإكبار.. اعتذرت له مقدراً له هذا الدرس العملي الذي لن أنساه ماحييت.

ولعل السنوات الست التي أمضيتها بالقرب منه كانت كافية لأن توفر لي مادة كتاب كامل عنه، ولكن أكتفي بأن استحضر دون تكلف، إضافة إلى ماسبق إحدى الصور التي تجسد إنسانيته، وتعبر بصدق عن مدى حبه للآخرين وبخاصة الأطفال.

فقد كان (رحمه الله) رغم ماكانت توحي به شخصيته القيادية من مهابة، ومالها من تأثير على المحيطين به، يحمل قلبًا إنسانيًا مفعمًا بالحب مغمورًا بالعاطفة، ويفيض بمشاعر الأبوة الجياشة.

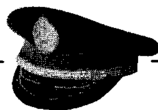
ولقربي منه كنت ألمس هذه المشاعر فيه، بل كنت أراها تصرفًا وسلوكًا عندما يأتي إلى مكتبه أحد المراجعين أو الزوار، وهو يصطحب معه طفلاً أو طفلة، وأرى كيف كان يلاطفهم ويحنو عليهم



ووجهه يطفح بالبشر، وتنفرج أساريره وينشرح خاطره، وهو يقدم لهم علب الحلوى، والهدايا البسيطة التي كان (رحمه الله) يحرص دائمًا على وجودها في أدراج مكتبه تحسبًا لهذا. ناهيك عما كان يوليه بكبار السن من عطف واهتمام، ورغبة في مساعدتهم وقضاء حاجياتهم.

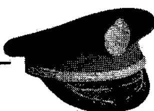
والفريق منصور الشعيبي لم يكن (يرحمه الله) في حاجة إلى من يشهد له، ويبرز معالم شخصيته أو أسلوب عمله وتعامله، فقد كان أشهر من نار على علم، لكنني أردت بما تطرقت إليه من مواقف إنسانية وقيادية عرفتها عنه أن أفي ولو بالقليل مما له عليّ.

فقد كان بالنسبة لي بمكانة الأخ الأكبر الذي لا يتأخر عن واجب أو يبخل بالنصح والتوجيه. لذلك ذكرت بعض تلك المواقف ليعلم القارئ أي نوع من الرجال كان الشعيبي (يرحمه الله) وكيف أن القوات المسلحة فقدت بوفاته قائدًا وطنيًا فذًا، وهب جل حياته –بل كلها– لخدمة هذا الكيان الكبير الطيب.. وبالمقابل كان طيلة حياته محل رضا وتقدير خادم الحرمين الشريفين القائد الأعلى للقوات المسلحة الملك فهد بن عبدالعزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد رئيس الحرس الوطني، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس



الوزراء وزير الدفاع والطيـران والمفتش العام الذي كثـيرًا مايردد، وهو يخاطب منـسوبي القوات المسلحـة "أني ما أرى نفـسي إلا أبًا للصغـير منكم وأخًا للكبير"، فكان سموه نعم الأخ والقائد.

تعييني ملحقًا عسكريًا في صنعــــاء



تعييني ملحقًا عسكريًا في صنعاء

كانت السنوات الست التي قضيتها في منطقة جدة ركنًا للإدارة فيها.. أطول فترة خدمة عملت فيها في مكان واحد .. لذا، عندما صدر أمر تعييني ملحقًا عسكريًا في صنعاء اعتبارًا من ١٣٩٢/٢/١هـ «١٩٧٢م».

لم يثر لديّ أي إحساس بالانزعاج، كما كان يحدث لي في التنقلات السابقة بسبب تتابعها السريع، بل أنه كان مُدعاة للقبول والاستبشار، لأنه جاء امتدادًا مباشرًا لحدثٍ سعيد سبقه شيء من القلق النفسي.

ولذلك هناك قصة أوردها هنا لعلاقة هذا بذاك.. كانت ليلة ١٣٩٢/٢/٢هـ ليه ليلاء كما يُقال.. فلم أذق للنوم فيها طعمًا، حيث أمضيتها جالسًا في أحد أركان صالة الانتظار الخاصة بغرفة عمليات الولادة في المستشفى اللبناني بجدة.. حيث كانت زوجتي تعاني آلام المخاض.

وفي هدأة الليل، وحلكة الدجى، حيث يستغرق معظم سكان الأرض في سبات عميق... وقبيل الفجر بقليل سمعت وقع أقدام يقترب ناحيتي.

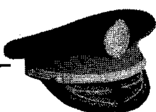
وما هي إلا ثوان معدودات خلتها الدهر كله.. حتى سمعت صوت إحدى الممرضات، ثم ما لبثت أن رأيتها تحث الخطى نحوي، فأيقنت أني هدفها المطلوب فقفزت من مقعدي، وأن أتفرس في وجهها، وأدقق النظر في ملامحها لعلي أستشف شيئًا من أخبارها، ينم عن نبأ سعيد.

وقبل أن أقول شيئًا بادرتني هي ببشارتها الحلوة التي لم أنساها ما حييت: «أبشرك يا أستاذ بصبيين حلوين.. وألف مبروك»!.. وأردفت قائلة «أطمئنك أيضًا أن صحة والدتهما بخير وعافية، وتود أن تراك الساعة».

فحمدت الله كثيرًا، وشكرتها، وقبل أن أتبعها عدت إلى مقعدي لأسترد بعض أنفاسي اللاهثة المكدودة.

فقد كنت مشدود الأعصاب متعب الجسم منهوك القوى، ولعل الممرضة قد لاحظت عليّ ذلك، فوقفت عن كثب، وهي ترمقني فقد كنت أبدو لمن يراني كما لو أني خارجًا في التو واللحظة من ميدان سباق!

كنت أنفاسي تتلاحق، ويبدو عليَّ التعب والإرهاق، وكيف لا أكون كذلك؟ وقد عرفت أنا وزوجتي منذ نحو شهرين من الطبيب المختص في إحدى زياراتنا المعتادة له. بعد أن أطلع على صور الأشعة



التي أعدت للحامل أنها لجنينين اثنين، وأن الولادة في مثل هذه الحالة لن تكون سهلة، كما لو كانت لجنين واحد، ولكنه استدرك مطمئنًا لنا: «ولكن لاتقلقا فإن حالات كثيرة مماثلة قد جاءتنا فمرت بيسر وسهولة وسلام»!

وقال موجهًا كلامه إلينا: «لذا فإني أنصح في أن تكون الولادة في المستشفى احتياطيًا لكل طارئ».

وهذا السبب كان مبعث قلقي وانزعاجي وترقبي اللحظة تلو الأخرى ولكن الحمد لله تبددت مخاوفي كسحابة صيف، وانزاح عن صدي كابوس كان يثقل كاهلي، بعد أن طمأنتني الممرضة ببشارتها اللطيفة، ولم أدع وقوفها يطول، إذ تبعتها حيث توجد الأم الرءوم وولداها التوأم!!

وبعد أن اطمأننت عليهم جميعًا قفلت عائدًا إلى البيت الذي لم يكن يبعد كثيرًا عن المستشفى، وكم كانت دهشتي كبيرة عندما وجدت والدتي (يرحمها الله) وجدة الأولاد لأمهم مستيقظتين تنتظران عودتي بفارغ الصبر.

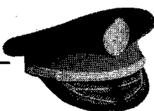
وبعد أن زففت إليهما النبأ السار، وأخبرتهما بالحدث السعيد.. حمدتا الله.. ثم انسلتا بهدوء إلى غرفتيهما.

هتفت مكبرات الصوت تحي على الصلاة، وتؤكد أن الصلاة خير من النوم، وفي رحاب بيت الله أديت صلاة الفجر، ولم أنس أن أركع قبلها ركعتين شكرًا لله على ما تفضل وأمتن به علينا.

وما أن بزغت شمس ذلك اليوم، حتى هرعت عائدًا إلى المستشفى، مع أنني لم أنل قسطًا كافيًا من النوم، وكم كانت سعادتي كبيرة برؤية التوأم الجميلين بجوار أمهما التي كانت تبدو عليها ملامح التعب والإرهاق، وهما يغطان في سبات عميق ليستعيدا نشاطهما بعد الرحلة الطويلة المرهقة التي قطعاها معًا، بدءًا بمرحلة الولادة، وحتى خروجهما إلى الحياة ليواجها فيها الامتحان الصعب وليدخلا في الصراع الأزلي بين الخير والشر.

وصلت مكتبي متأخرًا بعض الشيء ... فقد بحثت مع الطبيب مسألة بقاء الأم في المستشفى من عدمه، فأكد لي ضرورة بقائها فيه لعدة أيام أخرى، لتستريح وتعوض بعض ما فقدته.

ذهبت إلى مكتبي والتفاؤل يشيع في نفسي، ويملأ جوانحي، وما أن أخذت مكاني على الكرسي حتى لمحت فوق الأوراق برقية مكتوبًا عليها بالقلم الأحمر كلمة: «مستعجل» فتناولتها لأرى ما فيها، وإذا بها تقضي بضرورة توجهي إلى الرياض فورًا، لمقابلة سمو وزير الدفاع والطيران.



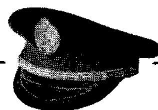
وفي صباح اليوم التالي كنت في مكتب سموه.. وأذكر أنني وأنا أصافح مدير المكتب الذي كان حينئذ المقدم عبدالله الخليفة[1] أنه قال لي مبشرًا «مبروك.. ستعين ملحقًا عسكريًا» لكنه لم يذكر البلد الذي سأعين فيه، ربما لأنه كان على عجلة من أمره... وقبل أن أتفوه بشيء طلب مني أن أتبعه، ولم أجد نفسي إلا واقفًا وجهًا لوجه أمام سمو وزير الدفاع والطيران والمفتش العام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز في مكتبه، وبعد أن أديت التحية العسكرية كما ينبغي.

وقفت أمامه منتصبًا، وبعد أن خرج مدير مكتبه التفت إليّ، وسألني عن صحتي -كعادة سموه مع الجميع- ثم أخبرني بأنه قد وقع عليّ الاختيار لأكون أول ملحق عسكري سعودي يعين في صنعاء.

وذلك بعد أن تقرر تعيين الشيخ مساعد بن أحمد السديري خال سمو الأمير... سفيرًا لجلالته هناك، حيث لم يكن يوجد هناك من قبل سوى قائم بالأعمال، وأردف سموه قائلاً: «راجين لك من الله العون والتوفيق». وأضاف: «إننا ندرك حجم المسؤولية وصعوبة الحياة هناك... ولكن الله سيعينك إن شاء الله».

---

١ - بتاريخ ١٣٨٩/٩/١هـ أحيل على التقاعد برتبة لواء.

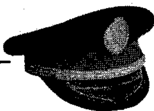


شكرت سموه ودعوت الله له بطول العمر والتوفيق، وأن أكون عند حسن الظن بي، وقبل أن أنصرف من أمامه أخبرته بقدوم التوأم فقال لي سموه وهو يبتسم: «مبروك سيكونان إقبالية خير عليك إن شاء الله».. هكذا قال حفظه الله.

شكرت سموه وودعته حيث ذهبت مباشرة لمقابلة سعادة رئيس هيئة الأركان العامة للجيش الفريق الأول حمد الشميمري في مكتبه، وبعد أن استمعت إلى توجيهاته، ودعته لمتابعة ما صدر من أوامر، بشأن اتخاذ الإجراءات اللازمة المعتادة في مثل هذه الحالة.

لم يمض سوى أسبوع واحد. حتى كنت مستعداً للسفر وكنت خلال هذه الفترة قد عدت إلى جدة، وسلمت أعمال المكتب لأبرز الموظفين فيه، وهو أحمد رأفت صاحب الخبرة الإدارية الطويلة في أعمال المنطقة، مما جعله محل ثقة قائد المنطقة لجدارته وحسن إدارته، بعدها تفرغت لمراجعة وزارة الخارجية هناك في جدة لانهاء إجراءات السفر.

وبقدر ما كنت سعيداً بالمنعطف الجديد في حياتي الوظيفية... كانت المفاجأة قاسية جدًا على زوجتي عندما علمت بأني سأتركها بعد أسبوع تقريبًا لأجل غير مسمى، ولفترة يصعب تحديدها ولعلها كانت



على حق لإدراكها أن هذا يعني تحملها مسؤولية البيت والأولاد بمفردها، وهي التي مازالت تعاني بعض آثار الولادة التي كانت سببًا في فقدانها لكمية كبيرة من الدم، نتيجة لنزيف كاد يودي بحياتها، لولا لطف الله ورحمته بعباده.

أما الوالدة ... فقد كانت (رحمها الله) تشاركني دائمًا مشاعري وهمومي، لذلك فقدت بوفاتها سندًا كان يشد أزري وصديقًا يقف بجانبي، وقلبًا يفيض بالحب والحنان، وعينًا ساهرة لا يغمض لها جفن إلا بعد أن تطمئن على وجودي قريبًا منها، ولسانها يلهج بالدعاء لي، ويدًا تبسطها بالتضرع إلى الله صباحًا ومساءًا. مما يشيع في النفس الطمأنينة والرضا.

إنها الفقيدة الغالية التي لا تعوض .. ولا سبيل إلى استعادتها ... أسألك ربي أن تلحقها مع عبادك الصالحين يارب العالمين.

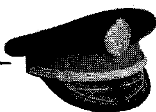
ورب سائل يسأل: ما أهمية هذا الحدث وقدوم التوأم بموضوع الكتاب؟ رغم أن ما أذكره قد يعتبره البعض أمرًا عاديًا يحدث كل يوم.

والجواب أن العلاقة عميقة ووثيقة، فعندما رزقني الله التوأم خالد وعبدالله استبشرت بمقدمهما خيرًا مع أنه قد سبقهما ولدان عزيزان أصبحا ضابطين في القوات المسلحة هما: محمد وعلي.

وشعرت في دخيلة نفسي بشيء من الطمأنينة والتفاؤل، وأن قدومهما سيكون بإذن الله قدوم خير وبركة، وقد أكد هذا الإحساس تعييني في اليوم التالي ملحقًا عسكريًا، وهذا يعني في تقدير العسكريين خطوة طموحة إلى الأمام، وفرصة نادرة قلما تجود بمثلها الأيام إذا ما أحسن المرء استغلالها بالعمل الجاد، وبالمثابرة والاجتهاد وبالصبر والاحتمال مستعينًا بالله في كل أموره، فإنه بهذا يكون قد مهد لنفسه مستقبلاً أفضل وصولاً إلى طموحات أوسع وأشمل بعون الله وحسن توفيقه.

وهذا ما تحقق لي ولله الحمد فمنذ ذلك التاريخ، وحتى هذا اليوم وحياتي الوظيفية تسير من حسن إلى أحسن بعون الله، فاللهم اجعلني من عبادك الشاكرين.

في الطريق
إلى صنعاء



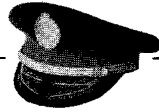
في الطريق إلى صنعاء

في تمام الساعة الحادية عشرة صباحًا من يوم الخميس الموافق ١٣٩٢/٢/١٦هـ وصلت إلى مطار الحديدة على طائرة الخطوط الجوية العربية السعودية، قادمًا من جدة في طريقي إلى العاصمة صنعاء، للعمل فيها كأول ملحق عسكري سعودي في تاريخ العلاقات الدبلوماسية بين المملكة وجمهورية اليمن الشمالي.

كان في استقبالي كل من الشيخ سنان أبو لحوم محافظ لواء الحديدة، والأخ عبدالرحمن الطعيمي من السفارة السعودية، والأخ فاروق طربزوني مدير الخطوط السعودية في اليمن، وأحد الضباط مندوبًا عن العلاقات العامة بالقوات المسلحة اليمنية.

وخلال استراحة قصيرة في المطار تحدثت مع الشيخ سنان أبو لحوم كبير عائلة أبو لحوم ورأسهم المفكر، وعقلهم المدبر، بالتعاون مع إخوانه من الضباط الثلاثة محمد ودرهم وعلي، وكلهم من ذوي الرتب العسكرية القيادية، موزعين على أهم الوحدات العسكرية، المدفعية والمظلات والمدرعات.

وقد تحدث الشيخ سنان بإسهاب وعفوية ووضوح، عن العلاقات

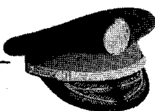


المتينة التي أصبحت تربط اليمن بالمملكة انطلاقاً وتأكيداً لمفهوم علاقة الإخاء والجوار والمصالح الأمنية والمصيرية والتاريخ المشترك.

انتهى كلام الشيخ أبو لحوم ، الذي اقترب به مما يقال عادة في مثل هذه المواقف الترحيبية، لذلك.. ومع منطقية ما قال فإنني لم أعول عليه كأساس للتعرف على الرجل أو تعريفه، لإحساسي بأنه بحكم تاريخه وخبرته السياسية، وذكائه الفطري، يصعب عليّ تحدي معالم شخصيته، وتوجهاته السياسية، وحقيقة مشاعره تجاه المملكة. من مجرد موقف سريع كهذا.

لكن الشيخ سنان أبو لحوم لو لم يكن يتمتع بشخصية قوية جذابة، وبصفات قيادية متفوقة لما أوكلت إليه مسؤولية هذه المنطقة الساحلية التي لعبت دوراً هاماً في الأحداث التاريخية التي تعاقبت على اليمن في القديم والحديث.

وهي اليوم -والكلام يعود إلى عام ١٣٩٢هـ «١٩٧٢م»- تعتبر المركز التجاري الوحيد في اليمن الشمالي كان ذلك قبل الوحدة بين اليمنيين لوجود الميناء البحري الرئيسي فيها الذي تصل عن طريقه معظم احتياجات البلاد من المواد الغذائية والبضائع المختلفة، خاصة بعد تردِّي العلاقات بين صنعاء وعدن في ذلك الحين وهي لا تعدو أن



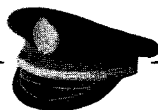
تكون قد نتجت عن اختلاف البلدين في التوجهات السياسية، والأنظمة الاقتصادية والحزبية.

ولذلك كان التجار الشماليون قبل ذلك، يفضلون استقبال بضائعهم عن طريق ميناء عدن، لقلة التكاليف، ولسهولة نقلها براً إلى صنعاء والمناطق الداخلية الأخرى، وزاد في أهمية الحديدة، وجود المطار الرئيسي فيها، حيث كان العمل مازال جارياً في بناء مطار صنعاء الدولي.

لذلك استمر استخدام هذا المطار، مع أنه لم يكن كامل التجهيز، ولكن للضرورة أحكام، وكان لزاماً على كل من يرغب في السفر جواً من سكان صنعاء أو غيرها من المدن القريبة منها أو البعيدة عنها، أن يشد الرحال إليها.

فالمسافة بينها وبين صنعاء ٢٢٧ كيلو متراً، عبر طريق جبلي مزدوج الاتجاه لا يتجاوز عرضه سبعة أمتار في أحسن الحالات، وهو كثير المنعطفات والأخطار، نظراً لضيقه وتهور بعض السائقين، وكثافة العربات بين قادم وذاهب.

وإذا ما عرفنا أن صنعاء ترتفع عن سطح البحر بمقدار ٧٢٠٠ قدم، أدركنا مدى الخطورة والمخاطر التي قد يتعرض لها كل مسافر،



ومقدار ما كنا نعانيه من متاعب نفسية في كل مرة يتطلب الأمر فيها السفر إلى المملكة.

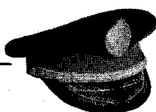
ولكن كل هذا انتهى ولله الحمد بافتتاح مطار صنعاء الدولي.

كانت هذه هي المرة الأولى التي استخدم فيها هذا الطريق الجبلي الذي يربط بين الحديدة وصنعاء، والذي قامت الصين الشعبية بالبدء في شقه وتعبيده قبل قيام الثورة.

وفي صحبة الأخ عبدالرحمن الطعيمي قطعنا هذا الطريق الصعب، ولا أقول الممل، في تبادل الأحاديث المختلفة عن اليمن والمملكة، وبإرسال النظر بين الفينة والفينة على جانبي الطريق، للتعرف عليه، والتمتع بجماله وروعته، ولا أقول سهولته.

فهو ينساب محاذياً حافة وادٍ عميق، تجري فيه سيول مياه تنحدر إليه من أعالي الجبال، وتحف ببعض جوانبه، أشجار باسقة سامقة، هي في بعض مناطق أخرى منه أشجار الفواكه مثل الموز والبباي،التي يتطلب ريها وجود مياه غزيرة دائمة الجريان.

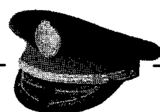
وقد لاحظت أننا كلما ما ابتعدنا عن الحديدة قلّت رؤية مثل هذه الأشجار الباسقة، والمياه الجارية، وازدادت مساحة الأراضي



الخضراء على جانبي الطريق وأسفل الوادي. وأننا كلما اقتربنا من صنعاء زاد الطريق جمالاً، والأراضي الخضر الممتدة على جانبيه اتساعًا، ولعل أكثر ما لفت نظري، وشد انتباهي تلك المدرجات الخضراء التي كانت تغطي سفوح الجبال، كلما قلَّت حدة انحدارها، وإنها لأكثر روعة وجمالاً في موسم سقوط الأمطار، المصدر الوحيد لريها وسقياها، أما فيما عدا ذلك... فتتحول إلى صخور صماء، وأراضٍ صفراء... لا نبات فيها ولاماء، تشكو الجفاف والظمأ.

بهذا التأمل وتجاذب أطراف الحديث مع الأخ الطعيمي قطعنا الطريق الذي انتهى بنا إلى وسط شارع الشهيد عبدالمغني، وهو الشارع الرئيسي والتجاري في صنعاء لأحط رحالي، وأريح بالي، في إحدى حجرات «فندق المخاء» التي سبق حجزها لي من قِبَل السفارة، لا لأنه الأفضل وإنما لأن السفارة مازالت تتخذ من أحد أجنحته مكاتب لها، ولوقوعه أيضًا في وسط المدينة، وهذا أمر كان في غاية الأهمية بالنسبة لي، للانطلاق منه سيرًا على الأقدام، للتعرف على معالم المدينة القديمة، ذات التاريخ العريق.

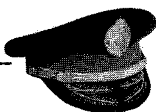
وقبل الذهاب إلى حجرتي مررت على القائم بالأعمال الأستاذ عبد ربه زهيري الذي كان ينتظرني في مكتبه، ولما كان وقت الدوام



الرسمي قد شارف على الانتهاء فلم أطل الجلوس عنده حيث استأذنته وانصرفت لاستريح قليلاً، استعداداً للانطلاقة الأولى في صنعاء العاصمة... أمضيت بقية ذلك اليوم في الغرفة، ولم أغادرها إلا لتناول طعام العشاء في مطعم الفندق، الذي يقع في الطابق الأرضي، ولأن أحداً لم يكن معي، والعشاء كان جاهزاً لذلك لم أمكث في المطعم غير نزر يسير، وقبل العودة إلى الغرفة ثانية... هَمَمْت بالخروج إلى الشارع، ولكني توقفت قليلا أفكر: «إنني الآن أرتدي الثوب والغترة والعقال، ولاأدري مدى تقبل الشارع اليمني لسعودي بملابسه الوطنية».

ولخطورة المغامرة في اتخاذ مواقف غير محسوبة ولا مقدرة، عدت أدراجي إلى غرفتي، بعد أن أخذت معي نسخة من صحيفة الثورة الرسمية، كانت ملقاة على إحدى الأرائك في بهو الفندق، وهناك أخذت في قراءتها، ولأني من هواة القراءة، ومحبيها، ولم يكن لدي سواها والوقت مازال مبكراً، فقد وجدتني أعيد قراءتها المرة تلو المرة باستقصاء لم يدع منه شيئًا، حتى الإعلانات عن أولئك الذي خرجوا ولم يعودوا!!

وفي يوم الجمعة.. ذهبت بصحبة الأخ حاتم زارع أحد موظفي



مكتب الخطوط السعودية في صنعاء لأداء صلاة الجمعة الذي كان بطلاقة محياه وبشاشة وجهه وبحسن معاملته وتعامله مع الآخرين، يمثل بحق الموظف الناجح المتفوق.

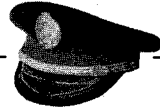
كان نموذجًا صالحًا، وقدوة حسنة للمواطن السعودي المشرف. وهو اليوم ذو مركز مرموق في الخطوط الجوية السعودية.

بزغت شمس يوم السبت من ذلك الأسبوع، وأرسلت أشعتها الذهبية على مدينة صنعاء العاصمة، لتعانق أسطح المنازل والمباني، وأسوار الحصون والقلاع فيها.

وسلطت الأضواء على الأسواق القديمة، والممرات الضيقة التي تحكي بلغة حمير وسبأ التاريخ العريق لهذه المدينة التي يعتبرها اليمنيون المدينة الأولى في العالم، مع أن السوريين يرون أن دمشق هي الأقدم.

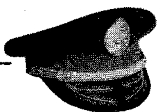
أما الحكم في هذا فندعه لمحللي التاريخ ليقولوا فيه كلمتهم.

أما صنعاء اليوم فهي تلك المدينة التي مازالت تنام في أحضان جبل «نقم» العملاق، الذي تمثلت في صخوره الصماء قوتها، وفي شموخه صمودها وصلابتها أمام ما تعرضت له من هجمات متتالية عبر تاريخها الطويل.



نعم! ما إن أشرقت شمس ذلك اليوم، حتى كنت قد تناولت طعام الإفطار، وخرجت إلى الشارع بعد أن ارتديت «بنطالاً»، كما يسميه شيخنا الفاضل علي الطنطاوي في اشتقاقه وتعريبه لكلمة «بنطلون»، كما ارتديت قميصاً.

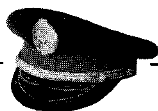
ومن المعروف إن البنطال والقميص ليس غريبين علينا معشر العسكريين وإن اختلفت الألوان، ثم اتجهت صوب مكتب الخطوط الجوية السعودية، القريب من الفندق لأبدأ من هناك رحلة البحث عن دارين استأجرهما. واحدة للمكتب وأخرى للسكن... ولصعوبة الاختيار عندما تتشابه الأشياء استغرق البحث أسبوعين كاملين لا لقلة في البيوت، فقد كانت رقعة الأرض في صنعاء آخذة في التوسع والتشعب والامتداد باتجاه الأراضي المفتوحة، ولكن لاختيار الأفضل الذي يلبي الاحتياج المتوقع لكل منها مستقبلاً، ويكون لائقاً في شكله ومنظره وموقعه... ويقال: من جَدَّ وجد ومن زرع حصد، ولَرُبَّ صدفة خير من ألف ميعاد.. فبينما كنت ماراً في شارع الزبيري الذي يقع فيه نادي الضباط العسكري، والذي تقاطع مع شارع عبدالمغني لمحت بيتًا كبيراً ذا مدخل واسع لايبدو عليه أنه مأهول بالسكان بدليل إن باب مدخله الرئيسي كان مفتوحاً على مصراعيه... وكأنه إعلان صريح للإيجار!



وبالتعرف على صاحبه الذي كان يجادل العمال بداخله تم استئجاره منه بسعر معقول في غفلة من الوسطاء، أصحاب مكاتب العقار! ولوقوعه في شارع رئيسي أصبح مقرًا للمكتب، وغير بعيد عنه في ضاحية الصافية تم العثور على دار أخرى اتخذتها سكنًا لي.

وبهذا اعتقدت أن المشكلة قد حُلّت... ولكني واجهتني مشكلة أخرى أكثر تعقيدًا من سابقتها، وذلك بعد أن أكتشفت افتقار السوق المحلية لنوعيات جيدة من الأثاث المطلوب لكل من البيت والمكتب!! وبسؤالي لأحد المهتمين بهذه الأمور عن سبب إحجام التجار عن تنشيط الحركة التجارية قال بصوت منخفض يشبه الهمس: «إنك تعرف أن رأس المال جبان... وأن أصحاب رؤوس الأموال -وهم كثيرون- لم يطمئنوا بعد، رغم أن الوضع كما تراه مستقرًا هادىء لا يدعو للقلق أو الخوف، ولكنهم يخشون أن تهب عليهم عاصفة جامحة تأكل الأخضر واليابس -لاسمح الله- أو أن تسن قوانين تسلبهم أموالهم ولاتبقى لهم شيئًا!!

ولأن الأمر لايحتمل التأخير أو التأجيل، فقد كلفت الموظف المعين على المكتب الأخ عبدالله بن عبدالمحسن التويجري، الذي كان وما



يزال في المملكة بعد تزويده بقائمة الأثاث المطلوب ليقوم بتأمينه من جدة، وشحنه إلى الحديدة عن طريق البحر.

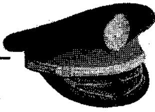
ولم يمض شهران حتى كنا نعمل في المكتب بعد استكمال جميع مستلزماته، كما منَّ الله علينا بلم الشمل بالأهل على أرض اليمن.

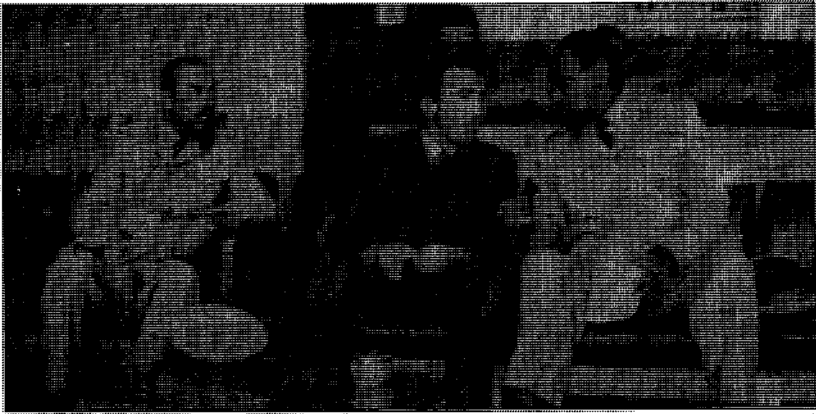
وكنت قد طلبت من خلال القائم بالأعمال ترتيب زيارات لي للقيادات العسكرية، حسب التسلسل القيادي.

وفي اليوم الرابع لوصولي أخطر القائم بالأعمال بواسطة إدارة المراسم في وزارة الخارجية بأنه قد تحدد يوم الأحد القادم، في تمام الساعة العاشرة صباحًا موعدًا لمقابلة كل من العقيد حسين المسوري رئيس الأركان، والعقيد إبراهيم الحمدي نائب القائد العام، والعقيد محمد الإرياني القائد العام وكنت برتبة عقيد آنذاك، وقد تمت مقابلاتي لهم في مكاتبهم على التوالي بصحبة القائم بالأعمال، مما أضفى على هذه المقابلات الصبغة الرسمية.

لذلك لم أخرج منها بانطباع مفيد يمكن أن يكون أساسًا قويًا يبنى عليه وضع تعريف ورسم ملامح بارزة لشخصياتهم.

لكني كنت واثقًا من أن ذلك سيكون سهلاً بمجرد أن ألتقي بهم

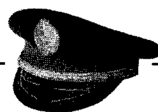




الصورة من اليمين الفريق أول حمد الشميمري رئيس الأركان ثم العقيد حسن المسوري رئيس الأركان اليمني ثم المؤلف خلال زيارة الفريق أول الشميمري لصنعاء، عندما كان المؤلف ملحقاً عسكرياً باليمن عام ١٣٩٣هـ.

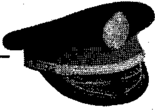
مرة أو مرتين مستقبلاً إن شاء الله.. وربما يعود هذا اليقين إلى معرفتي الأكيدة بطبيعة العسكريين، فهم لايحسنون إخفاء حقيقة مشاعرهم بتغليفها بلفافة من الغموض والتمويه، كما يفعل السياسيون، وهذا ما كنت أعتقده قبل أن أصبح دبلوماسياً.

ما إن استقر الحال بي في المكتب بعد استكمال تجهيزه وتوفير احتياجاته، حتى تم إخطار الجهة المعنية بالقيادة العامة اليمنية كالمتبع بموقع المكتب، وبأرقام الهواتف والعناوين لمنسوبيه، وكان ذلك منا بمثابة إعطاء الإشارة ببدء ساعة الصفر، ومشروعية العمل والتعامل بين القيادة والمكتب، فبات الاتصال قائماً منذ ذلك اليوم بأعضاء



القيادة، وكان لقاؤهم يتم فرادى أو مجتمعين بصورة مباشرة، وليس عبر القنوات الرسمية كما تنص التعليمات، وغالبًا ما كان ذلك يتم بناء على رغبة منهم، بعد أن أدركوا أن المكتب إنما وجد لمناقشة وجهة نظر، أو تمرير أمر من الأمور ذات الاهتمام المشترك، وباتباع هذه الطريقة وذلك الأسلوب في التعامل المباشر، توطدت العلاقات بين البلدين في المجال العسكري، وأخذت في النمو السريع، والتوسع المطرد حتى تجاوزته إلى مجالات أخرى أكثر شمولية، تمس حياة المواطن اليمني من دعم وتقديم وتسهيلات، وتعبيد طرق، وإنشاء مدارس ومستشفيات، وغير ذلك مما ليس هذا مجال التفصيل في ذكره.. ولمتابعة هذه المشاريع ورعايتها تم افتتاح مكتب اطلق عليه اسم: «مكتب المشاريع السعودية».

أما عن القيادة السياسية العليا في اليمن، فكانت تتمثل في المجلس الجمهوري المكون من أربعة أعضاء هم يومئذ: القاضي عبدالرحمن الإرياني، والقاضي عبدالله الحجري (رحمه الله) وهما زيديان، والقاضي محمد علي عثمان (يرحمه الله) والأستاذ أحمد محمد النعمان (يرحمه الله) وهما شافعيان، يمثلان المناطق المتاخمة لليمن الجنوبي، أو كما تسمى «الحجرية».

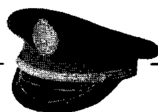


وقد تم اختيار هؤلاء من قِبَل مجلس الشورى الذي كان يرأسه آنذاك الشيخ عبدالله حسين الأحمر شيخ قبيلة حاشد، الذي أصبح بعد الانتخابات الأخيرة رئيسًا لمجلس النواب، وتنتقل رئاسة المجلس الجمهوري بشكل دوري بين أعضائه كل ثلاث سنوات.

لكن أعضاء المجلس الثلاثة كانوا يرشحون في كل مرة القاضي عبدالرحمن الإرياني لأسباب أوضحها أحد أعضاء المجلس الجمهوري في حديث خاص لي معه عندما سألته عن ذلك، فقال: «إن الوضع في البلاد غير مستقر، والمشكلات كما ترى وتسمع تتفاقم باستمرار، بل إنها تزداد يومًا بعد يوم، والقاضي عبدالرحمن الإرياني، أكثر منا قدرة على معالجتها لأنها من صنع يديه! فعليه إذًا أن يتحمل مسؤوليتها».

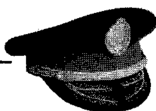
وعن مدى تأثير أعضاء المجلس على الأحداث، قال: «ليس كما يتخيل البعض من واقع مفهوم المسؤولية المشتركة بين أعضاء المجلس فكثير من القرارات رغم أهميتها، تصنع ويتم إقرارها خارج نطاق المجلس، ولا نسمع عنها إلا وهي مذاعة أو مكتوبة على صفحات الجرائد!!».

إذًا فالإرياني كان هو الأقوى بين أعضاء المجلس والعنصر الفعال



المحرك للأحداث، ودار في مخيلتي سؤال لم أوجهه إلى أحد في ذلك الحين: «هل كان هذا الرجل يملك هذه المقومات المؤثرة فعلاً، ولو على الصعيد الرسمي والداخلي على الأقل؟!

فالذين يعرفونه يقولون عنه الكثير، وهو إلى جانب كونه أحد رجالات القضاء، تمرس كثيرًا قبل وبعد الثورة بالعديد من الوظائف وعندما جاء إلى المجلس وأصبح رئيسًا له، كان يملك مفاتيح كثيرة، ويعرف كيف يدير أقفال غيره وكل ما يدور حوله؟ ويتعامل بحنكة وحذر مع مختلف المتناقضات، والفئات المؤيدة والمحايدة والمعارضة المحيطة به، فهو كما يتضح من سياسته التي قد لا يكون لها بديل أكثر عقلانية في تلك الفترة التي كانت تتطلب (تهدئة اللعب) كما يقولون، فقد كان يمسك بالعصا من الوسط، وهذا يعني من حيث ظاهر الأمور -على الأقل- انتهاج أسلوب سياسة التوازن بهدف تحقيق العدل بين الجميع، ولكن هذا السؤال يفرض نفسه: أيكون هذا الأسلوب الأمثل لتحقيق هذه الغاية التي لا ترضي ولايرضى عنها الجميع في بلد، كاليمن لم يستقر على حال ولم يهدأ له بال؟ فهذا البلد يبحث عن أرض صلبة يرسو عليها تجنبًا للوقوع في فخ الانقلابات العسكرية التي تأكل الأخضر واليابس ولا تورث إلا المآسي والويلات، كما ينطق ويحكي



التاريخ المعاصر لبعض دول العالم الثالث: انقلاب يعقبه انقلاب ليس لتحقيق مصلحة وطنية، أو لنشر عدالة اجتماعية، ولكن لتصل هذه الفئة أو تلك إلى عتبة الحكم وتتسلم مقاليد الأمور، لتبسط نفوذها وتحكم قبضتها على مقدرات البلاد، وتوجه سياستها نحو هذه الجهة أو تلك، وهكذا دواليك في كل مرة يصل قادمون جدد، ورغم تعدد الذين استطاعوا الوصول إلى السلطة، أو جاءت بهم رياح التحول السريع إلى دفة الحكم، لم يستطع أي منهم عندما يتربع على كرسي القيادة أن يخرج بلاده مما كانت تعانيه من حالة القلق والفوضى وانعدام الشعور بالأمن والاستقرار، والانهيار الاقتصادي الذي أودى ببلادهم إلى الفقر المدقع والبطالة المهلكة، بل ظلت تسبح بلاده في تلك الدوامات العاتية تدور في حلقة مفرغة.

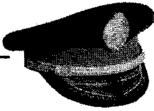
والخروج من هذه المعاناة من أهم المطالب الوطنية التي يدعي الانقلابيون دائمًا أنهم قادمون من أجل تحقيقها، متخذين منها شعارات وطنية يرفعونها وينادون بها، كما يجعلون منها جسرًا يعبرون من فوقه ليصلوا إلى السلطة.

ولهذا.. فإن أيًا من هذه الشعارات البراقة لم يتحقق على أيدي هذه الفئة المنقضة على الحكم، ولم تكن حقيقة أمرهم سوى ممارسة التسلط



وقهر الشعوب، ونهب خيراتها ومقدراتها، فالثوريون الذي ابتليت بهم بعض الأمم -كما أثبتت الوقائع والأحداث نفسها- لا يملكون سوى القدرة على تدبيج الخطب الرنانة، ورفع الشعارات البراقة، وتوزيع الوعود الكذابة بسخاء وبلا حساب، والتلاعب بعواطف شعوبهم، ومقدرات بلادهم، وتهيئتها لانقلاب آخر أكثر سوءاً من سابقه وهكذا دواليك إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولاً أو أن يرث الله الأرض ومن عليها، هذه هي رسالتهم التي آلوا على أنفسهم القيام بها والعمل على تحقيقها، هذا هو ما أرادوا صنعه وما جاءوا من أجله.. لذلك- وبسبب هذا الإرباك- بات المؤرخون والمهتمون بتسجيل حوادث التاريخ في هذه البلدان، في حيرة من أمرهم، فقد وجدوا أنفسهم فيما يشبه المطاردة لحوداث التاريخ، واقتفاء أثر دورات الزمن، الأمر الذي أفقدهم القدرة على التركيز على نقاط البحث الهامة، والتدقيق في الأحداث المتعاقبة لتحديد معالمها، وابراز سماتها وخصائصها.

فالصورة متلاحقة والأحدات متداخلة سريعة الإيقاع متشابهة لا شئ يميزها عن غيرها سوى اختلاف أسماء أبطالها الذين يقتحمون أبواب التاريخ، ويدلفون ساحاته دون سابق إنذار، ولا جديد أمام حراس الثكنات سوى سحنات تتبدل وملامح تتغير، وقوائم جديدة

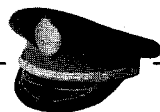


بأصناف الطعام للطهاة تقدم وبطانة شرهة ومحسوبين فيهم القديم المنتفع، والجديد الطامع المتحذلق الذي يتحين الفرص، ويقتنص اللحظات التي يغفو فيها الزمن، ليطفوا على السطح بعد أن ينقض على صاحبه ليأخذ مكانه، ويقتسم الغنيمة مع أعوانه الجدد.

وعلى هذا النحو تدور عقارب الساعة حول محورها الثابت الذي لا يتغير، ففي الحدث التاريخي نجد أن الأبطال يتغيرون بينما التاريخ نفسه ثابت يعيد نفسه باستمرار على الدوام بصرف النظر عن اختلاف المكان والزمان، فالمطامع والأهداف متقاربة متشابهة.

ولعل القاضي عبدالرحمن الإرياني وزملاءه في عضوية المجلس الجمهوري قد أدركوا أخيرًا صعوبة التغلب على التعقيدات السياسية، والظروف المعيشية الصعبة التي يعاني منها الواقع اليمني نتيجة لما مر عليه من تقلبات أفقدته القدرة على الوقوف متوازنًا فلم يعد بإمكان المسؤولين عن هذا الواقع أن يعلموا شيئًا لتعود للحصان استقامة ظهره.

فآثروا الانسحاب من الساحة بهدوء يحفظ مكانتهم عملاً بمبدأ: « الانسحاب قد يعد في بعض المواقف نجاحًا»! هذا مافكروا فيه، وإن لم يعلنوه صراحة، وهذا ما أدركه أيضًا العقيد الحمدي بتطلعاته

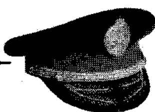


الطموحة، حيث قام ضحى يوم ١٩٧٤/٦/١٣م بانقلابه الأبيض بعدما مهد له وأعد عدته جيداً، وأرغم الإرياني -الذي لم يبد أية مقاومة تذكر على ترك صنعاء- تمهيداً لخروجه نهائياً من اليمن، إلى أي بلد يريده. وقد اختار مدينة دمشق الفيحاء.

ولكن يبدو أن الأمور بالنسبة لهذا الجزء من العالم لم تنته بعد؛ فلم تكد تمضي تسعة وثلاثون شهراً على تولي العقيد الحمدي مقاليد الأمور في بلاده. حتى اغتيل في ١٩٧٧/١٠/١١م وفي ١٩٧٨/٦/٢٤م اغتيل خلفه المقدم حسن الغشمي.

وفي ١٩٧٨/٧/١٧م اختير المقدم علي عبدالله صالح رئيساً للجمهورية والذي كان قبل ذلك قائداً للواء تعز برتبة رائد. ثم عين بعد مقتل الغشمي مباشرة رئيساً للأركان برتبة مقدم خلفاً للمقدم علي الشيبة الذي أصبح قائداً عاماً.

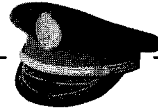
العــــودة
إلـــى الريـــاض



العـــودة إلى الريـــاض

وتتزامن فترة انتهاء عملي في صنعاء مع ما طرأ فيها واستجد على ساحتها من أحداث وتغيرات سياسية نتيجة لقدوم العقيد إبراهيم الحمدي نائب القائد العام ليصبح رئيسًا بعد إزاحته القاضي عبدالرحمن الإرياني، فقد غادرت صنعاء في ١٣٩٤/٩/١هـ عائدًا إلى الرياض والعود أحمد، لأواصل مسيرتي في القوات المسلحة، حيث عينت في رئاسة هيئة الأركان العامة مسؤولاً عن قطاع الأمن، ثم تدرجت بعد ذلك في العديد من المناصب القيادية قائدًا لكل من منطقة الطائف والمنطقة[1] الشمالية «تبوك» على التوالي، وفي هاتين المنطقتين خضت التجربة الأولى في الاضطلاع بمسؤولية القيادة الميدانية، وهي إطلالة على مساحة إدارية وتكتيكية أوسع تتيح للقائد فرصة التعامل مع قاعدة أكبر من القيادات ذات المهام والواجبات المتعددة، وتكسبه خبرة قيادية وتمرسًا ميدانيًا واحتكاكًا مباشرًا بشريحة أعرض من الأفراد والضباط.

١ – سميت فيما بعد «المنطقة الشمالية الغربية» واطلق مسمى «المنطقة الشمالية» على القيادة العسكرية في حفر الباطن بعد أن تم إنشاء مدينة الملك خالد العسكرية فيها.

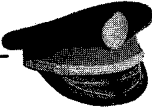




المؤلف يستقبل صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام، عندما كان قائداً لمنطقة الطائف.

وكنت آنذاك برتبة لواء وكانت تبوك المحطة الأخيرة في خدمتي الميدانية، ومن هذه المحطة انطلق قطار حياتي ليتوقف عند مفترق هام، عندما عينت على وظيفة مستشار عسكري بمكتب سمو النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز.

هذا وإذا كانت خدمتي الطويلة في المجال العسكري، قد أتاحت المجال أمامي لشغل العديد من المهام القيادية، التي أسهمت في اكتسابي خبرات ميدانية، وزودتني بكثير من المعلومات والمعارف المتنوعة.

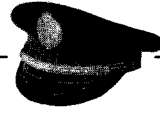




صورة لسمو النائب الثاني في زيارة لمنطقة تبوك «المنطقة الشمالية الغربية» عندما كان المؤلف قائدًا لها.

فالذي لاريب فيه أن الفترة التي شغلت فيها منصب المستشار العسكري لسموه لمدة خمس سنوات تقريبًا قد مهدت السبيل أمامي لكي أغترف المزيد من المعارف، وأنهل من أسلوبه القيادي المميز، ونهجه الإداري المتزن، وقدرته العالية على التحاور، وتداوله مختلف الأمور من موقع العارف والمدرك والمطلع.

أضف إلى ذلك ما كنت أستخلصه في كل مرة أحضر فيها اجتماعًا رسميًا أو لقاءً صحفيًا بسموه من قناعات تؤكد قدرته على إدارة دفة الحديث والحوار بموضوعية تامة وبلباقة وحصافة، ووعي

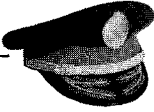


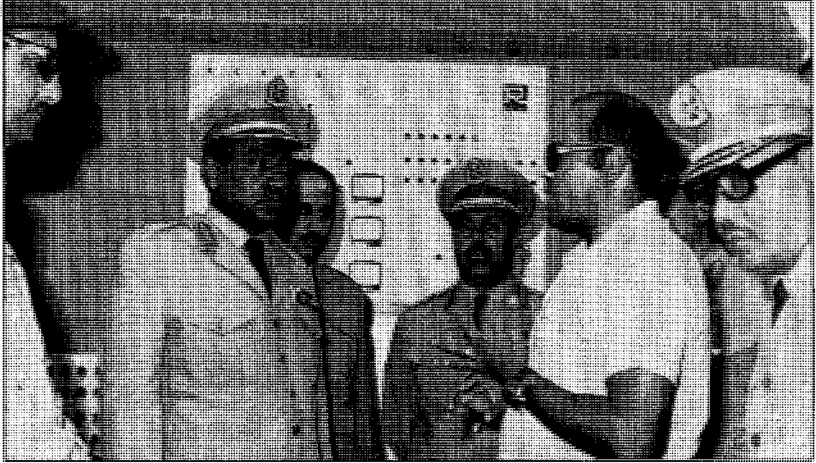
وإدراك يندر تـوفـرها فـي شـخص واحـد، وهي ملـكات تفـرض على الطرف الآخر محـبته واحترامـه لبعد سلوكياته عن الاسـتعلاء بعلم أو التفـاخر بمركز ليس تواضـعاً منه فـحسب، بل طـبيـعة أصيلة اعـتادها وخلق قويم جُبِل عليه كذلك.

لذلك لا يشعر من يحاوره أو يستمع إليه بتأثير مكانته القيادية على روح النقاش مـعه، فتراه كـما هو معروف عنه عـالمًا بين العلماء، ولكن بروح الراغب فـي التـعلم، والطـامع في الاسـتـزادة، وقـائداً عـسكرياً متـمرساً بين جنـده وضباطه يناقـشهم في أدق التفـاصيل وفي مـختلف اهتماماتهم ومهامهم، وسياسياً مخضرماً واضح الرؤية.

فإن خـاض في حديث السـياسـة فهي درسه الأول الذي تـلقاه عن والده (يرحمه الله) وهو في كل الأحوال والمواقع رجل الموقف الذي هو فيه.

هذا.. ويشهد الله أنني لم أقصـد بهذا إلا تسجيلاً لحقيـقة لا مديحاً يسـتحـقـه وهو يأباه، والدافع من وراء هذا هو الـعرفـان بفـضل لا ينكر واثباتٍ لحقٍ يفرضه تداول الأمور بمنظار الصدق والموضوعية.

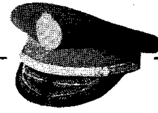




المؤلف مع رئيس الأركان الفريق أول حمد الشميمري أثناء زيارته لدولة قطر عام ١٣٩٤هـ

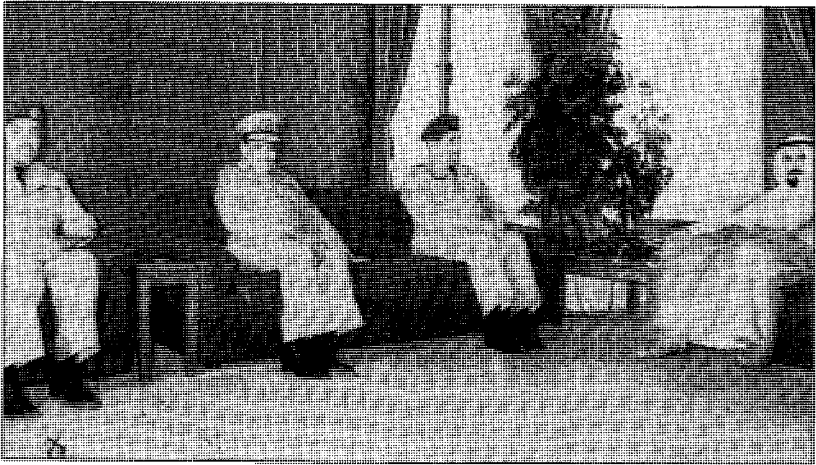


المؤلف مع رئيس الأركان الفريق أول عثمان الحميد «مساعد سمو وزير الدفاع والطيران للشئون العسكرية حالياً» في زيارة للسودان عام ١٣٩٨هـ ويظهر في الصورة الرئيس جعفر نميري، كما يظهر في الصورة أيضاً بين الجالسين في الصف الأول الثاني من جهة اليمين سمو الأمير الرائد طيار فهد العبدالله» مساعد وزير الدفاع والطيران لشئون الطيران المدني حالياً».

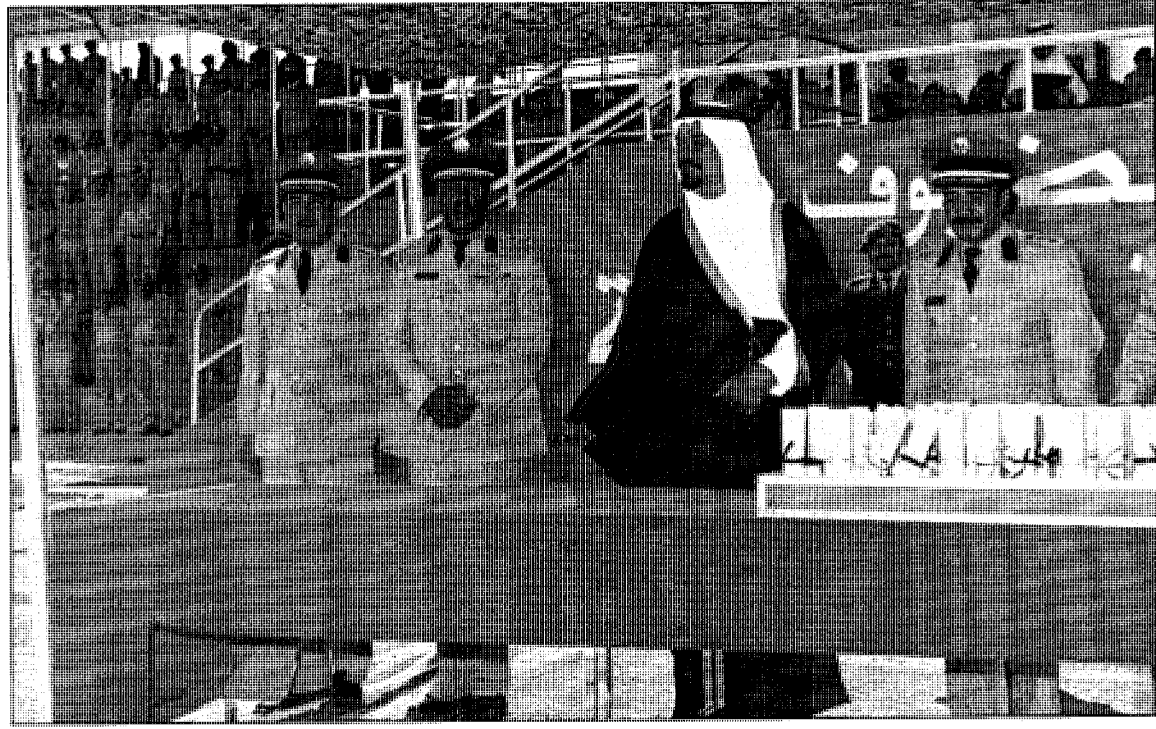




صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن عبدالعزيز نائب وزير الدفاع والطيران أثناء زيارة سموه لفرنسا عام ١٣٩٥هـ ويرى المؤلف يقف خلف سموه.



المؤلف مع رئيس الأركان الفريق أول محمد صالح الحماد لدى زيارته للشيخ جابر الصباح أمير دولة الكويت في مكتب سموه.



صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز في إحدى مناسبات التخرج
ويرى المؤلف بجانب سموه عندما كان قائداً لمنطقة الطائف عام ١٤٠٢هـ

تجـــربتي
مـــع الإعـــلام



تجربتي مع الإعلام

كانت تجربتي مع الإعلام بحق إضافة هامة في حياتي العسكرية. فقد كلفني صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام برئاسة اللجنة العليا للإعلام الحربي أثناء أحداث احتلال العراق للكويت.

ولقد زاد في إثراء تلك التجربة تعزيز الثقة التي أولاني إياها سموه بتعييني كذلك عضواً في اللجنة التحضيرية للهيئة العليا للإعلام، ممثلاً لوزارة الدفاع والطيران، حيث أتاح لي العمل في هاتين اللجنتين فرصة التعرف عن كثب على أهمية الإعلام وخطورته.

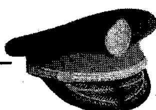
وعرفت أن السلاح النفسي الأكثر فعالية والأقوى تأثيراً في زمن الحرب، أما في زمن السلم فإنه يمكن أن يثير حرباً.

ولكن ماذا يمكن أن أقول عن تلك التجربة التي عشتها؟! إن في جعبتي الشيء الكثير عنها فهي لا تعد انطباعات فات زمانها واندثر مكانها وغابت شخوصها في زوايا التاريخ وإن ظلوا يشاركوننا الحركة ويقتسمون معنا الهواء.



فالتاريخ الحقيقي لهؤلاء -كما تقول إحدى نظرياته- لايكون التاريخ صادقًا حينما يكتب إلا بعد غياب أبطاله. لذلك استميح القارىء عذرًا إن اكتفيت بالوقوف هنيهة عند ذكر بعض النشاطات الميدانية مبتعدًا ما أمكنني ذلك عن الخوض في التفاصيل خوفًا من الإغراق فيها؛ الأمر الذي قد يخرجني عن النص، ويبعدني عن الخط الذي رسمته كمنهج لهذا الكتاب.

أما عن التجربة فلست هنا لأطلق قولاً مأثورًا، أو ما يمكن أن يكون كذلك في يوم من الأيام عندما أقول أنه كان أسهل عليّ قيادة مئات من الجنود في حالة انسحاب غير منظم من محاولة فرض السيطرة على عشرة من مراسلي الصحف، وحاملي آلات التصوير، فالتعامل مع هذه الفئة المحبة لعملها المغامرة من أجل النجاح فيه يعلم الصبر، ويفرض على من يصاحبهم التحمل، هذا ما تعلمته منهم أثناء مرافقتهم في جولاتهم الميدانية، ولقاءاتهم الصحفية بالضباط والجنود على الخطوط الأمامية التي كنا ننظمها لهم أثناء الاحتلال العراقي للكويت مع أنهم لم يكونوا يهتمون كثيرًا بالمحاذير الأمنية، وتقدير مواقفهم، لأنهم في ميدان الإعلام يخوضون دائمًا، الحرب التي لا

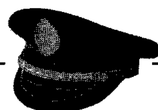


تضع أوزارها، لـذلك تراهم لشـدة حـرصـهم على إنجـاز مـهامـهم والوصول إلـى أهدافهم يعـتمدون عـلى السرعـة في الحركة والانـدفاع غير المحسـوب بالدقة التي تقيهم الوقوع في المحظور وتؤمن سـلامتهم، رأيت أحدهم يسقط في خندق وهو يحاول اللحـاق بقائد القطاع ليحصل منه على تصريح صحفي.

وعندمـا طلبت منع الترفق بنفسه قـال لي وهو يلاحق قائـداً آخر: «لاتهتم، إنها طبيعة مـهنتنا التي يقول شعارها: بأن الفائز واحد هو من يكسب قصب السبق»، وهنا أدركت السبب الذي يكـمن وراء متاعبهم ومتاعب من يتعامل معهم.

ولعلي أذكـر في هذا السـياق مـا كـان من أحـد مراسلي صـحـيفـة محلية تصدر في الرياض كان من ضمن من تم نقلهم جواً من مراسلي الصحف ووكالات الأنبـاء من الرياض إلى بلدة صفوان العـراقية التي كانت آنذاك تحت سيطرة قوات التحالف لحضور التوقيع الرسمي على اتفاقية وقف إطلاق النار في ١٩٩١/٣/٣م.

تم ذلك الاتفـاق الذي تم الـتـوقـيع عليـه من قِبَل كل من صـاحب السـمـو الملكي الأمـيـر الفـريق الركن خـالد بن سلـطان، قـائد القـوات



المشتركة ومسرح العمليات، والجنرال نورمان شوارزكوف قائد عملية عاصـفة الصـحراء، وضـابطين كبـيرين يمثـلان الجانب العراقـي هما الفـريق الركن سلطان هاشـم معـاون رئيس أركـان الجـيش للعـمليـات ورئيس الجانب العراقي المفـاوض، والفريق الركن صلاح عبود مـحمد قائد الفيلق الثالث.

وللعـودة إلى ذكر مـا كـان من صاحـبنا المراسل أقـول: أنه نتـيجـة لتـأخر مـوعـد وصول الطـائرة إلى الرياض لأسبـاب فنيـة بعـد انتهـاء مـراسم التـوقيع على اتـفاقـيـة إيقاف إطـلاق النار بين قوات الـتحـالف والقوات العـراقيـة إلا في ساعة مـتأخـرة من مساء ذلك اليـوم، لذلك لم يتمكن هذا المراسل من تقـديم مادته الصـحفية فـي الوقت المناسب لتأخذ مكانها في صـحيفة الصباح.

ولهذا راح في اليوم التـالي، ودون أن يكلف نفسه محـاولة التعرف على أسـباب التـأخير، يصـب علينا جام غـضبـه في صـحيـفتـه، ويلقي علينا باللائمة، ويتهـمنا بأننا قد أضعنا عليه «الطبخة» كمـا قال، ناسياً أو ربما متناسـيًا ما كانت تقـدمه وزارة الدفاع والطيران ممثلة فـي قيادة القوات المشتـركة واللجنة العليا للإعلام الحربي وإدارة الشئـون العامة



للقـوات المسلحة بالتـعاون والتنسـيق مع وزارة الإعلام مـن تسـهـيلات كثـيرة لو لم تكن لما اسـتطاع هذا المراسل طيلة الفتـرة الماضيـة أن يقدم لصـحـيفتـه شـيئـًا ذا قـيمـة إخـبـارية. أضف إلى ذلك تلك الخـدمـات والزيارات المكثـفـة التي كـانت تنظمـهـا لرجـال الإعـلام إلى مـخـتلف القـيـادات والمواقـع الميـدانيـة لتـمكيـنهم من القـيـام بدورهم فـي تغطيـة الأحداث ومتابعتها أولا بأول وبمصداقية وواقعية بمعدل ثلاث رحلات أسبوعية؛ قبل وأثناء وبعد «عاصفة الصحراء».

هذا.. بالإضافة إلى الزيارات الميدانية التي كانت تنظمها إلى دولة الكويت بعـد تحـريرها، ولتـحقـيق هذا الغـرض تم إنشـاء ثلاثة مراكـز إعـلامـيـة في كـل من الرياض والظهـران وجـدة، إضـافــة إلى مكتب الإعـلام الحـربي بوزارة الدفـاع والـطيـران الذي شـارك في إدارة هذه المراكز بتزويدهـا بالضباط الأكفاء لتـسهيل مهام الإعـلاميين الذي بلغ عددهم أكثر من ٣٥٠٠ إعلامي من مختلف أنحاء العالم.

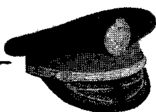
ألم ير صـاحبنا المراسل كـيف كان زمـلاؤه الأجانب من أمـريكيين ويابانيين وأوروبيين وغيرهم يبعثون برسائلهم الميدانية مباشرة في حينه إلى وكالاتهم غير عابئين بأي تأخيـر محتمل؟ فكيف لا يكون له مثل ما للأجـانب الذين يملكون الوسائل المتـقدمـة المرتبطة بالقنوات الفـضائيـة

والأقمـار الصناعيـة؟ والسؤال الذي يفـرض نفسه في هـذه الحالة أترك إجابته لمؤسستنا التي لا تنقصها القدرة المادية على تحقيق ذلك.

بيد أن صلتـي بالإعلام لم تنته عنـد النشاط الميداني والتـعامل فـيه مع وسائل الإعلام المختلفة فحسب، وإنما ازدادت تعمقًا وتوغلاً عندما رأت قيادة القـوات المشتركة ومـسرح العمليات إصـدار صحيفـة يومية باسم «صـوت المعركـة» تعنى بمتـابعـة مخـتلف النشـاطات الميدانيـة، والإسـهام بإلقـاء الضوء على بعض الأحـداث السيـاسيـة الهامـة ذات الصلة بتطور الموقف العسكري على الجبهات.

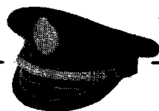


صورة لـسمو النائب الثاني يتـفقـد إحدى المناطق ويـرى المؤلف مع سمـوه عندما كـان رئيسًـا للجنة الإعلام الحربي خلال حرب تحرير الكويت.



وعندما تم تعـييني مشـرفًا عامًا عليـها أتاح لي ذلك فرصــة الكتابة فـيــها بداية من عــددها الأول الذي صــدر فـي ١٤١٤/٧/٣هـ الموافق ١٩٩١/١/١٨م وانتـــهــاءًا بـالعــدد الرابـع بعـد المائة حين توقــفت عن الصدور بتـاريخ ١٤١١/١٠/٧هـ الموافق ١٩٩١/٥/١م. وكان اسمـها قـد تغيـر اعتـبـارًا من العدد «٣٨» ليكـون «النصر» بدلاً من «صـوت المعركة» توقـعًا لقرب يوم «النصر» الذي رفرفت بعـد ذلك أعلامه وتم إعلانه.

كانت هذه الصحيفة رغم أنها لم تكن تتجاوز ثماني صفحات تعتبر بحق مصدرًا موثوقًا به لبقية الصـحف اليومية الأخرى نظرًا لقربها من منشـأ الخــبـر العـسكري ووجــودها الدائم على أرض الجـبــهـات وفي الخطوط الأمامية.



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
مكتب النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
وزير الدفاع والطيران والمفتش العام



الرقم : ٤ ٥٠/١/١/٢
التاريخ : ٢١/٢/١٤١١
المرفقات :

الموضوع: خطاب شكر .

خـــاص

المكرم اللواء / صالح بن محمد الغفيلي
اللجنة العليا للاعلام الحربي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:ـ
اطلعنا على خطابكم رقم١٣٦ وتاريخ ١٨/٢/١٤١١هـ ومرفقاته ايضاح للخطوط العريضة للمهام والواجبات التي تمارسها لجنة الاعلام الحربي .
عليه أفيدكم بأن نشاط هذه اللجنة قد برز للعيـان وأصبح حديث المجتمع واننا اذ نشكركم والعاملين معكم على جهودكم الطيبه نرجو لكم مزيدا من التوفيق ولا بعدكم حسوفه والله معكم .
والسلام عليكم ،،،،،

سلطان بن عبدالعزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

ع٥/٢٠/٢/١٤١١هـ





بسم الله الرحمن الرحيم

« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

صوت المعركة

نشرة عسكرية تصدر عن الشئون العامة للقوات المشتركة ومسرح العمليات

تفاؤل أوروبي بزيـــارة عزيـــز

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين :

سمو النائب الثاني يرعى اليوم افتتاح مهرجان الجهاد بالرياض

البحرية الملكية السعودية تفجر ثلاثة ألغام في مياه الخليج



بسم الله الرحمن الرحيم

« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

النصر

نشرة عسكرية تصدر عن الشئون العامة للقوات المشتركة ومسرح العمليات

طرد دبلوماسيين كويتيين من ألمانيا

وزير الإعلام الكويتي :

الاعلام السعودي واكب أحداث الكويت وكان المتميز في المنطقة

١٥٠٠ رجلا لمراقبة وقف إطلاق النار في الخليج

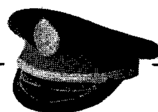
النصر

تحت إشراف اللواء / صالح محمد الغفيلي
رئيس اللجنة العليا للإعلام الحربي

الاشراف على التحرير :
عقيد / شاكر إدريس
مقدم طيار ركن/ يوسف البسام

رئيس التحرير :
رائد / عبدالكريم العيد
تليفون: ٤٠٥٩٨٣٥ فاكس: ٤٠٣٥٣٢٧

هيئة التحرير :
رائد / عبدالعزيز الشدوخي — نقيب / أحمد زايد
رائد/ علي محمد الشهري — نقيب/ فاروق الحارثي



بِسم الله الرحمن الرحيم

الرقـم - أ / ١٢٢

التـاريخ - ١٤١٣/٤/١٧هـ.

بعون الله تعالى

نحن فهد بن عبدالعزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

والقائد الأعلى للقوات المسلحة

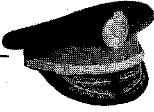
بعد الاطلاع على الفقرة (أ) من المادة (١١٧) من نظام خدمة الضباط ، الصادر بالمرسوم الملكي رقم (٤٣) وتاريخ ١٣٩٣/٨/٢٨هـ.

وبناء على اقتراح رئيس مجلس الوزراء ، المبني على توصية سمو وزير الدفاع والطيران والمفتش العام.

أمرنا بماهو آت :-

أولا - تنهى خدمة اللواء / صالح بن محمد الغفيلي باحالته على التقاعد.

ثانيا - على سمو وزير الدفاع والطيران والمفتش العام تنفيذ أمرنا هذا.،،،



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الدفاع والطيران والمفتشية العامة



رئاسة هيئة الأركان العامة
إدارة شئون ضباط القوات المسلحة

الرقم: ٢٩٩٣/٢/١٤
التاريخ: ١٤١٣/٤/٢٩
المرفقات: ....

الموضوع: تعيين سفير لدى دولة الامارات العربية المتحدة

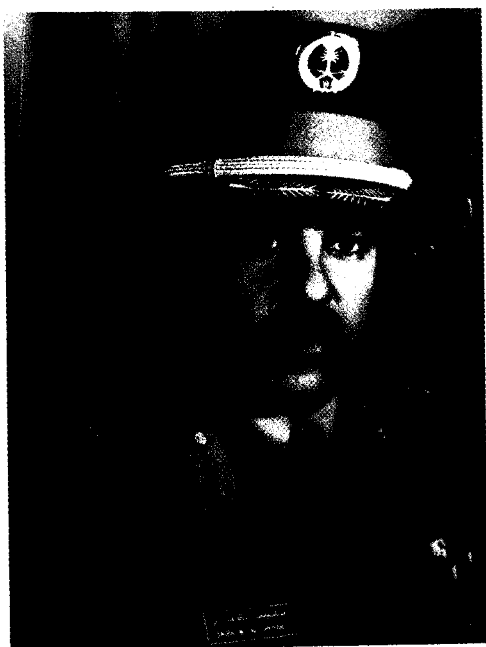
المكرم اللواء متقاعد/ صالح بن محمد الغفيلي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

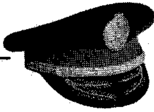
لقد تبلغنا برقية صاحب السمو الملكي وزير الدفاع والطيران والمفتش العام رقم١/١/٣/٣٥٢٧ وتاريخ١٤١٣/٤/٢٣هـ عطفا على برقية معالي رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء رقم٥٤١٠ في ١٤١٣/٤/١٧هـ الموجه لصاحب السمو الملكي وزير الخارجية المتضمنة صدور الامر السامي بتعيينكم سفيرا لخادم الحرمين الشريفين لدى دولة الامارات العربية المتحدة .

نأمل الاحاطة . مع تمنياتنا لكم بالتوفيق . والسلام عليكم....

فريق اول ركن
محمد بن صالح الحماد
رئيس هيئة الاركان العامة



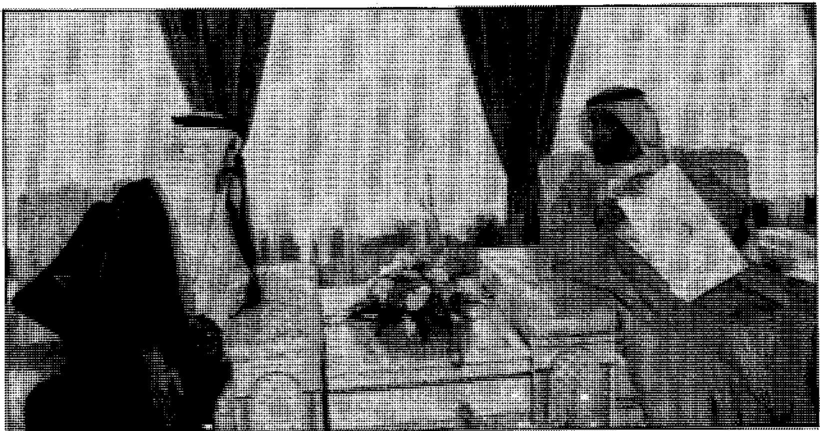
ختـــامها مســـك



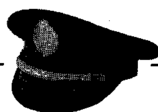
ختـــامها مسك

كان ختام رحلتي عبر سنواتها الأربعين في القوات المسلحة مسكًا، ففي ١٤١٣/٤/١٧هـ تمت إحالتي على التقاعد، وفي نفس اليوم والتاريخ منحني المقام السامي الكريم ثقته الغالية بتعييني سفيراً لخادم الحرمين الشريفين لدى دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو ما أعتبره بحق تشريفًا لي وتتويجًا لخدماتي التي دامت أربعين عامًا في القوات السلحة العربية السعودية.

ومع أنني لازلت أعتبر نفسي جنديًا في خدمة الوطن في أي موقع أنتدب له، وفي أي مكان أذهب إليه، إلا أنني على يقين من أن فترة



المؤلف يقدم أورق اعتماده لسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، سفيرًا لخادم الحرمين الشريفين في دولة الإمارات العربية المتحدة في ١٣ جمادى الآخرة ١٤١٣هـ الموافق ٧ ديسمبر ١٩٩٢م.



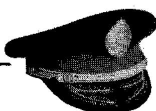
خدمتي في القوات المسلحة العربية السعودية، وما أكتسبته فيها من خبرات وتجارب، تشكل رصيداً مهماً لي بعد أن تحولت من العمل في السلك العسكري إلى السلك الدبلوماسي، ذلك أن القوات المسلحة تعتبراً معهداً للإعداد والتدريب تتخرج منه كوادر وقيادات ناجحة تغذي مختلف المجالات والأعمال في المؤسسات المدنية.

وإذا كانت الحياة العسكرية تظهر للبعض، وكأن لها طبيعة خاصة وأساليب مختلفة، فإن الدروس والعبر التي كان يحصل عليها المرء في تلك الحياة تكون في المحصلة ذخيرة له يستطيع من خلالها مواصلة رحلة العطاء في خدمة وطنه ونفسه، بحيث تصبح مرحلة التقاعد من الخدمة العسكرية بداية لمرحلة جديدة في حياته، فإذا امتدت كان فيها أنضج تجربة وأكثر خبرة وأغزر عطاءً.

وأخيراً: فربما طرأ على ذهن القارئ سؤال منطقي قد يتمحور حول نقطة مركزية هي: ماذا يمكن لإنسان أمضي أربعين عاماً من حياته كضابط في القوات المسلحة، كلف بمهام قيادية ومسؤوليات إدارية أن يتعلم في مشواره الطويل هذا؟

وأبادر فأقول:

علمتني الحياة.. أنها مدرسة متعددة المناهج والفصول، يخرج



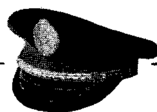
منها الإنسان ولايتخرج، لذلك مازلت وسأظل ما حييت أتنقل بين فصولها، ومقاعد الدراسة فيها إذا حصلت على شيء من علم فعبرة من هنا أو موعظة وحكمة من هناك، ودرس جديد مع كل إشراقة شمس أو اطلالة فجر يوم جديد، وسؤال لا يكف يلاحقني... يهمس في أذني. أفهمت درسك اليوم؟ واستوعبت أحداث أمسك؟ فلا تعدو أن تكون إجابتي بعد صمت تمتمة بكلمات مبهمة غير مفهومة. فكم هي الدروس التي تلقى على الأسماع، لكن العقل لمعناها غير واعٍ.

* تعلمت ألا التفت إلى الخلف إلا للتأكد من سلامة خطوتي، وألا أتوقف في منتصف الطريق حتى أبلغ نهايته.

* تعلمت أن المحبة هي الحقل الذي تنبت في تربته الخصبة أصدق العواطف وأقوى العلاقات الإنسانية والروابط الأخوية.

* تعلمت أن هناك بُعْدًا زمنيًا وفارقًا في التوقيت بين يومي وغدي، وأن لكل مهما ظروفه وملابساته وأن الأشياء مقرونة بأسبابها.

* تعلمت بأن الأمن بأساليبه المختلفة وأجهزته المتعددة هو صمام الأمان لصيانة حياة الفرد والمجموعة وحمايتها من العبث والاعتداء على أمنها واستقرارها.



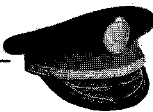
* تعلمت أشياء كثيرة وإن لم ألم بكل شيء، فهذا ما لا أطمع فيه أو أسعى إليه، فإدعاء ذلك جهل وترك الادعاء بما لانعلم علم.

* تعلمت في المدرة أن الخط المستقيم هو أقصر الطريق بين نقطتين، لكنه في الحياة يعني أن الاستقامة في السلوك هو السبيل الذي يؤدي إلى الهدف وتحقيق النجاح.

وأخيرًا: تعلمت أن الاطلاع والتعلم الدائمين هما السبيل الموصل إلى الاستيعاب، وأن النجاح في التحاور أساسه اختيار الكلمة بدقة تسهل على السامع فهم المقصود والمراد، وأن الإيجاز هو أقصر الدروب إلى عقل الطرف الآخر وإقناعه، وتعلمت فوق كل ذلك أن قمة كل شئ هو الإيمان الحقيقي، واليقين الصادق بالله سبحانه وتعالى الذي لابد أن يكون المحرك والدافع للعمل الصالح.

وبعد.. فهل لي أن أدعي العلم، وأقول: أنني أصبحت محيطًا بكل شيء؟ بالتأكيد لا.

فإن أنا ادعيت هذا فقد جهلت، ولكنني أقول علمت ودرست وتلقيت، أما ما استوعبته واختزنه عقلي فهو ما علمت وتعاملت به وهو ذلك النذر اليسير الذي يترجمه سلوكي الأمر الذي يصبح الحكم عليه من حق الآخرين.



وختاماً: عزيزي القارئ... أؤكد اغتباطي بتلك الثقة الكريمة التي منحني إياها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز بتعييني سفيراً، وهو ماسيتيح لي العمل في السلك الدبلوماسي، الذي على قدر ما فيه من أهمية بالغة، فهو بالنسبة لي قراءة في كتاب جديد له مصطلحاته وسلوكياته.

هذا .. وإني أسأل الله أن أكون أهلاً للثقة الكريمة التي أولاني إياها مولاي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (يحفظه الله).

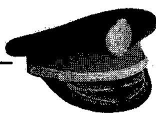
وأن أؤدي مهمتي هذه بما يجعلني عند حُسْن ظن الجميع بي، وأن أكون صلة خير وروابط محبة، أسأله سبحانه تعالى العون والتوفيق.

«وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»

صالح بن محمد الغفيلي

سفير خادم الحرمين الشريفين

لدى دولة الإمارات العربية المتحدة



المراجــع

١ – كتاب شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز: لخير الدين الزركلي دار العلم للملايين. بيروت. ج١.

٢ – كتاب صقر الجزيرة: لأحمد عبدالغفور عطار. ج٢.

٣ – فترة تأسيس الدول السعودية المعاصرة: عبدالله محمد شهيل.

٤ – الملك الراشد «جلالة المغفور له عبدالعزيز آل سعود»: عبدالمنعم الغلامي دار اللواء.

٥ – طويل العمر الملك عبدالعزيز آل سعود: محي الدين رضا.

٦ – مذكرات عبدالله بالخير: جريدة الشرق الأوسط في ١٩٨٦/٢/١م

٧ – جريدة أم القرى: عدد ١٣٢٠ تاريخ ١٣٦٩/١٠/٤هـ ١٩٥٩/٧/١٩م.

٨ – المراسيم والأوامر الملكية: المجموعة الثانية

٩ – نشرة.. نشأة وتطور قوات الدفاع الجوي الملكي السعودي: اعداد قسم الشئون العامة لقوات الدفاع الجوي. إصدار: معهد الدفاع بجدة.

١٠ – كتاب: القوات المسلحة السعودية. من إصدار معهد الدفاع بجدة.



١١ - كتاب القوات المسلحة السعودية. من إصدارات الشئون العامة للقوات المسلحة السعودية، ١٤١٢هـ.

١٢ - كتاب الأصالة والمسيرة: الدكتور عبدالرحمن السبيت، محمد التوبة، دكتور طه الفراء، مطابع الحرس الوطني في ١٤٠٥هـ.

١٣ - كتاب وزارة الداخلية، أمن وتنمية: حسن بن سعد بن سعيد. الإدارة العامة للعلاقات والتوجيه. وزارة الداخلية. طبعة أولى ١٤٠٩هـ.

١٤ - كتاب: حماسة البحتري «مختارات»: شرح وتحقيق أبي حسن علي بن الحسن المعروف بـ «شميم الحلي».

١٥ - كتاب: بهجة المجالس: ابن عبدالبر: جزء أول.

المحتـــويات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة